صحیفه فهرسة الكتاب المسمى اعلام الناس

هذا كتاب اعلام الناس * بما وقع
للبرامكة مع بني العباس * تأليف
الامام الفاضل محمد دياب
الاتليدي رحمه الله
والمسلمين
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل الكتاب المبين على اشرف الانبياء والمرسلين وقص عليه
اخبار المتقدمين والمتاخرين وعلمه ما كان وما يكون الى يوم الدين نحمده
اذ جعلنا من امته ونشكره على عطائه ومننه ونشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له اذ من علينا بمعرفة احوال من مضى من الامم ولم يكشف عنا
ستره اذا زل بنا القدم وجعلنا امة عدلا وسطا وشهد لنا بذلك فى الكتاب
المعظم المكرم فقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر فظهر الفضل بما جاد به وتكرم ونشهد ان سيدنا ونبينا
محمدا عبده ورسوله الذى قال ادبنى ربى فاحسن تاديبى فساد على جميع
الانبياء وعليهم تقدم صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وسلم وبعد
فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجز والتفريط فى ايامه وكثير التخليط
وزيادة اثامه محمد يعرف بدياب الاتليدى من اقليم المنية الخصيبية سالنى
بعض الاخوان الموفقين ممن لا يسعنى مخالفته ان اجمع له شيئا مما وقع فى زمن

الخلفاء المتقدمين من بنی امیة والخلفاء العباسیین فاجبته لذلك مع علمی
انی لست اهلا لذلك فقد قالوا الامتثال خیر من الادب وسمیته
اعلام الناس بما وقع للبرامکة مع بنی العباس وابتدات فی ذلك بامیر المؤمنین
عمر بن الخطاب رضی الله عنه تبرکا به وبذکره قیل لما رجع عمر رضی الله عنه
من الشام الی المدینة انفرد عن الناس لیتعرف اخبار رعیته فمر بعجوز فی
خباء لها فقصدها فقالت ما فعل عمر رضی الله عنه قال قد اقبل من الشام
سالما فقالت یا هذا لاجزاه الله خیرا عنی قال ولم قالت لانه ما نالنی من
عطایاه منذ ولی امر المسلمین دینارا ولا درهما فقال وما یدری عمر بحالك
وانت فی هذا الموضع فقالت سبحان الله والله ما ظننت ان احدا یلی علی الناس
ولا یدری ما بین مشرقها ومغربها فبکی عمر رضی الله عنه وقال واعمراه
کل احد افقه منك حتی العجائز یا عمر ثم قال لها یا امة الله بکم تبیعینی
ظلامتك من عمر فانی ارحمه من النار فقالت لا تهزأ بنا یرحمك الله فقال عمر
لست اهزأ بك ولم یزل بها حتی اشتری ظلامتها بخمسة وعشرین دینارا
فبینما هو کذلك اذ اقبل علی بن ابی طالب رضی الله عنه وعبد الله بن مسعود
رضی الله عنهما فقالا السلام علیك یا امیر المؤمنین فوضعت العجوز یدها
علی راسها وقالت واسوأتاه شتمت امیر المؤمنین فی وجهه فقال لها عمر
رضی الله عنه لا باس علیك یرحمك الله ثم طلب قطعة جلد یکتب فیها فلم
یجد فقطع قطعة من مرقعته وکتب فیها بسم الله الرحمن الرحیم هذا
ما اشتری عمر من فلانة ظلامتها منذ ولی الخلافة الی یوم کذا وکذا بخمسة
وعشرین دینارا فما تدعی علیه عند وقوفه فی المحشر بین یدی الله تعالی
فعمر بریء منه شهد علی ذلك علی وابن مسعود ثم دفعها الی ولده وقال اذا
انا مت فاجعلها فی کفنی القی بها ربی وقال شرف الدین حسین بن ریان
اغرب ما نقلته من الاخبار واعجب ما عقلته عن الاخیار ممن کان یحضر مجلس

عمر بن الخطاب خليفة الاسلام ويسمع كلامه قال بينهما الامام جالس في
بعض الايام وعنده اكابر الصحابة واهل الرای والاصابة وهو يقول في
القضايا ويحكم بين الرعايا اذا قبل شاب حسن الشباب نظيف الاثواب
يكتنفه شابان من احسن الشباب نظيفا الثياب قد جذباه وسحباه واوقفاه
بين يدی امير المؤمنين ولبباه فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما واليه فامرهما
بالكف عنه وادنوه منه فقالوا يا امير المومنين نحن اخوان شقيقان جديران
باتباع الحق حقيقان كان لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظم في قبائله منزه
عن الرذائل معروف بفضائله ربانا صغارا واعزنا كبارا واولانا نعما غزارا وكما قيل
لنا والد لو كان للناس مثله اب آخر اغناهم وا بالمناقب
خرج اليوم الى حديقة له يتنزه في اشجارها ويقطف يانع ثمارها فقتله
هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ونسالك القصاص عما جناه والحكم
فيه بما اراك الله قال الراوی فنظر عمر الى الشاب وقال له قد سمعت فما الجواب و
الغلام مع ذلك ثابت الجاش خال من الاستيحاش قد خلع ثياب الهلع ونزع
جلباب الجزع فتبسم عن مثل الجمان وتكلم بافصح لسان وحياه بكلمات حسان
ثم قال يا امير المؤمنين والله لقد وعيا ما ادعيا وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى
وعبرا بما طری وسانهی قصتی بين يديك والامر فيها اليك اعلم يا امير المؤمنين
انی من العرب العربا نبت في منازل البادية وصبحت على اسود السنين
العادية فاقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل والمال والولد فافضت بي
بعض طرايقها الى المسير بين حدايقها بنياق حبيبات الى عزيزات على
بينهن فحل كريم الاصل كثير النسل مليح الشكل حسن النتاج يمشی بينهن كانه
ملك عليه تاج فدنت بعض النوق الى حديقة قد ظهر من الحايط شجرها فتناولته
بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد ظهر وزفر وتسور الحائط
وظهر وفی يده اليمنی حجر يتهادی كالليث اذا خطر فضرب الفحل بذلك

الحجر فقتله واصاب مقتله فلما رايت الفحل قد سقط لجنبه وانقلب توقدت
في جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به فكان سبب حينه
ولقي سوء منقلبه والمرء مقتول بما قتل به بعد ان صاح صيحة عظيمه
وصرخ صرخة أليمه فاسرعت من مكاني فلم يكن باسرع من هذين الشابين فاسكاني
واحضراني كما تراني فقال عمر قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب
القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعا لما حكم به الامام ورضيت
بما اقتضته شريعة الاسلام لكن لي اخ صغير كان له اب كبير خصه قبل وفاته
بمال جزيل وذهب جليل واحضره بين يدي واسلم امره الي واشهد الله
علي وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه جهدك فاتخذت لذلك مدفنا
ووضعته فيه ولا يعلم به الا انا فان حكمت الان بقتلي ذهب الذهب وكنت
انت السبب وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه وان انظرتني
ثلاثة ايام اقمت من يتولى امر الغلام وعدت وافيا بالزمام ولي يضمنني على هذا
الكلام فاطرق عمر ثم نظر الى من حضر وقال من يقوم على ضمانه والعود الى مكانه
قال فنظر الغلام الى وجوه اهل المجلس الناظرين واشار الى ابي ذر دون الحاضرين
وقال هذا يكفلني ويضمنني قال عمر يا ابا ذر تضمنه على هذا الكلام قال نعم اضمنه
الى ثلاثة ايام فرضي الشابان بضمانة ابي ذر وانظراه ذلك القدر فلما انقضت
مدة الامهال وكاد وقتها يزول او قد زال حضر الشابان الى مجلس عمر والصحابة
حوله كالنجوم حول القمر وابو ذر قد حضر والخصم ينتظر فقالا اين الغريم
يا ابا ذر كيف يرجع من فر لا نبرح من مكاننا حتى تفي بضماننا فقال ابو ذر
وحق الملك العلام ان انقضى تمام الايام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان
واسلمت نفسي وبالله المستعان فقال عمر والله ان تاخر الغلام لامضين
في ابي ذر ما اقتضته شريعة الاسلام فهمت عبرات الناظرين اليه وعلت
زفرات الحاضرين عليه وعظم الضجيج وتزايد النشيج فعرض كبار الصحابة

على الشابين اخذ الدية واغتنام الاثنينة فاصرا على عدم القبول وابيا الا
الاخذ بثار المقتول فبينما الناس يموجون تلهفا للمام ويعجبون تاسفا على
ابي ذر اذ اقبل الغلام و وقف بين يدي الامام وسلم عليه اتم السلام ووجهه
يتهلل مشرقا و يتكلل عرقا وقال قد اسلمت الصبي الى اخواله وعرفتهم بجميع امواله
واطلعتهم على مكان ماله ثم اقتحمت هاجرات الحر و وفيت وفاء الحر فتعجب الناس
من صدقه و وفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال من غدر لم يعف
عنه من قدر ومن وفا رحمه الطالب وعفا وتحققت ان الموت اذا حضر
لم ينج منه احتراس كي لا يقال ذهب الوفا من الناس فقال ابو ذر والله
يا امير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم اعرفه من اي قوم ولا رايته
قبل ذلك اليوم ولكن نظر الى دون من حضر فقصدني وقال هذا يضمنني
فلم استحسن رده وابت المروة ان تخيب قصده اذ ليس في اجابة القصد
من باس كي لا يقال ذهب الفضل من الناس فقال الشابان عند ذلك
يا امير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم ابينا فبدل وحشته بايناس كي لا
يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الامام بالعفو عن الغلام وصدقه
و وفائه واستغزر مروة ابي ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين
في اصطناع المعروف واثنى عليهما احسن ثنائه وتمثل بهذا البيت من
يصنع الخير لم يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
ثم عرض عليهما ان يصرف من بيت المال دية ابيهما اليهما فقالا انما عفونا
ابتغاء وجه ربنا الكريم ومن نيته هكذا لا يتبع احسانه منا ولا اذى
قال الراوي فاثبتها في ديوان الغرائب وسطرتها في عنوان العجائب
انتهى واحضر الهرمزان بين يدي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ماسورا فدعاه الى الاسلام فابى فامر بضرب عنقه فقال يا امير المؤمنين
قبل ان تقتلني اسقني شربة من الماء ولا تقتلني ظمآنا فامر له عمر بقدح

مملوء ماء فلما صار القدح فی يد الهرمزان قال انا آمن حتی اشربه قال نعم لك الامان حتی تشربه فالقی الهرمزان الاناء من يده فاراقه ثم قال الوفا يا امير المؤمنين فقال عمر رضی الله عنه دعوه حتی انظر فی امره فلما رفع السيف عنه قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال عمر رضی الله عنه لقد اسلمت خير الاسلام فما اخرك قال خشيت ان يقال انی اسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك لفارس حكيم استحقيت ما كنت فيه من الملك ثم ان عمر رضی الله عنه بعد ذلك كان تشاوره فی اخراج الجيوش الی ارض فارس ويعمل برايه انتهی وسياتی نظير ذلك فی اخذ الامان بالحيلة ومما ذكره عبد الملك بن بدرون شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون عما وقع لجبلة بن الايهم حين لطم الفزاری علی وجهه لما داس علی ردائه وقال له عمر رضی الله عنه دعه يقتص منك او ماهذا معناه فقال لعمر وهل استوی انا وهو فی ذلك فقال له نعم الاسلام ساوی بينكما فقال اجلنی الی غد فلما اصبح مضی الی قيصر ملك الروم وارتد ثم ندم وقال ابياتا وهی هذه

تنصرت الاشراف من اجل لطمة	وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنی منها لجاج ونخوة	فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت امی لم تلدنی وليتنی	رجعت الی الامر الذی قال لی عمر
وياليتنی ارعی المخاض بقفرة	وكنت اسيرا فی ربيعة او مضر
وياليت لی بالشام ادنی معيشة	اجالس قومی ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الايهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية اقطعه هرقل من الاموال والضياع وبقی ماشاء الله ثم ان عمر رضی الله عنه بعث الی قيصر رسولا يدعوه الی الاسلام او الی الجزية فلما اراد الانصراف قال هرقل للرسول القيت ابن عمك هذا الذی عندنا يعنی جبلة الذی اتانا راغبا فی ديننا قال لا قال القه ثم ائتنی اعطك جواب كتابك قال الرسول

قد صبت الی دار جبلة فاذا علیه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما علی باب هرقل قال فلم ازل اتلطف بالاذن حتی اذن لی فدخلت علیه فرأيته اصهب اللحية ذا سبال وكان عهدی به اسود اللحية والراس فانكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها علی لحيته حتی اصهبت وهو قاعد علی سرير من قوارير علی قوائمها اربعة اسود من ذهب فلما عرفنی رفعنی معه علی السرير فجعل يسائلنی عن المسلمين فذكرت له خيرا وقلت قد اضعفوا اضعافا علی ما تعرف فقال وكيف تركت عمر بن الخطاب فقلت بخير قال فرايت الغم فی وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تابی الكرامة التی اكرمناك بها فقلت ان رسول الله صلی الله عليه وسلم نهی عن هذا فقال نعم نهی صلی الله عليه وسلم ولكن نق قلبك ولا تبالی علی ما قعدت فلما سمعته يقول صلی الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة الا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال ابعد ما كان منی قلت نعم قد فعل رجل من فزارة اكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الی الاسلام وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلما وانما ذكرت له ان الذی فعل هذه الفعلة من فزارة وانه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتد ورجع الی الاسلام لان الرجل الذی كان تنصر جبلة من اجله حين لطمه واراد عمر ان يقتص منه كان فزاريا ايضا فقلت له امرك اخف من امره ان رجعت الی الاسلام فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل فقال ذرنی من هذا ان كنت تضمن لی ان يزوجنی عمر ابنته ويولينی الامر من بعده رجعت الی الاسلام فضمنت له التزويج ولم اضمن له تولية الامر قال ثم اوما الی خادم كان علی راسه واقفا فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق فيها طعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لی كل فقبضت يدی وقلت يا رسول الله صلی الله عليه وسلم نهی عن الاكل فی انية الذهب والفضة قال نعم نهی صلی الله

عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله
عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما احببت قال فاكل فى الذهب و
اكلت انا فى الخبيز ثم دعا بطسوت الذهب واباريق الفضة فغسل
يديه فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم اومأ الى خادم بين يديه فمر
مسرعا فسمعت حسا فاذا خدمهم كراسى مرصعة بالجوهر فوضعت
عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجوارى وعليهن تيجان
الذهب فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسى ثم
جائت جارية ايضا كانها الشمس حسنا على رأسها تاج على ذلك التاج
طائر لم ار احسن منه وفى يدها جامة فيها مسك فتيت وفى يدها
الاخرى جامة فيها ماء ورد فاومأت تلك الجارية وصفرت بالطائر
الذى على تاجها فوقع فى جامة المسك فاضطرب فيها ثم صفرت به
ثانيا فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم اومأت اليه فطار ونزل
على صليب فى تاج على جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه
فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت انيابه ثم التفت الى الجوارى
اللواتى عن يمينه فقال لهن اضحكنا فاندفعن يغنين فجعلن تخفق عيدانهن ويقلن

لله در عصابة نادمتهم	يوما بجلق فى الزمان الاول الى قوله
اولاد جفنة حول قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم	بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال فضحك جبلة حتى بدت انيابه ثم قال اتدرى من يقول هذا
قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ثم اشار
الى الجوارى اللواتى عن يساره وقال ابكيننا فاندفعن يغنين تخفق
عيدانهن ويقلن شعرا

لمن الدار اقفرت بمعان	بين اعلى اليرموك فالخمان الى قوله

ذاك مغنى لآل جفنة في الدهر وحق تعاقب الازمان

قال فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته ثم قال اتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان ثم انشد الابيات التى اولها تنصرت الاشراف الى آخرها ثم سألنى عن حسان احى هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولى ايضا كذلك ثم امر لحسان بمال ونوق موقورة برا ثم قال لى ان وجدته حيا فادفع اليه الهدية واقرئه منى السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى اهله وانحر النوق على قبره قال فلما اخبرت عمر رضى الله عنه بخبره وما اشترطه على وضمنت له قال فهلا ضمنت له الامر فاذا افاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ماكان الاما اراد ثم جهزنى عمر ثانية الى هرقل وامرنى ان اضمن له ما اشترط فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء غلب عليه فى ام الكتاب انتهى وقيل انه قدم اهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكون سعد بن ابى وقاص فقال من يعذرنى من اهل الكوفة ان وليتهم التقى ضعفوه وان وليتهم القوى فجروه فقال له المغيرة ابن شعبة يا امير المؤمنين ان التقى الضعيف له تقاه ولك ضعفه وان القوى الفاجر لك قوته وعليه فجوره قال صدقت انت القوى الفاجر فاخرج اليهم فلم يزل عليهم ايام عمر وايام عثمان رضى الله عنهما وايام معاوية حتى مات المغيرة انتهى وقيل دخل عمرو بن معدى كرب الزبيدى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر اخبرنى عن اجبن من لقيت واحيل من لقيت واشجع من لقيت قال نعم يا امير المؤمنين خرجت مرة اريد الغارة فبينما انا سائر اذا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا رجل جالس كاعظم ما يكون من الرجال خلقا وهو محتبى بحمائل سيفه فقلت له خذ حذرك فانى قاتلك فقال ومن انت قلت انا عمرو بن معدى كرب الزبيدى فشهق شهقة فمات فهذا يا امير المؤمنين اجبن من رايت وخرجت مرة حتى انتهيت

الی حی فاذا انا بفرس مشدود و رمح مرکوز واذا صاحبه فی وهدة یقضی
حاجته فقلت خذ حذرک فانی قاتلک فقال ومن انت فاعلمته بی فقال
یا ابا ثور ما انصفتنی انت علی ظهر فرسک وانا علی الارض فاعطنی عهدا
انک لا تقتلنی حتی ارکب فرسی فاعطیته عهدا فخرج من الموضع الذی کان
فیه واحتبی بحمائل سیفه وجلس فقلت ما هذا فقال ما انا براکب فرسی
ولا بمقاتلک فان نکثت عهدک فانت اعلم بناکث العهد فترکته ومضیت
فهذا یا امیر المؤمنین احیل من رایت وخرجت مرة حتی انتهیت الی موضع
کنت اقطع فیه الطریق فلم ار احدا فاجریت فرسی یمینا وشمالا واذا انا
بفارس فلما دنا منی فاذا هو غلام حسن نبت عذاره من اجمل ما رایت
من الفتیان واحسنهم واذا هو قد اقبل من نحو الیمامة فلما قرب منی سلم
علی فرددت علیه السلام وقلت من الفتی قال الحارث بن سعد فارس
الشهباء فقلت له خذ حذرک فانی قاتلک فقال الویل لک ممن انت قلت
عمرو بن معدی کرب الزبیدی قال الذلیل الحقیر والله ما یمنعنی من
قتلک الا استصغارک فتصاغرت نفسی یا امیر المؤمنین وعظم عندی
ما استقبلنی به فقلت له دع هذا وخذ حذرک فانی قاتلک والله لا ینصرف
الا احدنا فقال اذهب ثکلتک امک فانا من اهل بیت ما اثکلنا فارس
قط قلت هو الذی تسمعه قال اختر لنفسک فاما ان تطرد لی واما ان
اطرد لک فاغتنمتها منه فقلت له اطرد لی فاطرد وحملت علیه فظننت انی
وضعت الرمح بین کتفیه فاذا هو صار حزاما لفرسه ثم عطف علی فقنع
بالقناة راسی وقال یا عمرو خذها الیک واحدة ولولا انی اکره قتل
مثلک لقتلتک قال فتصاغرت نفسی عندی وکان الموت یا امیر المؤمنین
احب الی مما رایت فقلت له والله لا ینصرف الا احدنا فعرض علی مقالته
الاولی فقلت له اطرد لی فاطرد فظننت انی تمکنت منه فاتبعته

حتی ظننت انی وضعت الرمح بین کتفیه فاذا هو صار لبباً لفرسه ثم عطف علی فقنع بالقناة رأسی وقال خذها الیک یا عمرو ثانیة فتصاغرت علی نفسی جداً او قلت والله لا ینصرف الا احدنا فاطردلی حتی ظننت انی وضعت الرمح بین کتفیه فوثب عن فرسه فاذا هو علی الارض فاخطأته فاستوی علی فرسه واتبعنی حتی قنع بالقناة رأسی وقال خذها الیک یا عمرو ثالثة ولولا کراهتی لقتل مثلک لقتلتک فقلت اقتلنی احب الی ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقال یا عمرو انما العفو عن ثلاث واذا استمکنت منک فی الرابعة قتلتک وانشد یقول

وکدت اغلاظاً من الایمان ان عدت یا عمرو الی الطعان

لتجدن لهب السنان اولا فلست من بنی شیبان

فهبته هیبة شدیدة وقلت له ان لی الیک حاجة قال وما هی قلت اکون صاحبالک قال لست من اصحابی فکان ذلک اشد علی واعظم مما صنع فلم ازل اطلب صحبته حتی قال ویحک اتدری این ارید قلت لا والله قال ارید الموت الاحمر عیاناً قلت ارید الموت معک قال امض بنا فسرنا یومنا اجمع حتی اتانا اللیل ومضی شطره فوردنا علی حی من احیاء العرب فقال لی یا عمرو فی هذا الحی الموت الاحمر فاما ان تمسک علی فرسی فانزل وآتی بحاجتی واما ان تنزل وامسک فرسک فتأتینی بحاجتی فقلت بل انزل انت فانت اخبر بحاجتک منی فرمی الی بعنان فرسه فرضیت والله یا امیر المؤمنین بان اکون له سایساً ثم مضی الی قبة فاخرج منها جاریة لم تر عینای احسن منها حسناً وجمالاً فحملها علی ناقة ثم قال یا عمرو فقلت لبیک قال اما ان تحمینی واقود الناقة او احمیک وتقودها انت قلت لا بل اقودها وتحمینی انت فرمی الی بزمام الناقة ثم سرنا حتی اذا اصبحنا قال یا عمرو قلت ما تشاء قال التفت فانظر هل تری احداً فالتفت فرایت جمالاً فقلت اری جمالاً قال اغذ السیر ثم قال یا عمرو

انظر فان كانوا قليلا فالجلد والقوة وهو الموت الاحمر وان كانوا كثيرا فليسوا بشئ فالتفت وقلت هم اربعة او خمسة قال عند ذا السير ففعلت ووقف و سمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال يا عمرو كن عن يمين الطريق وقف وحوّل وجه دوابنا الى الطريق ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا واذا هم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير وهو ابو الجارية والشابان اخواها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا ابن اخي فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا اخذتها فقال لاحد ابنيه اخرج اليه فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحارث وهو يقول

من دون ما ترجوه خضب الذابل	من فارس ملثم مقاتل
ينمى الى شيبان خير وائل	ما كان يسرى نحوها بباطل

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد منها صلبه فسقط ميتا فقال الشيخ لابنه الآخر اخرج اليه فلا خير في الحياة على الذل فاقبل الحارث وهو يقول

لقد رايت كيف كانت طعنتي	والطعن للقرن الشديد الهمة
والموت خير من فراق خلتي	فقتلتي اليوم ولا منة لي

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتا فقال له الشيخ خل عن الظعينة يا ابن اخي فاني لست كمن رايت فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا قصدت فقال الشيخ يا ابن اخي اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت طاردتك فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول شعرا

ما ارتجي عند فناء عمري	ساجعل التسعين مثل شهر
تخافني الشجعان طول الدهر	ان استباح البيض قصم الظهر

فاقبل الحارث وهو ينشد ويقول شعرا

بعد ارتحالي وطال سفري	وقد ظفرت وشفيت صدري
فالموت خير من لباس الغدر	والعار اهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ يا ابن اخي ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك بقية
فاضربني وان شئت فاضربني فان ابقيت في بقية ضربتك فاغتنمها الفتى
وقال انا ابدا فقال الشيخ هات فرفع الحارث يده بالسيف فلما نظر الشيخ
انه قد اهوى به الى رأسه ضرب بطنه بطعنة قد منها امعاءه ووقعت
ضربة الفتى على رأس عمه فسقطا ميتين فاخذت يا امير المؤمنين اربعة
افراس واربعة اسياف ثم اقبلت الى الناقة فقالت الجارية يا عمرو الى اين
ولست بصاحبتك ولست لي بصاحب ولست كمن رايت فقلت اسكتي قالت
ان كنت لي صاحبا فاعطيني سيفا او رمحا فان غلبتني فانا لك وان غلبتك قتلتك
فقلت ما انا بمعطي ذلك ولقد عرفت اهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت
نفسها عن البعير ثم انبات تقول

ابعد شيخي ثم بعد اخوتي	يطيب عيشي بعدهم ولذتي
واصحبن من لم يكن ذا همة	هلا تكون قبل ذا منيتي

ثم اهوت الى الرمح كادت تنزعه من يدي فلما رايت ذلك منها خفت ان ظفرت
بي قتلتني فقتلتها فهذا يا امير المؤمنين اشجع ما رأيت قيل اتى رجل الى عمر بن
الخطاب يستحمله فقال له خذ لك بعيرا من ابل الصدقة فتناول ذنب بعير
فجذبه فاقتلعه فتعجب عمر رضي الله عنه من شدته وقوته فقال له هل رأيت
اقوى منك من احد قال نعم خرجت بامرأة من اهلي اريد بها زوجها فنزلت
على حوض فاقبل رجل معه ذود فضرب ذوده الى الحوض فما رمانى يعني
المرأة فنادتني فما انتهيت اليها حتى خالطها فجئت لادفعه عنها فاخذ راسي بين
عضده وجنبه فما استطعت التحريك حتى قضى وطره منها فقالت اي فحل هذا
لو كان منجبة فامهلته حتى امتلأ نوما فقمت له بالسيف فضربت ساقه فانتبه
فتناول رجله فرماني بها فاهوانى اى فاتني واصاب راس بعير فقتله فقال
عمر رضي الله عنه ما فعلت بالمرأة فقال هذا احديث الرجل فكرر عليه السؤال

فلم يزده على هذا ففطن انه قتلها انتهى ويحكى ان عبد الله بن ابى رواحة رضى الله عنه كان عنده جارية جميلة وكان يحبها محبة شديدة ولم يتمكن منها خوفا من زوجته فمضت يوما زوجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين فقالت اوعلتها قال لم اكن فاعلها قالت فاقرا فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

علمت بان وعد الله حق — وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف — وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام — ملائكة الاله مسومينا

قالت صدقت وكذبت عيناى قال فذهبت واخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكررها ويقول كيف قلت انتهى

اول دولة بنى امية معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه

جلس يوما فى مجلس كان له بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربع يدخل فيه النسيم من كل جانب قال فبينما هو جالس ينظر الى بعض الجهات وكان يوما شديد الحر لا نسيم فيه قال وكان وسط النهار وقد لفحت الهواجر اذ نظر الى رجل يمشى نحوه وهو يتلظى من حر التراب ويحجل فى مشيته حافيا فتامله وقال لجلسائه هل خلق الله سبحانه وتعالى اشقى ممن يحتاج الى الحركة فى هذا الوقت وفى مثل هذه الساعة فقال بعضهم لعله يقصد امير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدى لاجل شئ لاعطينه واستجلب الاجر به او مظلوما لانصرنه يا غلام قف بالباب فان طلبنى هذا الاعرابى فلا تمنعه من الدخول على فخرج فوافاه فقال ما تريد قال امير المؤمنين قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاوية ممن الرجل قال من تميم قال فما الذى جاء بك فى هذا الوقت قال جئتك مشتكيا وبك مستجيرا قال ممن قال من مروان بن الحكم عاملك وانشد يقول

معاوي ياذا الجود والحلم والبذل — وياذا الندى والعلم والرشد والنبل
اتيتك لما ضاق في الارض مذهبي — فياغوث لا تقطع رجائي من العدل
وجد لي بانصاف من الجائر الذي — بلاني بشيء كان ايسره قتلي
سباني سعدى وانبرى لخصومتي — وجار ولم يعدل واغصبني اهلي
وهم بقتلي غير ان منيتي — تأنت ولم استكمل الرزق من اجلي

قال فلما سمع معاوية كلامه والنار تتوقد من فيه قال له مهلا يا اخا العرب اذكر قصتك وابن لي عن امرك فقال يا امير المؤمنين كانت لي زوجة وكنت لها محبا وبها كلفا وكنت بها قرير العين طيب النفس وكانت لي جذعة من الابل كنت استعين بها على قوام حالي وكفاية اودي فاصابتنا سنة اذهبت الخف والحافر فبقيت لا املك شيئا فلما قل ما بيدي وذهب مالي وفسد حالي بقيت مهانا ثقيلا على الذي يألفني وابعدني من كان يشتهي قربي وازورّ من لا يرغب في زيارتي فلما علم ابوها ما بي من سوء الحال وشر المآل اخذها مني وجحدني وطردني واغلظ علي فاتيت الى عاملك مروان بن الحكم راجيا النصرة فلما احضر اباها وسأله عن حالي قال ما اعرفه قط فقلت اصلح الله الامير ان رأى ان يحضرها ويسألها عن قول ابيها ففعل وبعث خلفها فلما حضرت بين يديه وقعت منه موقع الاعجاب فصار لي خصما وعلي منكرا واظهر لي الغضب وبعث بي الى السجن فبقيت كانما خررت من السماء واستهوت بي الريح في مكان سحيق ثم قال لابيها هل لك ان تزوجنيها على الف دينار وعشرة آلاف درهم وانا ضامن خلاصها من هذا الاعرابي فرغب ابوها في البذل واجابه الى ذلك فلما كان من الغد بعث الي واحضرني ونظر الي كالاسد الغضبان وقال طلق سعادى فقلت لا فسلط علي جماعة من غلمانه فاخذوني يعذبونني بانواع العذاب فلم اجد لي بدا من طلاقها ففعلت فاعادني الى السجن فمكثت فيه الى ان انقضت عدتها فتزوجها ثم اطلقني وقد اتيتك راجيا وبك مستجيرا واليك ملتجئا وانشد يقول

في القلب مني غرام | للنار فيه استعار
والجسم مرهي بسهم | فيه الطبيب يحار
وفي فوادي جمر | والجمر فيه شرار
والعين تهطل دمعا | قد مهامدرار
وليس الا بربي | وبالامير انتصار

قال ثم اضطرب واضطكت لهاته وصار مغشيا عليه واخذ يتلوى كالحية قال فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدى ابن الحكم في حدود الدين وظلم واجترا على حرم المسلمين ثم قال لقد اتيتني يا اعرابي بحديث لم اسمع بمثله قط ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى مروان بن الحكم كتابا يقول فيه انه قد بلغني انك تعديت على رعيتك في حدود الدين وينبغي لمن كان واليا ان يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاته ثم كتب بعده كلاما طويلا اختصرته وانشد يقول

وليت امرا عظيما لست تدركه | فاستغفر الله من فعل امرئ زان
وقد اتانا الفتى المسكين منتحبا | يشكو الينا ببث ثم احزان
اعطي الاله يمينا لا اكفرها | نعم وابرأ من ديني وايمان
ان انت خالفتني فيما كتبت به | لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وعجلها مجهزة | مع الكميت ونصر ابن ذبيان

ثم طوى الكتاب وطبعه واستدعى بالكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما في المهمات لامانتهما فاخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة ندخلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما اليه الكتاب واعلماه بصورة الحال فصار مروان يقرأ ويبكي ثم قام الى سعاد واعلمها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بمحضر الكميت ونصر بن ذبيان وجهزهما وصحبتهما سعاد ثم كتب مروان كتابا يقول فيه هذه الابيات

لا تعجلن امير المؤمنين فقد　　اوفى بنذرك فى سر واعلان
وما اتيت حراما حين اعجبنى　　فكيف ادعى باسم الخائن الزانى
اعذر بانك لو ابصرتها لجرت　　فيك الامانى على تمثال انسان
فسوف يأتيك شمس ليس يدركها　　عند الخليفة من انس و من جان

ثم ختم الكتاب ودفعه الى الرسولين وسارا حتى وصلا الى معاوية وسلما اليه الكتاب وقراءه فقال لقد احسن فى الطاعة واطنب فى ذكر الجارية ثم امر باحضارها فلما رآها راى صورة حسناء لم ير أحسن منها ولا مثلها فى الحسن والجمال والقد والاعتدال فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال على بالاعرابى فاتى به وهو فى غاية من تغير الحال فقال يا اعرابى هل لك عنها من سلوة و اعوضك عنها ثلاث جوار نهد ابكار كانهن الاقمار مع كل جارية الف دينار واقسم لك فى بيت المال كل سنة ما يكفيك وما يغنيك قال فلما سمع الاعرابى كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية انه مات فقال له معاوية ما بالك بشر بال وسوء حال فقال الاعرابى استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فمن استجير من جورك وانشد يقول

لا تجعلنى فداك الله من ملك　　كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حيران مكتئب　　يمسى ويصبح فى هم وتذكار
اطلق وثاقى ولا تبخل على بها　　فان فعلت فانى غير كفار

ثم قال والله يا امير المؤمنين لو اعطيتنى الخلافة ما اخذتها دون سعدى وانشد يقول

ابى القلب الا حب سعدى وبغضت　　على نساء ما لهن ذنوب

فقال له معاوية انك مقر على انك طلقتها ومروان مقر بانه طلقها ونحن نخيرها ان اختارت سواك تزوجناها وان اختارتك حولناها اليك قال افعل فقال ما تقولين يا سعدى ايما احب اليك امير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره وسلطانه و اموا له وما ابصرتيه عنده او مروان بن الحكم فى تعسفه وجوره او هذا الاعرابى

فی جوعه وفقره فانشدت تقول

هذا وان كان فی جوع واضرار اعز عندی من قومی ومن جاری
وصاحب التاج او مروان عامله وكل ذی درهم عندی ودینار

ثم قالت والله یا امیر المؤمنین ما انا بخاذلته لحادثة للزمان ولا للغدر ان الایام وان له صحبة قدیمة لا تنسی ومحبة لا تبلی وانا احق من یصبر معه فی الضراء كما تنعمت معه فی السراء فتعجب معاویة من عقلها ومودتها له وموافاتها ودفع لها عشرة آلاف درهم ودفع مثلها للاعرابی واخذها وانصرف حتی

ومن ثمرات الاوراق عن الاجوبة الهاشمیة وبلاغتها فی المحل الرفیع فمن اجل ذلك انه اجتمع عند معاویة عمرو بن العاص رضی الله عنه والولید ابن عقبة وعتبة بن ابی سفیان والمغیرة بن شعبة فقالوا یا امیر المؤمنین ابعث الی الحسن بن علی احضره لنا قال لهم ولم قالوا كی نوبخه ونعرفه ان اباه قتل عثمان فقال لهم معاویة انكم لن تطیقوه ولن تنتصفوا منه ولا تقولوا له شیئاً الا كذبكم ولا یقول لكم ببلاغته شیئاً الا صدقه الناس فقالوا ارسل الیه فانا نكفیه فارسل معاویة فلما حضر قال یا حسن انی لم ارسل الیك ولكن هؤلاء ارسلوا الیك فاسمع مقالتهم فقال الحسن رضی الله عنه فلیتكلموا ونحن نسمع فقام عمرو بن العاص رضی الله عنه فحمد الله واثنی علیه ثم قال یا حسن هل تعلم ان اباك اول من اثار الفتنة وطلب الملك فكیف رایت صنع الله تعالی ثم قام الولید بن عقبة فحمد الله واثنی علیه ثم قال یا بنی هاشم كنتم اصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان لكم لقربه من رسول الله صلی الله علیه وسلم یقربكم ویفضلكم ثم بغیتم علیه وقتلتموه وقد اردنا قتل ابیك فانقذنا الله منه ولو قتلناه ما كان علینا من الله من ذنب ثم قام عتبة بن ابی سفیان فقال یا حسن ان اباك قد تعدی علی عثمان فقتله حسداً علی الملك والدنیا فسلبهما الله منه ولقد اردنا قتل ابیك حتی قتله الله تعالی ثم قام المغیرة بن شعبة

وقال كلا اما سبا العلي و تنطيما العثمان فقام الحسن رضي الله عنه فحمد الله و
اثنى عليه وقال بك ابدا يا معاوية لم يشتمني هؤلاء ولكن انت تشتمني بغضا
وعداوة وخلافا لجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس
وقال انشدكم الله ان الذي شتمه هؤلاء اما كان ابي وهو اول من آمن بالله
وصلى الى القبلتين وانت يا معاوية كافر تشرك بالله وكان مع ابي لوا النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر و لواء المشركين مع معاوية ثم قال انشدكم الله
تعالى اما كان معاوية يكتب لجدي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه يوما فرجع
الرسول وقال هو ياكل فرد اليه الرسول ثلاث مرات كل ذلك يقول هو ياكل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اشبع الله بطنه يا معاوية اما تعرف ذلك
من بطنك ثم قال وانشدكم الله اما تعلمون ان معاوية كان يقود بابيه على
جمل و اخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وانت تعلم
ذلك هذا كله لك يا معاوية واما انت يا عمرو تنازعت خمسة من قريش فغلب
عليك شبه الايهم وهو اقلهم حسبا واسوأهم منصبا ثم قمت وسط قريش
فقلت انى شانئ محمدا بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم انى لا احسن الشعر اللهم العن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت
الى النجاشي بما عملت وعلمت فكذبك ورَدّك خائبا فانت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام
فلا نلومك على بغضك الآن واما انت يا ابن ابي معيط فكيف الوم على سبك
لابي وقد جلد ابي في الخمر ثمانين جلدة وقتل اباك صبرا بامر جدي وقتله جدي
بامر ربي ولما قدمه للقتل قال من للصبية بعدي يا محمد فقال جدي لهم النار
فلم يكن لهم عند جدي غير النار ولم يكن لهم عند ابي غير السوط والسيف واما
انت يا عتبة فكيف تعيب احدا بالقتل فلم قتلت الذي وجدته على فراشك
مضاجعا الزوجتك ثم امسكتها بعد ان بغت واما انت يا اعور ثقيف ففي اي
شيء تسب عليا افي بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لحكم جائر في

رعية في الدنيا فان قلت في شيء من ذلك كذبت وكذبك الناس وان زعمت ان عليا قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس وانما مثلك كمثل بعوضة وقعت على نخلة فقالت لها استمسكي فاني اريد ان اطير فقالت لها النخلة ما علمت بوقوعك فكيف يشق علي طيرانك فكيف يا اعور ثقيف يشق علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية الم اقل لكم لا تنتصفون منه فوالله لقد اظلم علي البيت حتى قام وروى ان معاوية رضي الله عنه خرج يوما حاجا فمر بالمدينة ففرق على اهلها اموالا جزيلة ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما حضر قال له معاوية مرحبا مرحبا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن رضي الله عنه كيف ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال له معاوية قد امرت لك بمثل ما امرت به لاهل المدينة وانا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وانا ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقيل ان معاوية رضي الله عنه جلس يوما بين اصحابه اذ اقبلت قافلتان من البرية فقال لبعض من كان بين يديه انظروا هؤلاء القوم وائتوني باخبارهم فمضوا وعادوا وقالوا يا امير المؤمنين احداهما من اليمن والاخرى من قريش فقال ارجعوا اليهم وادعوا قريشا واتركوا اهل اليمن يبرلون في اماكنهم الى ان ناذن لهم بالدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال اتدرون يا اهل قريش لم اخرت اهل اليمن وقربتكم قالوا لا والله يا امير المؤمنين قال لانهم لم يزالوا يطأون علينا بالفخار ويقولون ما ليس فيهم واني اريد اذا دخلوا عندي ان اخذ واماكنهم من الجلوس اقوم فيهم نذيرا والقي عليهم من المسائل ما اقلل به اكرامهم وانقص به مقامهم فاذا دخلوا واخذوا اماكنهم من الجلوس وسالوا عن شيء فلا يجيبهم احد غيري (قال الراوي) وكان المقدم عليهم رجل يقال له الطرماح بن الحكم الباهلي فاقبل على اصحابه وقال اتدرون

يا اهل اليمن لم اخر كم ابن هند و قدم قريشا قالوا لا قال لانه فی غداة غد يقوم فيكم نذيرا و يلقی عليكم من المسائل ما يقل به اكرامكم و يرخص به مقامكم فاذا دخلتم عليه واخذ تم اماكنكم من الجلوس و سألكم عن شئ فلا يجيبه احد غيری فلما كان من الغد دخلوا عليه واخذوا اماكنهم فنهض معاوية قائما علی قدميه وقال ايها الناس من تكلم بالعربية قبل العرب وعلی من انزلت العربية فقام الطرماح وقال نحن يا معاوية ولم يقل يا امير المؤمنين فقال لماذا فقال لانه لما انزلت العرب ببابل وكانت العبرانية لسان الناس كافة ارسل الله تعالی العربية علی لسان يعرب بن قحطان الباهلی فنحو جدنا فقرء العربية و تداولها قومه من بعده الی يومنا هذا فنحن يا معاوية عرب بالجنس وانتم عرب بالتعليم فسكت معاوية زمانا ثم رفع راسه وقال ايها الناس من اقرب العرب ايمانا و من شهد له بذلك فقال الطرماح نحن يا معاوية قال لم قال لان الله بعث محمدا صلی الله عليه وسلم فكذبتموه وسفهتموه وجعلتموه مجنونا فآويناه ونصرناه فانزل الله والذين آووا و نصروا اولئك هم المؤمنون حقا وكان النبی صلی الله عليه وسلم يحسننا لنا متجاوزا عن سيئاتنا فلم لم تفعل انت كذلك كانك خالفت رسول الله صلی الله عليه وسلم قال فسكت زمانا ثم رفع راسه وقال ايها الناس من افصح العرب لسانا و من شهد له بذلك قال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك قال لان امرا القيس بن حجر الكندی منا قال فی بعض قصائده

يطعمون الناس غبا	فی السنين المحلات
فی جفان كالجوابی	وقدور راسيات

وقد تكلم بالقرآن قبل ان ينزل وشهد له رسول الله صلی الله عليه وسلم بذلك قال فسكت معاوية زمانا وقال ايها الناس من اقوی العرب شجاعة و كرا و من شهد له بذلك قال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك قال لان منا عمرو بن معدی كرب الزبيدی كان فارسا فی الجاهلية و فارسا فی الاسلام و شهد له

بذلك النبی صلی الله علیه وسلم فقال له معاویة وابن انت وقد اتی به مصفدا بالحدید فقال له الطرماح ومن اتی به قال معاویة اتی به علی قال الطرماح والله لو عرفت مقداره لسلمت الیه الخلافة ولا طمعت فیها ابدا فقال له معاویة اتحدنی یا عجوز الیمن قال نعم اجدك یا عجوز مضر لان عجوز الیمن بلقیس آمنت بالله وتزوجت بنبیه سلیمان بن داؤد علیهما السلام وعجوز مضر جدتك التی قال الله فی حقها وامراته حمالة الحطب فی جیدها حبل من مسد قال فسکت معاویة زمانا ثم رفع راسه وقال جزاك الله خیرا من صاحب ووفر عقلك ورحم سلفك واعطاه واحسن الیه انتهی قال الراوی وخطب معاویة یوما فقال یا ایها الناس ان الله تعالی قال وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلوموننی اذا قصرت عنکم فی عطایاکم فقال له الاحنف بن قیس انا والله ما نلومك فیما خزائن الله ولکن وضعت یدك علی ما انزل الله من خزائنه فجعلته فی خزائنك وحلت بیننا وبینه ومما یروی عن الشعبی قال استاذنت سودة بنت عمارة بن الاسد علی معاویة بن ابی سفیان فاذن لها فلما دخلت علیه قال لها یا بنت الاسد لست القائلة شعرا

شمر کفعل ابیك یا ابن عمارة	یوم الطعان وملتقی الاقران
وانصر علیا والحسین ورهطه	واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخا النبی محمد	علم الهدی ومنارة الایمان
وقد الجیوش وسر امام لوائه	وارمی بابیض صارم وسنان

قالت بلی یا معاویة ومن مثلی من رغب عن الحق واعتذر قال فما حملك علی ذلك قالت حب علی واتباع الحق قال والله ما اری علیك من اثر علی شیئا قالت انشدك الله یا معاویة لا تذکر اعادة ما مضی قال هیهات وما مثلك ومقام اخیك ینسی وما لقیت من اخیك قالت صدقت یا معاویة لم یکن اخی ذمیم المقام ولا اخی وهو والله کقول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به   كأنه علم في رأسه نار

وانا اسألك يا معاوية اعفاءك مما استعفيت به قال قد فعلت فما حاجتك قالت
يا معاوية انك اصبحت للناس سيدا ولامورهم واليا والله سائلك عن
امرنا وما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش
بسلطانك ويحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا
الخسف ويسلبنا الجليل هذا ابن ارطاة قدم علينا فقتل رجالي واخذ مالي
ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما اقررته فعرفناك
فقال لها ابقولك تهددينني هممت ان احملك على قتب جمل اشرس واسيرك
اليه لينفذ فيك امره فاطرقت وبكت وانشدت تقول

صلى الاله على روح تضمنه   قبر فاصبح فيه الحق مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا   فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذاك قالت امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال ولم ذلك قالت
اتيته في رجل ولاه علينا ولم يكن بيننا وبينه الا كما بين الغث والسمين فوجدته
قائما يصلي فلما نظر الي انفتل من صلاته ثم قال برافة ورحمة الك حاجة فاخبرته
فبكى ثم قال اللهم اشهد علي وعليهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك
ثم اخرج من جيبه قطعة من جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم
قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم
بحفيظ اذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك حتى يقدم عليك من يقبضه
منك والسلام فاخذته منه وارسلته اليه فامتثل ورجع عما كان فيه فقال
معاوية اكتبوا لها برد مالها والعدل في احوالها فقالت الي خاص ام لي و
لقومي قال بل انت قالت اذا الفحشاء واللؤم هي والله اما عدل شامل والا انا
كسائر قومي قال اكتبوا لها بحاجتها وقومها ولما اتصلت ميسون بنت بحدل

بمعاوية رضي الله عنه ونقلها من البدو الى الشام كانت تكثر الحنين على ناسها
والتذكر لمسقط راسها فاستمع عليها ذات يوم فسمعها تنشد وتقول

لبيت تخفق الارياح فيه — احب الي من قصر منيف
وآكل كسرة من قعر بيتي — احب الي من اكل الصنوف
واصوات الرياح بكل فج — احب الي من نقر الدفوف
ولبس عباءة وتقر عيني — احب الي من لبس الشفوف
وكلب ينبح الطراق حولي — احب الي من قط الوف
وبكر يتبع الاظعان صعب — احب الي من بغل زفوف
وخرق من بني عمي ضعيف — احب الي من علج عنيف

قال الراوي فلما سمع معاوية الابيات قال ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني
علجا عنيفا حكاية اجنبية عن المقام يحكى ان بهرام لما ولي الملك بعد
ابيه اقبل على اللهو واللذات والنزه والصيد ولا يفكر في ملكه ولا في رعيته
حتى خرجت البلاد عن يده وخربت في ايامه وقلت العمارة وخلت بيوت الاموال
فلما كان في بعض الايام ركب الى بعض منازهه وصيده وهو يسير نحو المدائن وكانت
ليلة مقمرة فدعا بالموبذ وهو عند المجوس كالحاخام عند اليهود والقسيس عند
النصارى لامر خطر بباله فجعل يحادثه فتوسطا في سيرهما بين خرابات كانت
من امهات الضياع قد خربت في مدة ملكه لا انيس فيها الا البوم واذا ببومة تصيح
وصاحبته تجاوبه من تلك الخرابات فقال بهرام اترى ان احدا من الناس اعطى
فهم لغة هذا الطائر المصوت في الليل البهيم فقال الموبذ ايها الملك انا ممن خصه
الله بذلك فقال فما يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الآخر فقال الموبذ
هذا بوم ذكر يخطب بومة ويقول لها متعيني نفسك حتى يخرج من بيننا
اولاد يسبحون الله ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فاجابت
البومة ان الذي تدعوني اليه لي فيه الحظ الاكبر والنصيب الاوفر في العاجل

والآجل الا انى اشترط عليك خصالا ان اعطيتها اجبتك الى ذلك فقال لها
الذكر وما تطلبيه منى قالت ان تعطينى من خرابات امهات الضياع عشرين
قرية مما خربت فى ايام هذا الملك السعيد فقال له الملك فما الذى قال لها
الذكر قال الموبذ كان من قوله لها ان دامت ايام هذا الملك السعيد اقطعت
منها الف قرية خراب فما تصنعين قالت فى اجتماعنا يحصل ظهور النسل وكثرة
الذكر فنقطع لكل ولد من اولاد ناضيحة من هذه الخرابات فقال لها الذكر
هذا اسهل امر سألتنيه وانا ملى بذلك ما حى هذا الملك فلما سمع الكلام
من الموبذ عمل فى نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته
ونزل بنزوله الناس وخلا بالموبذ فقال ايها القائم بامر الدين والناصح للملك
والمنبه له عما اغفله من امور ملكه واضاعة بلاده ورعيته ما هذا الكلام الذى
خاطبتنى به فقد حركت منى ما كان ساكنا فقال الموبذ صادفت من الملك
السعيد جده وتت سعد العباد والبلاد فجعلت الكلام مثلا وموعظة على لسان
الطائر عند سؤال الملك اياى عما سأل فقال له الملك ايها الناصح اكشف لى
عن هذا الغرض ما المراد منه فقال ايها الملك ان الامر لا يتم الا بالشريعة والقيام
لله بطاعته ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام
للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل وهو
الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب جل وعلا وجعل له قيما وهو الملك
فقال الملك اما ما وصفت فحق فابن لى عما اليه تقصد واوضح لى فى البيان
قال نعم ايها الملك انك عمدت الى الضياع فاقطعتها الخدم واهل البطالة
فعمدوا الى ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر
فى العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ووقع
الحيف على الرعية وعمار الضياع فانجلوا عن ضياعهم وقلت الاموال
وهلكت الجنود والرعية وطمع فى ملك فارس من اطاف بها من الملوك

والامم لعلمهم بانقطاع المواد التي بسببها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك
ذلك اقام في موضعه ثلاثة ايام واحضر الوزراء والكتاب وارباب الدواوين
فانتزعت الضياع من ايدي الخاصة والحاشية وردت الى اربابها وحملوا
على رسومهم السالفة واخذ واتى العمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت البلاد
بذلك واخصبت وكثرت الاموال عند الجباة وقويت الجنود وانقطعت مواد
الاعداء واقبل الملك يباشر الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى
كانت ايامه بعده تدعى بالاعياد مما عم الناس من الخصب وشملهم من
العدل اهـ حكاية اخرى اجنبية حكى عن الاصمعي انه قال
دخلت البصرة اريد بادية بني سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن
عبد الله القسري فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشاب
ذي جمال وكمال وادب ظاهر بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل
البزة عليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص
اصبناه البارحة في منازلنا فنظر اليه فاعجبه حسن هيئته ونظافته فقال
خلوا عنه ثم ادناه منه وسأله عن قصته فقال ان القول ما قالوه والامر على
ما ذكروه فقال له ما حملك على ذلك وانت في هيئة جميلة وصورة حسنة قال
حملني الشره في الدنيا وبذا قضى الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك
امك اما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر لك عن
السرقة قال دع عنك هذا ايها الامير وانفذ ما امرك الله تعالى به فذلك بما
كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر في امر الفتى ثم ادناه
منه وقال له ان اعترافك على رؤس الاشهاد قد رابني وانا ما اظنك سارقا
وان لك قصة غير السرقة فاخبرني بها فقال ايها الامير لا يقع في نفسك سوى
ما اعترفت به عندك وليس لي قصة اشرحها لك الا اني دخلت دار هؤلاء
فسرقت منها مالا فادركوني واخذوه مني وحملوني اليك فامر خالد بحبسه وأمر

منادیاً ینادی فی البصرة الا من احب ان ینظر الی عقوبة فلان اللص وقطع یده
فلیحضر من الغد فلما استقر الفتی فی الحبس ووضع فی رجلیه الحدید تنفس
الصعداء ثم انشأ یقول

هددنی خالد بقطع یدی ... ان لم ابح عنده بقصتها
فقلت هیهات ان ابوح بما ... تضمن القلب من محبتها
قطع یدی بالذی اعترفت به ... اهون للقلب من فضیحتها

فسمعه الموکلون فأتوا خالداً واخبروه بذلک فلما جن اللیل امر باحضاره
عنده فلما حضر استنطقه فرآه ادیباً عاقلاً لبیباً ظریفاً فاعجب به فامر له
بطعام فاکلا وتحادثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لک قصة غیر السرقة فاذا
کان غداً وحضر الناس والقضاة وسألتک عن السرقة فانکرها واذکر ما یشبهها
تدرأ عنک القطع فقد قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ادرؤا الحدود
بالشبهات ثم امر به الی السجن فلما اصبح الناس لم یبق بالبصرة رجل ولا
امرأة الا حضر لیری عقوبة ذلک الفتی ورکب خالد ومعه وجوه اهل
البصرة وغیرهم ثم دعا بالقضاة وأمر باحضار الفتی فاقبل یحجل فی قیوده ولم
یبق احد من النساء الا بکی علیه وارتفعت اصوات النساء بالبکاء والنحیب
وأمر بتسکیت الناس ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم یزعمون انک دخلت دارهم
وسرقت مالهم فما تقول قال صدقوا ایها الامیر دخلت دارهم وسرقت
مالهم فقال خالد لعلک سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصاباً کاملاً
قال فلعلک سرقته من غیر حرز مثله قال بل من حرز مثله قال فلعلک
شریک القوم فی شیء منه قال بل هو جمیعه لهم لا حق لی فیه فغضب خالد
وقام الیه بنفسه وضربه علی وجهه بالسوط وقال متمثلاً بهذا البیت

یرید المرء ان یعطی مناه ... ویأبی الله الا ما ارادا

ثم دعا بالجلاد لیقطع یده فحضر واخرج السکین ومد یده ووضع علیها

السكين فبرزت جارية من صف النساء عليها آثار وسخ فصرخت ورمت بنفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد ان تفع منها فتنة ثم نادت باعلى صوتها اناشدتك الله ايها الامير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت اليه رقعة ففضها خالد فاذا هي مكتوب فيها هذه الابيات

أخالد هذا مستهام متيم	رمته لحاظي من قسي الحمالق
فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه	حليف الجوى من دائه غير فائق
اقر بما لم يقترفه لانه	رأى ذاك خيرا من هتيكة عاشق
فمهلا على الصب الكئيب لانه	كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ الابيات تنحى وانعزل عن الناس واحضر المرأة ثم سألها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه اراد زيارتها وان يعلمها بمكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما احس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة فاخذوه وقالوا هذا سارق واتوا به اليك فاعترف بالسرقة واصر على ذلك حتى لا يفضحني بين اخوتي وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لعزازة مروته وكرم نفسه فقال خالد انه خليق بذلك ثم استدعى الفتى اليه وقبل ما بين عينيه وامر باحضار ابي الجارية وقال له يا شيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع وان الله عز وجل عصمني من ذلك وقد امرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار وقد امرت لابنتك بعشرة آلاف درهم وانا اسالك ان تأذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ قد اذنت ايها الامير بذلك قال فحمد الله واثنى عليه وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضاها واذن ابيها على هذا المال

وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج وامر بحمل المال الى دار الفتى بزفوفاتی الصوانی وانصرف الناس مسرورين ولم يبق احد فى سوق البصرة الا نثر عليهما اللوز والسكر حتى دخلا منزلهما مسرورين مزفوفين قال الاصمعى فما رايت يوما اعجب منه اوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح وهذه حكاية تشابه ما تقدم قال حماد الراوية كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذ اتى بشاب حسن الوجه ومعه جارية كانها قضيب بان فقال صاحب الشرطة اصلح الله الامير انى وجدت هذا وهذه مجتمعين فى خلوة وليس لها بمحرم فقال جعفر للفتى ما تقول فقال صدق ولقد طال والله غرامى بها منذ ثلاث سنين والله ما امكننى الخلوة بها الا فى هذا الوقت وانشد يقول شعرا

تمنيت من ربى افوز بقربها ... فلما تهيا لى المنى عاقنى العسر

فوالله بل والله ما كان ريبة ... وما كان الا اللفظ والضحك والبشر

فدونكم جلدى ولا تجلدونها ... فكم من حرام كان من دونه ستر

قال فجعلت الجارية تبكى بكاء شديدا فقال لها وانت لم تبكين فقالت والله شفقة على ما حل بنا وكيف احتلت حتى خرجت وكيف بلينا بهذه البلية قال الحبيبة قالت فلم غررت بنفسى قال لها انت حرة ام مملوكة قالت بل مملوكة فامر بها فخلت الدار واحضر مولاها فاشتراها منه بمائتى دينار واعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساها وانشد الفتى يقول

لقد جدت يا ابن الاكرمين بنعمة ... جمعت بها بين المحبين فى ستر

فلا زلت بالاحسان كهفا وملجأ ... وقد جل ما قد كان منك عن الشكر

قال فضحك وامر لهما بجائزة وانصرفا مسرورين انتهى فى ايام دولة عبد الملك ابن مروان وهو اول من تسمى عبد الملك فى الاسلام وكان يلقب برشح الحجر ذكره فى حياة الحيوان وذكر محمد بن واسع الهيتى ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

الى الحجاج بن يوسف اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته نسيرلي ثلاث جوار مولدات نهداً ابكار يكون الهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين اى اليا سرجية ثم امرهم بما امره به امير المؤمنين وامرهم ان يغوصوا فى البلاد حتى يقعوا على الغرض فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا على الغرض و رجعوا الى الحجاج بثلاث جوار نهداً ابكار مولدات ليس لهن مثيل وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجدهن لا يقوم من بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهن. ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلنى كتاب امير المؤمنين متعنى الله ببقائه يأمرنى فيه ان اشترى له ثلاث جوار مولدات نهداً ابكار وان اكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها اما الجارية الاولى اطال الله بقاء امير المؤمنين فانها لطيفة السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حلوة الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كانها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فى طرفها دعج يبرزها   كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثانية فانها فائقة فى الجمال معتدلة القد والكمال يشفى السقيم كلامها الرخيم وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثالثة فانها فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف غزال وثمنها يا امير المؤمنين ثمانون الف درهم ثم اطنب فى الشكر والثناء على امير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوار لامير المؤمنين فقال احد النخاسين ايدالله الامير انى رجل كبير ضعيف عن السفر ولى ولد ينوب عنى اتاذن لى ان اجهزه قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففى بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا فى بعض الاماكن فنامت الجوارى فهبت ريح فانكشفت

احداهن وهي الكوفية فظهر نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعة فأتاها على غفلة من اصحابه وجعل يقول

امكتوم عيني ما تمل من البكاء | وقلبي بأسهام الاسى يتمزق
امكتوم كم من عاشق قتل الهوى | وقلبي رهين كيف لا اتعشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا | ليلا اذا هجعت عيون الحسد

فلما جن الليل انفض ابن النخاس بسيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذ ها واراد الهرب بها ففطن به اصحابه فاخذوه وكتفوه واوثقوه بالحديد ولم يزل ماسورا معهم الى ان قدموا على عبد الملك فلما اقدموا بالجواري بين يديه اخذ الكتاب وفتحه وقرأه فوجد الصفة موافقة في اثنين ولم توافق في الثالثة ورأى بوجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق عليها الصفة التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها وهذا الانحال فقالوا يا امير المؤمنين تقول علينا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج احد النخاسين واتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي امير المؤمنين بكى بكاء شديدا وايقن بالعذاب ثم انشأ يقول هذه الابيات

امير المؤمنين اتيت رغما | وقد شدت الى عنقي يديا
مقر بالقبيح وسوء فعلي | ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبي | وان تعفو فمن جود عليا

فقال له عبد الملك يا فتى ما حملك على ما فعلت استخفافا بنا ام هوى للجارية فقال وحقك يا امير المؤمنين وعظيم قدرك ما هو الا هوى بالجارية فقال هي لك بما اعد لها فاخذ الغلام الجارية بكل ما اعد لها امير المؤمنين

من الحلي والجمان وسار بها فرحا مسرورا حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلا ليلا فتعانقا فلما اصبح الصباح واراد الناس الرحيل نبهوهما فوجدا ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما في الطريق ومضى خبرهما الى امير المؤمنين عبد الملك ابن مروان فبكى عليهما وتعجب من ذلك انتهى وهذه حكاية تشابهها في العشق حكى عن عبد الله بن معمر القيسي انه قال حججت سنة الى بيت الحرام فلما قضيت حجي عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا ذات ليلة جالس بين القبر والروضة اذ سمعت انينا عاليا وحنينا باديا فانصت اليه فاذا هو يقول هذه الابيات

اشجاك نوح حمائم السدر	فاهجن منك بلابل الصدر
ام عز نومك ذكر غانية	اهدت اليك وساوس الفكر
يا ليلة طالت على دنف	يشكو الغرام وقلة الصبر
اسلمت من يهوى لحر جوى	متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انني كلف	مغرى بحب شبيهة البدر
ما كنت احسبني بها شجنا	حتى بليت وكنت لا ادري

قال ثم انقطع الصوت ولم ادر من اين جاءني فبقيت حائرا واذا به قد اعاد البكاء والحنين وانشأ يقول هذه الابيات

اشجاك من ريا خيال زائر	والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مقلتك الهوى بسيبه	واهتاج مقلتك الخيال الزاهر
ناديت ليلى والظلام كانه	يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسري في السماء كانه	ملك ترحل والنجوم عساكر
يا ليل طلت على محب ما له	الا الصباح مساعد وموازر
فاجابني مت حتف انفك واعلمن	ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال فنهضت عند ابتدائه الابيات اؤم الصوت فما انتهى لآخر الابيات الا وانا عنده فرايته غلاما كما نزل عذاره وقد خرق الدمع وجنتيه خرقين

فقلت نعمت غلاما فقال وانت فمن الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسي قال
افلك حاجة قلت له كنت جالسا في الروضة فما راعني في هذه الليلة الا صوتك
بنفسي افديك ما الذي تجده قال اجلس فجلست قال انا عتبة بن الحباب بن
المنذر بن الجموح الانصاري غدوت الى مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم
اعتزلت عن بعيد واذا بنسوة يتهادين كالاقمار وفي وسطهن جارية بديعة الجمال
كاملة الملاحة فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصلك ثم
تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا وقفت لها على اثر فانا حيران انتقل من مكان
الى مكان ثم صرخ وانكب على الارض مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت خديه بورس
ثم انشد يقول هذه الابيات

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة	تراكم تروني بالقلوب على بعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم	وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست الذ العيش حتى اراكم	ولو كنت في الفردوس او جنة الخلد

قال فقلت له يا ابن اخي تب الى ربك واستغفر من ذنبك فان بين يديك
هول المطلع فقال هيهات ما انا بسال حتى يؤوب القارظان ولم ازل به حتى
طلع الفجر فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فقمنا اليه فجلسنا حتى صلينا الظهر
واذا بنسوة قد اقبلن واما الجارية فليست فيهن فقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة
وصلك وكاشفة مابك قال وما بالها قلن اخذها ابوها وارتحل الى السماوة
فسألتهن عن الجارية فقلن هي ريا بنت الغطريف السلمي فرفع راسه وانشأ يقول

خليلي ريا قد اجد بكورها	وسارالى ارض السماوة عيرها
خليلي اني قد غشيت من البكا	فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له يا عتبة اني وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر ووالله لابذلنه
امامك حتى تبلغ رضاك وفوق ارضي فقم بنا الى مسجد الانصار فقمنا حتى
اشرفنا على ملأ منهم فسلمت فاحسنوا الرد ثم قلت ايها الملأ ما تقولون

فی عتبۃ وابیہ قالوا من سادات العرب قلت فانہ رمی بداھیۃ من الھوے فارید منکم المساعدۃ الی السماوۃ قالوا سمعا وطاعۃ وركبنا وركب القوم معنا حتی اشرفنا علی منازل بنی سلیم فاعلم الغطریف بمکاننا فخرج مبادرا واستقبلنا وقال حییتم باکرام قلنا وانت حییت انا لك اضیاف فقال نزلتم باکرم منزل ثم نادی یا معشر العبید انزلوا منزل العبید ففرشت الانطاع والنمارق وذبحت النعم والغنم فقلنا لسنا بذائقین طعامك حتی تقضی حاجتنا فقال وما حاجتکم قلنا نخطب بنتك الکریمۃ لعتبۃ بن الحباب ابن المنذر العالی المفخر الطیب العنصر فقال یا اخی ان التی تخطبونہا امرھا الی نفسہا وانا ادخل واخبرھا ثم نھض مغضبا ودخل الی ریا فقالت یا ابت مالی اری الغضب بین عینیك فقال ورد علی قوم من الانصار یخطبونك منی فقالت سادات کرام استغفر لھم النبی صلی اللہ علیہ وسلم فلمن الخطبۃ فیہم قال لفتی یعرف بعتبۃ بن الحباب قالت سمعت عن عتبۃ ھذا انہ یفی بما وعد ویدرك ما طلب قال اقسمت لا ازوجنك بہ ابدا فقد نمی الی بعض حدیثك معہ قالت ما کان ذلك قال ولکن اقسمت ان لا ازوجك بہ قالت احسن الیہم فان الانصار لا یردون موردا قبیحا فاحسن الرد قال بای شئ قالت اغلظ علیہم المھر فانہم یرجعون قال ما احسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال ان فتاۃ الحی قد اجابت ولکن ارید لھا مھر مثلہا فمن القائم بہ قال عبد اللہ فقلت انا فقال ارید لھا الف سوارۃ من ذھب احمر وخمسۃ آلاف درھم من ضرب ھجر ومائۃ ثوب من الابراد والحبر وخمسۃ اکرشۃ من العنبر قال قلت لك ذلك فھل اجبت قال اجل فانفذ عبد اللہ نفرا من الانصار الی المدینۃ المنورۃ فاتوا بجمیع ما ضمنہ وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لاکل الطعام قال فاقمنا علی ھذا الحال اربعین یوما ثم قال خذوا فتاتکم فحملناھا علی ھودج وجھزھا بثلاثین راحلۃ من التحف ثم ودعنا وانصرف

وسرنا حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب انها من بني سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال وانجرف راجعا وبه طعنة ثم سقط الى الارض واتتنا النصرة من سكان تلك الارض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعنا الجارية تقول واعتبتاه فالقت نفسها من على البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح وتقول بحرقة هذه الابيات

تصبرت لا انى صبرت وانما	اعلل نفسي انها بك لاحقه
ولو انصفت روحي لكانت الى الردى	اماماتمن دون البرية سابقه
فما احد بعدى وبعدك منصف	خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت نحبها واحتفرنا لهما قبرا واحدا وواريناهما التراب ورجعت الى ديار قومى واقمت سبع سنين ثم عدت الى الحجاز ووردت المدينة المنورة للزيارة فقلت لاعودن الى قبر عتبة فاتيت الى القبر فاذا الشجرة عليها عصائب حمر وصفر وخضر فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة فقالوا الشجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به ومثل ما تقدم من العشق وما ورد فى كتمان الهوى مع تحقق النظر عند اعلانه ما حكى عن بعض المعمرين من ذوى النعم قال بينما انا فى منزلى اذ دخل علي خادم لي ومعه كتاب فقال رجل بالباب دفع الي هذا الكتاب ففتحته فاذا فيه شعر

تجنبك البلاء ونلت خيرا	ونجاك المليك من الغموم
ثعندك لو منتت شفاء نفسى	واعضاضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله وقلت للخادم اخرج وائتني به فخرج فلم ير احدا فعجبت من امره واحضرت الجوارى كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج منهن وسألتهن عن ذلك فحلفن انهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب شيئا فقلت انى لم

افعل ذلك بجلا بمن يهوى منكن فمن عرفت بحال هذا الفتى فهي هبة منى له بما لها ومائة دينار وكتبت جوابه اشكره على ذلك واساله قبولها ووضعت الكتاب في جنب البيت ومائة دينار وقلت من عرف شيئا فليأخذه ومكث الكتاب والذهب ايا ما لا ياخذه احد فغمنى ذلك وقلت هذا تبع ممن يحبه بالنظر فمنعت من يخرج من جوارى من الخروج فما كان الا يوما او بعض يوم اذ دخل على الخادم ومعه كتاب وقال هذا من بعض اصدقائك بعث به اليك فقلت اخرج وائتنى به فخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فاذا فيه هذه الابيات

ماذا اتيت الى روح معلقة	عند التراقى وحادى الموت حاديها
حثثت حاديها ظلما فجد بها	فى السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لو قيل لى تأتى بفاحشة	وان عقباك دنيانا وما فيها
لقلت لا والذى اخشى عقوبته	ولا باضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياء لبحنا بالذى سكنت	بيت الفؤاد وابدينا اماينها

قال فغمنى امره وقلت للخادم لا يأتينك احد بكتاب الا قبضت عليه قال وقرب موسم الحاج قال فبينما انا قد افضت من عرفة واذا فتى الى جانبى على ناقة لم يبق منه الا الخيال فسلم على فرددت عليه السلام ورحبت به فقال اتعرفنى فقلت وما انكرك بسوء فقال انا صاحب الكتابين فانكببت عليه فقلت له يا اخى لقد غمنى امرك واقلقنى كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبتك وماثة دينار فقال بارك الله لك انما اتيتك مستحلا من نظر كنت انظره على غير حكم الكتاب والسنة فقلت غفر الله لك وللجارية فسر معى الى منزلى لاسلمها اليك ومائة دينار ومثلها فى كل سنة فقال لا حاجة لى بذلك فالححت عليه فلم يفعل فقلت له اما اذا ابيت فعرفنى من هى من جوارى لا كرمها من اجلك ما حييت فقال ما كنت لاسميها لاحد وودعنى وانصرف وكان آخر العهد به اهـ وعدنا الى الكلام على ما وقع فى زمان عبد الملك بن مروان

روى انه لما ولى الحجاج الحرمين الشريفين حظى عنده ابراهيم بن محمد بن طلحة فلما اراد الحجاج الرجوع الى الشام الى عبد الملك بن مروان وفد معه ابراهيم ابن محمد بن طلحة وقال ابتيك برجل الحجاز فى الشرف والابوة والفضل والمروة يا امير المؤمنين مع ما هو عليه من حسن الطاعة وجميل المناصحة والله لم يكن فى الحجاز له نظير فبالله عليك يا امير المؤمنين الا فعلت معه من الخير ما هو مستحقه فقال عبد الملك من هو يا ابا محمد قال له ابراهيم بن محمد بن طلحة قال يا ابا محمد لقد ذكرتنا الحق واجب ائذن له فى الدخول فلما دخل على عبد الملك امر بجلوسه فى صدر المجلس ثم قال ان ابا محمد الحجاج ذكر لنا ما نعرفه من كمال مروئتك وحسن نصيحتك فلا تدع فى صدرك حاجة الا اعلمتنا بها حتى نقضيها لك ولا نضيع شكر ابى محمد الحجاج فيك قال ابراهيم ان الحاجة التى ابتغى بها وجه الله تعالى والتقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم فى القيامة ونصيحة امير المؤمنين فانا ابديها يا امير المؤمنين قال قال الا اقولها وبينى وبينك ثالث قال ولا صديقك الحجاج قال لا قال قم فقام خجلا وهو لا يعرف اين تطأ رجله فلما مضى قال لى هات نصيحتك فقال ابراهيم يا امير المؤمنين وليت الحجاج الحرمين الشريفين وفيهما من تعرف من اولاد المهاجرين والانصار وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما تعلمه من ظلمه وعسفه وجوره وبعده عن الحق وقربه الى الباطل يسومهم الخسف ويطؤهم بالعسف فليت شعرى اى جواب اعددته لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألك فى عرصات القيامة عن ذلك فبالله عليك يا امير المؤمنين الا عزلته وادخرتها قربة الى الله تعالى. فقال عبد الملك لقد ظن الحجاج الخير بغير اهله ثم قال يا ابراهيم قم فقمت على اخس حال وخرجت من المجلس وقد اسودت الدنيا فى وجهى فتبعنى حاجبه وقبض على يدى وجلس بى فى الدهليز ثم دعا عبد الملك بالحجاج فدخل فمكث طويلا فما شككت الا انهما يتشاوران فى قتلى ثم دعانى فقمت ودخلت

فوافاني الحجاج خارجا من عند الخليفة فقال جزاك الله عني خيرا في هذه النصيحة اما والله لئن عشت لارفعن قدرك ثم تركني وخرج ودخلت وانا اقول يهزأ بي وهو معتد فدخلت على عبد الملك فاجلسني مجلسي الاول ثم قال لي قد علمت صدقك وقد عزلته عن الحرمين وولية العراق واعلمته انك استقللت له الحجاز واستدعيت له العراق وانك تطلب له الزيادة في الاعمال وهو يظن انك السبب في توليته العراق وقد تهلل وجهه فرحا لذلك فسر معه ابما توجه يولك خيرا ولا تقطع نصيحتك عنا والله اعلم وفي مروج الذهب للمسعودي وشرح السيرة وغيرهما ان ام الحجاج بن يوسف وهي الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فثقب دبره وابى ان يقبل ثدي امه وغيرها فاعياهم امره فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة الحارث ابن كلدة فقال ما خبركم فقالوا ولد ليوسف الثقفي من الفارعة ولد وقد ابى ان يقبل ثدي امه فقال اذبحوا له تيسا اسود والعقوه دمه ثم اذبحوا له اسود سالخ واولغوه من دمه واطلوا به وجهه ثلاثة ايام ففعلوا فقبل الثدي في اليوم الرابع فكان لا يصبر عن سفك الدم وارتكاب امور لا يقدر عليها غيره انتهى من حياة الحيوان في حرف التاء وحكي ان الحجاج انفرد يوما من عسكره فلقي اعرابيا فقال له يا وجه العرب كيف الحجاج فقال ظالم غاشم قال هلا شكوته الى عبد الملك بن مروان قال اظلم واغشم عليهما لعنة الله فبينما هو كذلك اذ تلاحقت به عساكره فعلم الاعرابي انه الحجاج فقال الاعرابي ايها الامير السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه احد الا الله فتبسم الحجاج واحسن اليه وانصرف وذكر اهل التواريخ ان الحجاج بن يوسف الثقفي سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطة فقال يا خالد ائتني بمحدث من المسجد والناس اذ ذاك يطلبون المقام في المسجد فانتهى الى شاب قائم يصلي فجلس حتى سلم ثم قال اجب الامير قال ابعثك الامير الي قاصدا قال نعم فمضى معه حتى انتهى الى الباب فقال له خالد كيف انت ومحادثة الامير قال سيجدني كما يحب ان شاء الله تعالى فلما دخل عليه قال له الحجاج هل قرأت القرآن قال نعم وقد حفظته قال فهل

تروى شيئا من الشعر قال ما من شاعر الا وا روى عنه قال فهل تعرف من انساب
العرب ووقائعها قال لا يذهب عنى شئ من ذلك فلم يزل يحدثه بكل ما احب
حتى اذا هم بالانصراف قال يا خالد مر للفتى ببرذون وغلام ووصيفة واربعة
آلاف درهم فقال الفتى اصلح الله الامير بقى من حديثى اظرفه واعجبه فعاد الحجاج
الى مجلسه وقال حدثنى فقال اصلح الله الامير هلك والدى وانا طفل صغير
فنشأت فى حجر عمى وله ابنة بسنى وكان فى الصبا من التصابى وماكنا فيه اعجوبة
حتى اذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها وبذلوا فيها اموالا لجمالها وكمالها فلما
رايت ذلك خامرنى السقم وضنيت ورميت على الفراش ثم عدت الى خابية عظيمة
فملأتها رملا وصخرا وانبرت راسها ودفنتها تحت فراشى فلما تم على ذلك ايام بعثت
الى عمى فقلت يا عم انى كنت اريد ان اسافر فوقعت على مال عظيم وخفت ان اموت
ولا يعلمه احد فان حدث بى امر فاخرجه واعتق عنى عشر نسمات واحج عنى عشر
حجج وجهز عنى عشر رجال بخيولهم واسلحتهم وتصدق عنى بالف دينار ولا تبل
يا عم فان المال كثير فلما سمع عمى مقالتى اتى امرأته فاخبرها بقولى فما كان باسرع
من ان اقبلت بجواريها حتى دخلت على فوضعت يدها على راسى ثم قالت والله
يا ابن اخى ما علمت بسقمك وما علمت حتى اخبرنى ابو فلان الساعة واقبلت تلاطفنى
وتعالجنى بالادوية وحملت لى لطائف وردت الخطاب عن ابنتها فلما رايت ذلك
تحاملت ثم بعثت الى عمى فقلت يا عمى ان الله عز وجل قد احسن الى وعافانى فابغ
لى جارية من خصالها وكمالها وجمالها كيت وكيت ولا يسالونك شيئا الا اعطيته
فقال يا ابن اخى ما يمنعك من ابنة عمك فقلت هى من اعز خلق الله تعالى على غير انى
قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت قال كلا ان الامتناع كان من قبل امها وهى الآن قد
سمحت ورضيت بذلك فلت شأنك فرجع الى امرأته فاخبرها بقولى فجمعت عشيرتها
فزوجونى اياها فقلت عجل على بابنة عمى كيف شئت ثم اريك الخابية فاهديت
الى ولم تدع شيئا يصنع باشراف النساء الا فعلته ثم زفت ابنتها على واحضرتها بكل ما

وجدت اليه سبيلا واخذ عمى متاعا من التجار بعشرة آلاف درهم وكان يأتينا
فى كل صباح من قبل ابويها العائف ونحف مدة فلما كان بعد ذلك بايام اتانى
عمى وقال يا ابن اخى انا قد اخذنا من التجار متاعا بعشرة آلاف درهم وليسوا
صابرين على حبس الثمن قلت شأنك والخابية فمر مسرعا حتى جآء بالرجال و
الحبال فاستخرجها وحملها ومر مسرعا بها الى منزلہ فلما بطحها كان فيها ما
عملت فما كان باسرع من ان جاءت امها بجواريها فلم تدع فى منزلى كثيرا ولا
قليلا الا حملته فبقيت مهانا على الارض وجفتنا كل الجفاء فهذا حالى اصلح الله
الامير فانا من خجلى وضيق صدرى آوى الى المساجد فقال الحجاج يا خالد مر
للفتى بثياب ديباج وفرس ارمنية وجارية وبرذون وغلام وعشرة آلاف درهم
وقال يا فتى اغد الى خالد غدا حتى تستوفى منه المال فخرج الفتى من عند الحجاج
قال فلما انتهيت الى باب دارى سمعت ابنة عمى تقول ليت شعرى ما ابطأ ابن عمى
اقتل ام مات ام عرض له سبع قال فدخلت عليها وقلت يا ابنة عمى ابشرى وقرى
عينا انى ادخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت وحكيت لها ما كان من امرى
فلما سمعت الفتاة مقالتى لطمت وجهها وصاحت فسمع ابوها وامها واخوتها
صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها ما شأنك فقالت لابيها لا وصل الله رحمك ولا
جزاك عنى وعن ابن اخيك خيرا اجفيته وضيعته حتى اصابته الخفة وذهب عقله
اسمع مقالته فقال العم يا ابن اخى ما حالك فقلت والله ما بى من باس الا انى ادخلت
على الحجاج وذكر له من امره ما كان وانه امر له بمال جزيل فقال العم لما سمع مقالته
هذه مرة صفراء ثائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما اصبحوا بعثوا الى المعالج
فجعل يعالجه ويسعطه مرة ويمهله اخرى فيقول الفتى والله ما بى من بأس وانما
ادخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما رأى الفتى ان ذكر الحجاج لا يزيده الا بلاء
كف عنه وعن ذكره ثم قال له ما تقول فى الحجاج قال ما رأيته ثم خرج المعالج فقال
لهم قد ذهب عنه الاذى ولكن لا تعجلوا بحل قيده فبقى الفتى مقيدا مغلولا فلما كان

بعد ایام ذکرہ الحجاج فقال یاخالد مافعل بالفتی فقال اصلح اللہ الامیر ما رایتہ
منذ خرج من حضرۃ الامیر قال فابعث الیہ احدا فان لہ فبعث الیہ خالد حرسیا فمر الحربیہ
علی عم الفتی فقال لہ مافعل ابن اخیک فان الحجاج یطلبہ قال ان ابن اخی لفی
شغل عن الحجاج قد ابتلی ببلاء فی عقلہ قال لا ادری ما تقول لا بد من الذہاب
بہ الساعۃ فدخل علیہ العم فقال یا ابن اخی ان الحجاج قد بعث فی طلبک
افاحلک قال لا الا بین یدیہ فحمل فی قیودہ وغلہ علی ظہور الرجال حتی ادخل
علی الحجاج فلما نظرہ من بعد جعل یرحب بہ حتی انتہی الیہ فکشف قیدہ وغلہ
وقال اصلح اللہ الامیر ان آخر امری اعجب من اولہ وحدثہ بحدیثہ فعجب
الحجاج وقال یاخالد اضعف للفتی ما کنا قد امرنا لہ فقبض المال اجمع وحسن
حالہ ولم یزل مسامر الحجاج حتی مات انتہی وحضر اعرابی عند الحجاج فقدم الطعام
فاکل الناس منہ ثم قدمت الحلوی فترک الحجاج الاعرابی حتی اکل منہا لقمۃ ثم
قال من اکل من الحلوی ضربت عنقہ فامتنع الناس من اکلہا وبقی الاعرابی ینظر
الی الحجاج مرۃ والی الحلوی مرۃ ثم قال ایہا الامیر اوصیک باولادی خیرا ثم اندفع
یاکل فضحک الحجاج حتی استلقی علی قفاہ وامر لہ بصلۃ وحکی ان الحجاج امر
صاحب حراستہ ان یطوف باللیل فمن وجدہ بعد العشاء ضرب عنقہ فطاف
لیلۃ فوجد ثلاث صبیان یتمایلون وعلیہم اثر الشراب فاحاط بہم وقال لہم
من انتم حتی خالفتم الامیر فقال الاول

انا ابن من دانت الرقاب لہ	ما بین مخزومہا وہاشمہا
تاتی الیہ الرقاب صاغرۃ	یاخذ من مالہا ومن دمہا

فامسک عن قتلہ وقال لعلہ من اقارب امیر المؤمنین وقال الثانی

انا ابن الذی لاینزل الدہر قدرہ	وان نزلت یوما فسوف تعود
تری الناس افواجا الی ضوء نارہ	فمنہم قیام حولہا وقعود

فامسک عن قتلہ وقال لعلہ من اشراف العرب وقال الثالث

اناابن الذی خاض الصفوف بعزمه		وفوّمها بالسیف حتی استقامت
وکاباه لا تنفک رجلاه منهما		اذا الخیل فی یوم الکریہۃ ولت

فاسکت عن قتلہ وقال لعلہ من شجعان العرب فلما اصبح رفع امرہم الی الحجاج فاحضرہم وکشف عن حالہم فاذا الاول ابن حجام والثانی ابن فوال والثالث ابن حائک فتعجب الحجاج من فصاحتہم وقال لجلسائہ علموا اولادکم الادب فواللہ لولا الفصاحۃ لضربت اعناقہم ثم اطلقہم وانشد

کن ابن من شئت واکتسب ادبا		یغنیک محمودہ عن النسب
ان الفتی من یقول ھا انا ذا		لیس الفتی من یقول کان ابی

وقیل امر الحجاج بقتل اسری فقتل منہم جماعۃ فقال رجل منہم وقد عرض للقتل یا حجاج ان کنا اسأنا فی الذنب فما احسنت فی العفو واللہ تعالی یقول فاذا لقیتم الذین کفروا فضرب الرقاب حتی اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فہذا قول اللہ فی الکفار فکیف بالمسلمین

وقد قال الشاعر

وما نقتل الاسری ولکن نفکهم		اذا اثقل الاعناق حمل القلائل

فقال الحجاج اف لہؤلاء الجیف واللہ لو قال ہؤلاء مثل ما قال ہذا الرجل ما قتلت منہم احدا ولکن اطلقوا بقیتہم قال الراوی ولما ولی الحجاج العراق قال علی بالمرأۃ الحروریۃ فلما حضرت قال لہا کنت بالامس فی وقعۃ ابن الزبیر تحرضین الناس علی قتل رجالی ونہب اموالی قالت نعم قد کان ذلک یا حجاج فالتفت الحجاج الی وزرائہ وقال ما ترون فی امرہا فقالوا عجل بقتلہا فضحکت المرأۃ فاغتاظ الحجاج وقال ما اضحکک قالت وزراء اخیک فرعون خیر من وزرائک ہؤلاء قال وکیف ذلک قالت لانہ استشارہم فی موسی فقالوا ارجہ واخاہ ای انظرہ الی وقت آخر وہؤلاء یسئلونک تعجیل قتلی فضحک الحجاج وامر لہا بعطاء واطلقہا وحکی ان ہند بنت

النعمان كانت احسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي الف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد ابيها المعرة وكانت هند فصيحة اديبة فاقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فاقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول ـــــ

وما هند الا مهرة عربية	سلالة افراس تحللها بغل
فان ولدت فحلا فلله درها	وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد الحجاج طلاقها فانفذ اليها عبد الله بن طاهر وانفذ لها معه مائتي الف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك ابو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا الف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتا الف درهم هي لك بشارتك بخلاصي من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ امير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فارسل اليها يخطبها لنفسه فارسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين ان الكلب ولغ في الاناء فلما قرأ عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فغسل الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب امير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين اني لا اجري العقد الا بشرط فان قلت ما الشرط اقول ان يقود الحجاج محملي من المعرة الى بلدك التي انت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها اولا فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديدا وارسل الى الحجاج يأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة امير المؤمنين اجاب ولم يخالف وامتثل الامر وارسل الحجاج الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة

بلد هند فركبت هند في محمل وركب حولها جواريها وخدمها فانزحل الحجاج وهو حاف واخذ بزمام البعير يقوده ويسير بها فاخذت تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت لدايتها يا دايتي اكشفي لي ستارة المحمل لنشم رائحة النسيم فكشفته فوقع وجهها في وجهه فضحكت عليه فانشد يقول

قال تضحكي يا هند يا طول ليلة	تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته تقول

وما بنالي اذا ارواحنا سلمت	بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع	اذ النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تلعب وتضحك الى ان قربت من بلد الخليفة فلما قربت من البلد رمت من يدها دينارا على الارض وقالت يا جمال انه سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من امرها ما كان اذكر في حياة الحيوان قال عون بن ابي شداد العبدي بلغني ان الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير ارسل قائدا من الشام يسمى المتلمس بن الاحوص ومعه عشرون رجلا فبينما هم يطلبونه اذا هم براهب في صومعة له فسألوه عنه فقال الراهب صفوه لي فوصفوه فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجي ربه بأعلى صوته فدنوا منه فسلموا عليه فرفع رأسه فاتم بقية صلوته ثم رد عليهم السلام فقالوا له ارسل الحجاج اليك فاجبه قال ولا بد من الاجابة قالوا لا بد فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قام فمشى معهم حتى انتهى الى دير الراهب فقال الراهب يا معشر الفرسان اصبتم صاحبكم قالوا نعم قال اصعدوا الى الدير فان الاسد واللبوة يأويان الدير فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك وابى سعيد ان يدخل الدير فقالوا

ما اربك الا تريد الهرب قال لا ولكن لا ادخل منزل مشرك ابدا قالوا فانا لا نامن عليك من
السباع تقتلك قال سعيد ان معى ربى يصرفها عنى ويجعلها حرسا لى من كل سوء
ان شاء الله تعالى قالوا فانت نبى من الانبياء قال ما انا من الانبياء ولكن عبد
من عبيد الله خاطئ مذنب قالوا احلف لنا انك لا تبرح فحلف لهم فقال لهم الراهب
اصعدوا الدير واوتروا القسى لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فانه كره الدخول
علي في الصومعة لمكانكم فلما خلوا واوتروا القسي اذا هم بلبوة قد اقبلت فلما دنت من
سعيد تحككت به وتمسحت به ثم ربضت قريبا منه واقبل الاسد فصنع مثل
ذلك فلما رأى الراهب ذلك واصبحوا انزل اليه وساله عن شرائع الاسلام وسنن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففسر سعيد ذلك كله فاسلم الراهب وحسن اسلامه
واقبل القوم على سعيد يعتذرون اليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب
الذى وطئه بالليل وصلوا عليه وقالوا يا سعيد حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق
ان نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك اليه فمرنا بما شئت قال امضوا لشأنكم فانه
لا بد من الرجوع لخالقي ولا راد لقضائه فساروا حتى وصلوا واسط فلما انتهوا قال
لهم سعيد يا معشر القوم قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست اشك ان اجلي قد
حضر وان المدة قد انقضت فدعوني الليلة آخذ اهبة الموت واستعد لمنكر و
نكير واذكر عذاب القبر وما يحثى علي من التراب فاذا اصبحتم فالميعاد بيني وبينكم
المكان الذى تريدون فقال بعضهم لا تريدوا اثرا بعد عين قال بعضهم قد بلغتم
امنيتكم واستوجبتم جوائزكم من الامير فلا تعجزوا عنه فقال بعضهم هو علي ادفعه
اليكم ان شاء الله فنظروا الى سعيد قد دمعت عيناه واغبر لونه ولم يأكل ولم يشرب
ولم يضحك منذ لقوه فقالوا باجمعهم يا خير اهل الارض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل
اليك الويل لنا كيف ابتلينا ما عذرنا عند خالقنا يوم الحشر الاكبر والمجاوبة له قال
كفيلها اسألك يا سعيد بالله الا ما زودتنا من دعائك وكلامك فانا لا نلقى مثلك ابدا
فدعا لهم سعيد ثم خلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وهم مشتغلون الليل كله

فلما انكشف عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب فقالوا صاحبكم ورب الكعبة فنزلوا اليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به الى الحجاج فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير فلما مثل بين يديه قال ما اسمك قال سعيد بن جبير قال انت شقى ابن كسير قال بل امى كانت اعلم باسمى منك قال شقيت انت وشقيت امك قال الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا قال لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك لها قال فما قولك فى محمد قال نبى الرحمة قال فما قولك فى على افى الجنة ام فى النار قال لو دخلتهما وعرفت اهلهما عرفت من فيهما قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فايهم احب اليك قال ارضاهم لخالقى قال فايهم ارضى للخالق قال علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال ايضحك مخلوق خلق من الطين والطين تاكله النار قال فما بال الناس يضحك قال لم تستوا القلوب قال ثم امر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضعه بين يديه فقال سعيد ان كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيمة فصالح والا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما ارضعت ولا خير فى شئ جمع للدنيا الا ما طاب وزكا ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك يا سعيد اى قتلة تريد ان اقتلك قال اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلنى قتلة الا قتلك الله مثلها فى الآخرة قال افتريد ان اعفو عنك قال ان كان العفو من الله بلى واما انت فلا قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فاخبر الحجاج بذلك فامر برده وقال له ما اضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك فامر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوه قال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قال وجهوه لغير القبلة قال سعيد فاينما تولوا فثم وجه الله قال كبوه لوجهه فقال سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فقال الحجاج اذبحوه فقال سعيد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم لا تسلطه على احد يقتله بعدى فذبح

على النطع رحمه الله فكانت رأسه بعد قطعها تقول لا اله الا الله وعاش الحجاج بعدها خمسة عشر يوما وذلك فى سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد رضى الله عنه نحو اربعين سنة والله اعلم

خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

كان يختم القرآن فى ثلاث وكان يختم فى رمضان سبع عشرة ختمة قال ابراهيم بن علية كان يعطينى اكياس الدنانير اقسمها فى الصالحين وكان يقول لولا ان الله عز وجل ذكر اللواط فى كتابه العزيز ما ظننت ان احدا يفعله قال الحافظ ابن عساكر كان الوليد عند اهل الشام من افضل خلفائهم بنى المسجد بدمشق وفرض للعميان ومبين ما يكفيهم وقال لا تسألوا الناس واعطى كل مقعد خادما وكل اعمى قائدا وذكر ان جملة ما انفق على بناء المسجد الاموى اربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل وما كمل بناءه الا اخوه سليمان لما ولى الخلافة وفعل خيرات كثيرة وآثارا حسنة وبعد هذا كله فقد روى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لما ادرج فى اكفانه غلت يداه الى عنقه نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ونسأله حسن الخاتمة انتهى من حياة الحيوان

خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان

فما يذكر من محاسنه ان رجلا دخل عليه فقال يا امير المؤمنين انشدك الله والاذان فقال سليمان اما انشدك الله فقد عرفناه فما الاذان قال قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فقال سليمان ما ظلامتك قال ضيعتى الفلانية غلبنى عليها عاملك فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الارض وقال والله لا رفعت خدى من الارض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده على الارض لما سمع كلام ربه الذى خلقه وخوله فى نعمه خشى من لعن الله وطرده رحمه الله قيل انه اطلق من سجن الحجاج ثلثمائة

الف نفس ما بين رجل وامرأة وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز
وزيرا ومشيرا وكان شرها فى الاكل نكاحا قال ابن خلكان فى ترجمته انه كان
ياكل كل يوم نحو مائة رطل شامى قال محمد بن سيرين رحمه الله سليمان افتتح خلافته
بخير وختمها بخير افتتحها باقامة الصلاة لمواقيتها الاولى وختمها باستخلافه لعمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه وقال ابو سويد حدثنى ابو زيد الاسدى قال دخلت
على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان مباطن بالرخام الاحمر مفروش بالديباج
الاخضر فى وسط بستان ملتف قد اثمر واينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن
احسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح
على الاشجار وتمايلت فقلت السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته وكان
مطرقا فرفع رأسه وقال يا ابا زيد فى مثل هذا الحين تصالحنا فقلت اصلح الله
الامير او قامت القيامة قال نعم على اهل المحبة ثم اطرق مليا ورفع رأسه وقال يا ابا زيد
ما يطيب فى يومنا هذا قلت اعز الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها
غادة هيفاء ملفوفة لفاء اشربها من كفها وامسح فى بخدها فاطرق سليمان مليا
لا يرد جوابا تتحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأين الوصائف ذلك تنحين عنه
ثم رفع رأسه فقال يا ابا زيد حضرت فى يوم انقضاء اجلك ومنتهى مدتك وتصرم
عمرك والله لاضربن عنقك او لتخبرنى ما اثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم
ايها الامير كنت جالسا على باب اخيك سعد بن عبد الملك فاذا انا بجارية قد خرجت
من باب القصر كانها غزال انفلتت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانى
يبين منها بياض ثدييها وتدوير سرتها وتقش تكتها وفى رجليها نعلان صفراوان قد
اشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذوائبين تضرب حقويها ولها صدغان كانهما
نونان وحاجبان قد تقوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وانف كانه
قصبة بلور وفم كانه جرح يقطر دما وهى تقول عباد الله من لى بدواء من لا يسلى
وعلاج من لا ينسى طال الحجاب وابطأ الجواب فالقلب طائر والعقل عازب والنفس

والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة والى العزاء سبيل لكان امرا جميلا ثم اطرقت مليا ورفعت رأسها فقلت ايتها الجارية انسية انت امر جنية سماوية اما رضية فقد اعجبني ذكاء عقلك واذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كانها لم ترني ثم قالت اعذر ايها المتكلم فما اوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله اصلح الامير ما اكلت طيبا الا غصصت به لذكرها وما رأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان يا ابا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا ابا زيد ان تلك الجارية التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

كانما الذلفاء ياقوتة — اخرجت من كيس دهقان

شراؤها على اخي الف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات انما يموت بحبها ولا يدخل القبر الا بغضها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت هيبة قم يا ابا زيد في دعة الله يا غلام ثقلة ببدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة له صارت اليه الذلفاء فامر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها انواع الزهر من اصفر فاقع واحمر ساطع وابيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان كان به يأنس واليه يسكن فامره ان يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل في اكل وشرب وسرور الى ان انصرف شئ من الليل فذهب الى فسطاطه وذهب سنان ايضا فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرى اصلحك الله قال وما قراكم قالوا اكل وشرب وسماع قال اما الاكل والشرب فمباحان لكم واما السماع فقد عرفتم غيرة امير المؤمنين ونهيه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا اغنيكموه قالوا غننا بصوت كذا وكذا قال فشرع يتغنى بهذه الابيات

مجحوبة سمعت صوتے فارقها | من آخر الليل لما نبه السحر
فی ليلة البدر ما يدری مضاجعها | اوجهها عنده ام عنده القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق | ندمعها الطرف الصوت يخدره
لو مكنت لمشت نحوی علی قدم | وكاد من لينها للمشی ينفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الی صحن الفسطاط فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خلق ولطافة الالات ذلك كله فی نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الی صحن الفسطاط فرآها علی تلك الحالة فقال ماهذا يا ذلفاء فقالت

الا رب شخص رائع ومشوّه | تهيج المحيا واصح الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله | الی امة يعزی مها والی عبد

فقال سليمان دعينی من هذا المحال فوالله لقد خامر قلبك منه يا غلام علیّ بسنان فدعت الذلفاء خادما لها وقالت له ان سبقت رسول امير المؤمنين الی سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وانت حر لوجه الله تعالی فخرج الرسولان فسبق رسول امير المؤمنين فلما اتی به قال يا سنان الم انهك عن مثل هذا قال يا امير المؤمنين حملنی الشمول وانا عبد امير المؤمنين وغرس نعمته فان رأی امير المؤمنين ان يعفو عنی فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن اما علمت ان الفرس اذا صهل تودقت له الحجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنی صغت اليه المرأة واياك والعود الی ماكان منك فيطول غمك انتهی وقيل كان فی ايام سليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر من بنی اسد كانت له مروءة ظاهرة ونعمة حسنة وفضل وبرّ بالاخوان فلم يزل علی تلك الحالة حتی تعد به الدهر فاحتاج الی اخوانه الذين كان يتفضل عليهم وكان يواسيهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اتی امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا ابنة عمی قد رايت من اخوانی تغيرا وقد عزمت علی ان الزم بيتی الی

ان يأتيني الموت فاغلق بابه واقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعي متولي الجزيرة فبينما هو في مجلسه اذ ذكر خزيمة ابن بشر فقال عكرمة للفياض ما حاله فقالوا قد صار الى امر لا يوصف وانه اغلق بابه ولزم بيته وانما سمي بذلك لاجل كرمه فما وجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافيا فقال لو الا فامسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد الى اربعة الآف دينار فجعلها في كيس واحد ثم امر باسراج دابته وخرج سرا من اهله فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فاخذ الكيس من الغلام ثم ابعده عنه وتقدم الى الباب فدفعه بنفسه فخرج اليه خزيمة فناوله الكيس وقال اصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه عن يده ثم امسك بلجام الدابة وقال له من انت جعلت فداك فقال له عكرمة يا هذا ما جئتك في هذا الوقت والساعة واريد ان تعرفني قال فما اقبله الا ان عرفتني من انت فقال انا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى ابنة عمه فقال لها ابشري فقد اتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا فهي كثيرة قومي فاسرجي قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق واما عكرمة فانه رجع الى منزله فوجد امرأته فقدته وسألت عنه فاخبرت بركوبه فانكرت ذلك وارتابت وقالت له والي الجزيرة يخرج بعد هدو من الليل منفردا من غلمانه في سر من اهله الا الى زوجة او سرية فقال اعلمي اني ما خرجت في واحدة منهما قالت فخبرني فيم خرجت قال يا هذه ما خرجت في هذا الوقت وانا اريد ان يعلم بي احد قالت لا بد ان تخبرني قال فاكتميه اذن قالت فاني افعل فاخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله ورده عليه ثم قال اتحبين ان احلف لك ايضا قالت لا فان قلبي قد سكن وركن الى ما ذكرت واما خزيمة لما اصبح صالح الغرماء واصلح ما كان من حاله ثم انه تجهز يريد سليمان بن عبد الملك وكان نازلا يومئذ بفلسطين فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فاخبره

بمكانه وكان مشهورا بمروته وكرمه وكان سليمان به عارفا فاذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك يا خزيمة ما ابطاك عنا قال سوء الحال قال فما منعك من النهضة الينا قال ضعفي يا امير المؤمنين قال فبم نهضت الينا الآن قال لم اعلم يا امير المؤمنين الا اني بعد هدء من الليل لم اشعر الا ورجل يطرق الباب وكان من امره كيت وكيت واخبره بقصة من اولها الى آخرها فقال سليمان هل تعرف الرجل فقال خزيمة ما عرفته يا امير المؤمنين وذلك انه كان متنكرا وما سمعت من لفظه الا اني جابر عثرات الكرام قال فتلهب وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه لكافأناه على مروته ثم قال علي بقناة فاتي بها فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملا عوضا عن عكرمة الفياض فخرج خزيمة طالب الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمة واهل البلد للقائه فسلما على بعضهما بعضا ثم سارا جميعا الى ان دخلا البلد فنزل خزيمة في دار الامارة و امر ان يؤخذ لعكرمة كفيل وان يحاسب فحوسب فوجد عليه فضول اموال كثيرة فطالبه باداتها قال مالي الى شيء من سبيل قال لا بد منها قال ليست عندي فاصنع ما انت صانع فامر به الى الحبس ثم انفذ اليه من يطالبه فارسل يقول انى لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت فامر ان يكبل بالحديد فاقام شهرا كذلك او اكثر فاضناه ذلك فاضر به وبلغ ابنة عمه خبره فجزعت واغتمت لذلك ثم دعت مولاة لها وكانت ذا عقل ومعرفة وقالت لها امضي الساعة الى باب هذا الامير خزيمة بن بشر وقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك فقولي لا اقولها الا للامير خزيمة بن بشر فاذا دخلت عليه فسليه ان يخليك فاذا فعل ذلك فقولي له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك كافاته بالحبس والضيق و الحديد ففعلت الجارية ذلك فلما سمع خزيمة كلامها نادى برفيع صوته واسوأتاه وانه لهو قالت نعم فامر لوقته بدابته فاسرجت وبعث الى وجوه اهل البلد فجمعهم اليه واتى بهم الى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه فرآه قاعدا في قاعة الحبس

تتغير اضناه الضر والالم وثقل القيود والاغلال فلما نظر اليه عكرمة والى الناس احشمه ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمة حتى اكب على رأسه فقبلها فرفع عكرمة اليه رأسه وقال ما اعقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافاتي قال يغفر الله لنا ولك ثم اتى بالحداد ففك القيود عنه وامر خزيمة ان توضع القيود في رجل نفسه فقال عكرمة ماذا تريد فقال اريد ان ينالني من الضر مثل ما نالك فقال اقسم عليك بالله لا تفعل فخرجا جميعا حتى وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة واراد الانصراف عنه فقال ما انت ببارح قال وما تريد قال اغير حالك وان حيائي من ابنة عمك اشد حياء منك ثم امر بالحمام فاخلي ودخلاه معا فقام خزيمة وتولى امره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستأذنه في الاعتذار الى ابنة عمه فاعتذر اليها وتذمم من ذلك قال ثم سأله بعد ذلك ان يسير معه الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم بالرملة فانعم له بذلك وسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فاعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والي الجزيرة يقدم بغير امرنا ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل قال له قبل ان يسلم ما وراءك يا خزيمة قال الخير يا امير المؤمنين قال فما الذي اقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت ان اسرك به لما رأيت من تلهفك وتشوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض قال فاذن له بالدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وادناه من مجلسه وقال يا عكرمة ما كان خيرك له الا وبالا عليك ثم قال سليمان اكتب حوائجك كلها وما تحتاج اليه في رقعة ففعل ذلك فامر بقضائها من ساعته وامر له بعشرة الاف دينار وسفطين ثيابا ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وارمينية واذربيجان وقال له امر خزيمة اليك ان شئت ان تبقيه وان شئت عزلته قال بل رده الى عمله يا امير المؤمنين ثم انصرفا من عنده جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته والله اعلم

خلافة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

امه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو تابعي جليل قال الامام احمد بن حنبل ليس احد من التابعين قوله حجة الا عمر بن عبد العزيز كان رضي الله عنه عفيفا زاهدا ناسكا عابدا مؤمنا تقيا صادقا ازال ما كانت بنوا امية تذكر به رضي الله عنه على المنابر وجعل مكان ذلك قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولما ولي الخلافة رضي الله عنه وفد الشعراء اليه واقاموا ببابه اياما لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء بن حيوة وكان جليس عمر فلما رآه جرير داخلا قام اليه وانشد يقول هذه الابيات

يا ايها الرجل المرخي عمامته ‏ ‏ ‏ ‏ هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر شيئا من امرهم ثم مر بهم عدي ابن ارطاة فقال جرير ابياتا آخرها قوله

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة ‏ ‏ ‏ ‏ قد طال مكثي عن اهلي وعن وطني

قال فدخل عدي على عمر وقال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة فقال ويحك يا عدي مالي وللشعراء قال اعز الله امير المؤمنين ان رسول الله قد امتدح واعطى ولك في رسول الله اسوة حسنة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فاعطاه حلة قطع بها كلامه قال اوتروي من قوله قال نعم وانشد يقول

رأيتك يا خير البرية كلها ‏ ‏ ‏ ‏ نشرت كتابا جاء بالحق معلما

شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا ‏ ‏ ‏ ‏ عن الحق لما اصبح الحق مظلما

ونورت بالبرهان امرا مدنسا ‏ ‏ ‏ ‏ واطفأت بالاسلام نارا تضرما

فمن مبلغ عني النبي محمدا ‏ ‏ ‏ ‏ وكل امرئ يجزى بما كان قدما

اقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه ‏ ‏ ‏ ‏ وقد كان قدما ركنه قد تهدما

فقال ويلك يا عدي من بالباب منهم قال عمر بن ربيعة قال اليس هو الذي

يقول شعرا

ثم نبهتها فقمت كعابا طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم انها لي قالت ويلتي قد عجلت يا ابن الكرام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان استره لا يدخل على والله ابدا من بالباب سواه قال الفرزدق قال اوليس هو الذي يقول

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز أكثم الرأس كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا احي فيرجى ام قتيل نحاذره

لا يدخل على والله ابدا ممن سواه منهم قال الاخطل قال يا عدي هو الذي قال

ولست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عيسى بكورا الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعود ادعوا قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا واسجد عند مبتلج الصباح

والله لا يدخل على ابدا وهو كافر فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاحوص قال هو الذي يقول

الله بيني وبين سيدها يفر بها عني واتبعه

ممن بالباب دون من ذكرت ايضا قال جميل بن معمر قال اوليس هو الذي يقول

فيا ليتنا نحيا جميعا وان امت يوافق موتي موتها وضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا لكان اصلح والله لا يدخل على ابدا فهل احد سوى من ذكرت قال جرير قال اوليس هو الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد هو الذي يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله

ولا تقل الا حقا فانشد قصيدته الرائية المشهورة التي منها هذه الابيات

انا لنرجوا اذا ما الغيث اخلفنا   من الخليفة ما نرجو من المطر
جاء الخلافة او كانت له قدرا   كما اتى ربه موسى على قدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها   فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا   بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال يا جرير لا ارى لك فيما ها هنا حقا قال بلى يا امير المومنين انا ابن سبيل منقطع فاعطاه من طيب ماله مائة درهم وقال ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الامر ولم نملك الا ثلثمائة درهم فمائة اخذها عبد الله ومائة اخذتها ام عبد الله يا غلام اعطه المائة الاخرى فاخذها جرير وقال والله لهى احب الي مما اكتسبته في عمري ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جرير فقال ما يسؤكم خرجت من عند خليفة يعطي الفقراء ويمنع الشعراء واني عنه لراض وانشد يقول

رايت رقى الشيطان لا يستفزه   وقد كان شيطاني من الجن راقيا

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

قال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني قال يونس الكاتب خرجت الى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ومعي جارية فائقة وكنت علمتها جميع ما تحتاج اليه وانا اقدر فيها انها تساوي مائة الف درهم قال فلما اقتربنا من الشام نزلت القافلة على غدير من الماء ونزلت ناحية منه واصبت من طعام كان معي واخرجت ركوة كان فيها نبيذ فبينما انا كذلك واذا بفتى حسن الوجه والهيئة على فرس اشقر ومعه خادمان فسلم علي وقال اتقبل ضيفا قلت نعم فاخذت بركابه ونزل وقال اسقنا من شرابك فسقيته فقال ان شئت ان تغني صوتا فغنيته

حازت من الحسن ما لا حازه البشر   فلذ لي في هواها الدمع والسهر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ثم قال قل لجاريتك فلتغن فامرتها فغنت

جرت حار قلبي في محاسنها   فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ولم يزل مقيما الى ان صلينا العشاء ثم قال ما اقدمك
علينا هذا البلد قلت اردت بيع جاريتي هذه قال فكم املت فيها من الثمن قلت ما اقضي
به ديني واصلح به حالي قال ثلاثون الفا قلت ما احوجني الى فضل الله والمزيد فيه
قال ايقنعك اربعون الفا قلت فيها اقضاء ديني وابقى صفر اليد قال قد اخذناها
بخمسين الفا من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك واشركك في
حالي ابدا ما بقيت فقلت قد بعتكها قال افتثق بي ان اوصل ذلك غدا اليك
واحملها معي او تكون عندك الى ان احمل ذلك اليك غدا فحملني السكر والحياء
مع الخشية منه على ان قلت نعم قد وثقت بك فخذها بارك الله لك فيها فقال
لاحد غلمانه احملها على دابتك وارتدف وراءها وامض بها ثم ركب فرسه وودعني
وانصرف فما هو الا ان غاب عني ساعة فعرفت موضع خطائي وغلطي وقلت ماذا
صنعت بنفسي اسلم جاريتي الى رجل لا اعرفه ولا ادري من هو وهب اني
عرفته فمن اين الصلة اليه فجلست متفكرا الى ان صليت الصبح ودخلوا اصحابي
دمشق وجلست حائرا لا ادري ما اصنع وقرعتني الشمس وكرهت المقام فهممت
بالدخول الى دمشق ثم قلت لم آمن ان الرسول يأتي فلا يجدني فاكون قد جنيت
على نفسي جناية ثانية فجلست في ظل جدار هناك فلما اضحى النهار واذا احد الغلمان
اللذين كانا معه قد اقبل علي فما اذكر اني سررت بشيء اعظم من سروري ذلك
الوقت بالنظر اليه فقال لي يا سيدي ابطأنا عليك فلم اذكر له شيئا مما كان بي ثم
قال لي تعرف الرجل قلت لا قال هو الوليد بن هشام ولي العهد فسكت عند ذلك
ثم قال قم فاركب واذا معه دابة فركبتها وسرنا الى ان وصلنا الى داره فدخلت
اليه واذا بالجارية قد وثبت وسلمت علي فقلت ما كان من امرك قالت انزلني
هذه الحجرة وامر لي بما احتاج اليه فجلست عندها ساعة واذا انا قد اتاني خادم له
فقال لي قم فقمت فادخلني على سيده فاذا هو صاحبي بالامس وهو جالس على
سريره فقال من تكون فقلت يونس الكاتب قال مرحبا بك قد كنت والله اليك

بضنين وكنت اسمع بخبرك فكيف كان مبيتك فی ليلتك قلت بخير اعزك الله قال فلعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت دفعت جاريتي الی رجل لا اعرفه ولا اعرف اسمه ولا من ای البلاد هو فقلت معاذ الله ايها الامير ان اندم ولو اهديتها الی الامير كانت اقل واخس وما قدر هذه الجارية فقال والله ولكني ندمت على اخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفني وقد دهمته وسفهت عليه في استعجالی لاخذ الجارية افتذكر ما كان بيننا قلت نعم قال بعتني هذه الجارية بخمسين الف درهم قلت نعم قال هات يا غلام المال فوضعوه بين يديه فقال هات يا غلام الف دينار فاتی بها ثم قال يا غلام هات خمسمائة دينار اخری فجاء بها ثم قال هذا ثمن جاريتك نضمه اليك وهذه الف دينار لحسن ظنك بنا وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تبتاعه لاهلك رضيت قلت رضيت وقبلت يده وقلت والله قد ملأت عيني ويدي ثم قال والله انی لم ادخل بها ولا شبعت من غنائها علی بها فجاءت فامرها بالجلوس فجلست فقال لها غنی فانشدت تقول شعرا

ايا من حاز كل الحسن طرا ويا حلو الشمايل والدلال

جميع الحسن في عجم وعرب وما في الكل مثلك يا غزالی

فاعطف يا مليح علی محب بوعدك او بطيف من خيال

حلا لی فيك ذلی وانتضاحی وطاب لمقلتي سهر الليالی

وما انا فيك اول مستهام نكم قبلی قتلت من الرجال

رضيتك لی من الدنيا نصيبا وانت اعز من روحی ومالی

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تاديبی لها وتعليمی اياها ثم قال يا غلام قدم له دابة بسرجها والتها لركوبه وبغلا لحمل حوائجه وثقله ثم قال يا يونس اذا بلغك ان هذا الامر قد افضی الی فالحق بی فوالله لاملأن لك يديك ولاعلين قدرك ولاغنينك ما بقيت قال فاخذت المال وانصرفت فلما افضت الخلافة اليه سرت اليه فوفی والله بوعده وزاد فی اكرامی وكنت معه علی احسن حال واسنی منزلة وقد اتسعت احوالی

وكثرت اموالى وصارلى من الضياع والاملاك ما يكفينى الى مماتى ويكفى من بعدى ولمن انزل معه حتى قتل عفا الله عنه وقيل انه لما حج هشام فى ايام ابيه طاف بالبيت و جهد ان يصل الى الحجر الاسود ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من اهل الشام فبينما هو كذلك اذ اقبل زين العابدين على بن الحسين بن على بن ابيطالب رضى الله عنهم اجمعين وكان من احسن الناس وجها واطيبهم اريجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر الاسود تنحى له الناس حتى استلم فقال رجل من اهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه مخافة ان يرغب فيه اهل الشام وكان ابو فراس الفرزدق حاضرا فقال انا اعرفه فقال الشامى من هذا يا ابا فراس فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرام

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطاهر العلم

اذا رأته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهى الكرم

ينمى الى ذروة العز التى قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

فى كفه خيزران ريحه عبق ... من كف اروع فى عرنينه شمم

يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم

ينشق نور الهدى من نور غرته ... كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم

مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا

الله شرفه قدرا وعظمه ... جرى بذاك له فى لوحه القلم

وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم

كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما عدم

سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والشيم

حمال اثقال اقوام اذا افترحوا | حلو الشمائل يحلو عنده نعم
ما قال لا قط الا فی تشهده | لولا التشهد كانت لاءه نعم
عم البرية بالاحسان فانقشعت | عنها الغياهب والاملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهم | كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم | او قيل من خير اهل الارض قيل هم
لا يستطيع جوادا بعد غايتهم | ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت | والاسد اسد الشرى والباس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من اكفهم | سيان ذلك ان اثروا وان عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم | فی كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم | خلق كريم وايد بالندى هضموا
اى الخلائق ليست فی رقابهم | لاولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا | فالدين من بيت هذا ناله الامم

فلما سمع هشام ذلك غضب وحبس الفرزدق فانفذ له زين العابدين رضی الله عنه اثنی عشر الف درهم فردها وقال مدحته لله لا للعطاء والصلات فقال زين العابدين انا اهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نعد فيه فقبلها الفرزدق اهـ

ومما يحكى ان هشام بن عبد الملك كان ذات يوم فی صيده وقنصه اذ نظر الى ظبی تتبعه الكلاب فتبعه وحالته الحجب فجاء اعرابی يرعى غنما فقال هشام يا صبی دونك هذا الظبی فأتنی به فرفع الصبی رأسه اليه وقال له يا جاهل بقدر الاخيار لقد نظرت الی باستصغار وكلمتنی باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال هشام يا صبی ويلك ما تعرفنی فقال قد عرفنی بك سوء ادبك اذ بدأتنی بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال له الاعرابی لاقرب دارك ولا حيا مزارك ما اكثر كلامك واقل اكرامك فما استتم حتى احدقت به الجيوش من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا امير المؤمنين فقال هشام اقصروا الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا

عليه ورجع هشام الى قصره وجلس فى مجلسه وقال على الغلام البدوى فاتى به فلما رأى الغلام كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وابناء الدولة وارباب الصولة لم يكترث بهم ولم يبال عنهم بل جعل ذقنه على صدره وجعل ينظر حيث تقع قدماه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس راسه الى الارض وسكت الغلام وامتنع من الكلام فقال بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يا برذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهز الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبى قد حضرت فى يوم حضر فيه اجلك وخاب فيه املك وانصرم فيه عمرك فقال له الصبى والله يا هشام لئن كان فى المدة تاخير ما ضرنى من كلامك قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من امرك ومحلك يا اخس العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال له سرعا لقيك الخذل ولامك الويل والهبل اما سمعت ما قال الله تعالى يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها فاذا كان الله يجادل جدلا فمن هشام حتى لا يخاطب خطابا فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سياف على برأس هذا الغلام فقد اكثر الكلام فيما لا يخطر على الاوهام فقام السياف واخذ الغلام وبرك فى نطع الدم وسل سيف النقمة على راسه وقال يا امير المؤمنين عبدك المدل بنفسه المنقلب فى رمسه اضرب عنقه وانا برئ من دمه قال نعم فاستأذنه فاذن له ثم استأذنه ثالثة فهم ان ياذن له فضحك الصبى حتى بدت نواجذه فازداد هشام منه تعجبا وقال يا صبى اظنك معتوها ترى انك مفارق الدنيا ومزايل الحياة وانت تضحك هزوا بنفسك فقال يا امير المؤمنين لئن كان فى المدة تاخير ولم يكن فى الاجل تقصير ما ضرنى منك قليل ولا كثير ولكن ابياتا حضرت الساعة فاسمعها فقتلى لا يفوت فاكثر الصموت فقال هشام هات واوجز فهذا اول اوقاتك من الاخرة وآخر اوقاتك من الدنيا فانشا يقول هذه الابيات

نبئت ان الباز علق مرة	عصفور بر ساقه المقدور
فتعلق العصفور فى اظفاره	والباز منهمك عليه يطير

فانی لسان الحال یخبر قائلا　　ها قد ظفرت وانی ماسور
مثلی فما یغنی لمثلک جوعة　　ولئن اکلت فاننی محقور
فتبسم الباز المدل بنفسه　　طربا واطلق ذلک العصفور

قال فتبسم هشام وقال قرابتی من رسول الله صلی الله علیه وسلم لو تلفظ بهذا من اول وقت من اوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطیته یا خادم احش فاه درا وجوهرا واحسن جائزته ودعه یمضی الی حال سبیله　وقیل　وفد عروة بن اذینة علی هشام بن عبد الملک فشکا الیه فقره فقال الست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقی　　ان الذی هو رزقی سیاتینی
اسعی الیه فیعیینی تطلبه　　وان قعدت اتانی لیس یعنینی

وخرجت الآن من الحجاز الی الشام فی طلب الرزق فقال یا امیر المؤمنین وعظت فابلغت وخرج فرکب ناقته وکر الی الحجاز راجعا فلما کان اللیل نام هشام علی فراشه فذکر عروة فقال رجل من قریش قال حکمة ووفد علی فردیته خاشا فلما اصبح وجه الیه بالفی دینار فقرع علیه الرسول باب داره بالمدینة فاعطاه المال فقال ابلغ عنی امیر المؤمنین السلام وقل له کیف رایت قولی سعیت فاکدیت فرجعت خاشا فجلست فی داری فاتانی رزقی فی منزلی انتهی

ابتداء دولة العباسیة

کان القائم بهذه الدولة ابو مسلم الخراسانی وکان اسمه عبد الرحمن بن مسلم فمن قوله هذه الابیات

ادرکت بالحزم والکتمان ماعجزت　　عنه ملوک بنی مروان اذ حشدوا
مازلت اسعی بجهدی فی دمارهم　　والقوم فی غفلة والناس قد رقدوا
حتی ضربتهم بالسیف فانتبهوا　　من نومة لم ینمها قبلهم احد
ومن رعی غنما فی ارض مسبعة　　ونام عنها تولی رعیها الاسد

اولهم ابو عبد الله السفاح

ذکر ابن الجوزی فی کتاب الاذکیاء عن خالد بن صفوان انه دخل یوما علی ابی العباس

السفاح وليس عنده احد فقال يا امير المؤمنين اني والله مازلت منذ قلدك الله
خلافته اطلب ان اصير معك بمثل هذا الموقف في الخلوة فان رأى امير المؤمنين
ان يأمر بامساك الباب فعل حتى نفرغ فامر الحاجب بذلك فقال يا امير المؤمنين
اني فكرت في امرك واستجليت الفكر فيك فلم ار احدا له قدرة واتساع في الاستمتاع
بالنساء ولا اضيق فيهن عيشا منك انك ملكت نفسك امراة من نساء العالمين
فاقتصرت عليها فان مرضت مرضت وان غابت غبت وان عزلت عزلت وحرمت
يا امير المؤمنين على نفسك التلذذ بما تشتهي منهن فان منهن الطويلة التي تشتهي لحسنها
والبيضاء التي تحب لرؤيتها والسمراء اللعساء والصفراء الذهبية ومولدات المدينة والطائف
واليمامة ذوات الالسنة العذبة والجواب الحاضر وبنات سائر الملوك وما يشتهى
من نضارتهن ونظافتهن وتخلل خالد لسانه فاطنب في صفات ضروب الجواري وشوقه
اليهن فلما فرغ من كلامه قال له السفاح ويحك ملأت مسامعي ما اشغل خاطري
والله ما سلك مسامعي كلام احسن من هذا اعد على كلامك فقد وقع مني موقعا
فاعاد عليه خالد كلامه باحسن مما ابتدأ به ثم قال له انصرف فانصرف وبقي ابو العباس
مفكرا فدخلت عليه ام سلمة زوجته وكان قد حلف لها انه لا يتزوج عليها ولا يتخذ
عليها سرية ووفى لها فلما رأته على تلك الحالة قالت له اني لانكرك يا امير المؤمنين
فهل حدث شئ تكرهه او اتاك خبر ارتعت له قال لا فلم تزل به حتى اخبرها بمقالة
خالد فقالت له وما قلت لابن الفاعلة فقال لها اينصحني وتشتمينه فخرجت الى مواليها
وامرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت من الدار مسرورا بما القيت الى امير المؤمنين
ولم اشك في الصلة فبينما انا واقف اذ اقبلوا يسألوا عني فحققت الجائزة فقلت لهم
ها انا واقف فاستبق الى احدهم بخشبة فغمزت برذوني فلحقني وضرب كفل البرذون
وركضت ففتهم واستخفيت في منزلي اياما ووقع في قلبي اني أتيت من ام سلمة
فبينما انا ذات يوم جالس في المنزل فلم اشعر الا بقوم قد هجموا علي فقالوا اجب امير المؤمنين
فسبق الى قلبي انه الموت فقلت انا لله وانا اليه راجعون لم ار دم شيخ اضيع من دمي

فركبت الى دار امير المؤمنين فاصبته جالسا ولحظت في المجلس بيتا عليه ستور رقاق
وسمعت حسا خفيفا خلف الستر فاجلسني ثم قال يا خالد انت وصفت لامير المؤمنين
صفة فاعدها فقلت نعم يا امير المؤمنين اعلمتك ان العرب ما اشتقت اسم
الضرتين الا من الضر وان احد لم يكثر من النساء اكثر من واحدة الا كان في
ضر وتنغيص فقال السفاح لم يكن هذا من كلامك اولا قلت بلى يا امير المؤمنين
واخبرتك ان الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس وتشيب الرؤس فقال
برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك اولا او مر في
حديثك قلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان الاربع من النساء شر مجتمع لصاحبهن
يشيبنه ويهرمنه قال والله ما سمعت هذا منك اولا قلت بلى يا امير المؤمنين و
اخبرتك ان ابكار الاماء رجال الا انه ليست لهن خصاء قال امير المؤمنين اتكذبني
قلت افتقتلني قال خالد فسمعت ضحكا خلف الستر ثم قلت واخبرتك ان عندك
ريحانة قريش وانك تطمح بعينيك الى النساء والجواري فقيل لي من وراء الستر صدقت
والله يا عماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما في خاطره عن لسانك
فقال السفاح مالك قاتلك الله قال خالد فانسللت وخرجت فبعثت الى ام سلمة بعشرة
آلاف درهم وبرذونا وتخت ثياب انتهى (وروى) ان ابا دلامة الشاعر كان واقفا
بين يدي السفاح في بعض الايام فقال سلني حاجتك فقال له ابو دلامة اريد كلب
صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة اتصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما
يقود الكلب والصيد فقال اعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا
منه فقال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا امير المؤمنين عيال ولابد لهم من دار يسكنونها
فقال اعطوه دارا تجمعهم ثم قال وان تكن لهم الدار فمن اين يعيشون قال قد اقطعتك
عشرة ضياع غامرة من فيافي بني اسرائيل قال وما معنى الغامرة يا امير المؤمنين
قال ما لا نبات فيها قال قد اقطعتك انا يا امير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافي بني
سعد فضحك منه وقال اعطوها آنا ها عامرة قال الحافظ فانظر الى حذقه بالمسألة و

ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بمسألة على ترتيب وتكاهة حتى نال ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليها بارك الله فيه انتهى وروي عن الحسن بن الحصين قال لما افضت الخلافة الى بني العباس كان من جملة ما اختفى ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك فلم يزل مختفيا الى ان اضناه واضجره الاختفاء فاخذ له امانا من السفاح وكان ابراهيم رجلا اديبا بليغا حسن المحاضرة فحظي عند السفاح فقال له لقد مكثت زمانا طويلا مختفيا فحدثني باعجب ما رايت في اختفائك فلقد كانت اياما تكدر فقال يا امير المؤمنين وهل سمع باعجب من حديثي لقد كنت مختفيا في منزل انظر منه الى البطحاء فبينما انا على مثل ذلك واذا باعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع في ذهني انها خرجت تطلبني فخرجت متنكرا حتى اتيت الكوفة من غير الطريق وانا والله متحير ولا اعرف بها احدا واذا انا بباب كبير في رحبة منيعة فدخلت لتلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار واذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسا ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه فدخل الرحبة فرآني واقفا تائبا فقال لي ألك حاجة قلت غريب خائف من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة في داره فقال هذه لك وسيأتي ما احتاج اليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب واقمت عنده والله ما سألني قط من انا ولا ممن اخاف وهو في اثناء ذلك يركب في كل يوم ويعود متعوبا متأسفا كانه يطلب شيئا فاته ولم يجده فقلت له يوما اراك تركب في كل يوم وتعود متعوبا متأسفا كانك تطلب شيئا فاتك فقال لي ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل ابي وقد بلغني انه مختف من السفاح وانا اطلبه لعلي اجده آخذ بثاري منه فتعجبت والله يا امير المؤمنين من هربي وشؤم بختي الذي ساقني الى منزل رجل يريد قتلي ويطلب ثاره مني فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما انا فيه من الشدة فسألت الرجل عن اسم ابيه وعن سبب قتله فعرفت الخبر فوجدته صحيحا فقلت يا هذا قد وجب علي حقك وان من حقك ان ادلك على قاتل ابيك واقرب عليك الخطوة واسهل عليك ما بعد فقال اتعلم اين

هو قلت نعم فقال ابن هو فقلت والله هو انا فخذ بثارك مني فقال أرى أن الاختفاء اضناك
فكرهت الحياة قلت نعم والله انا قتلته يوم كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت
عيناه واطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه الي وقال لي اما ابي سيلقاك غدا يوم القيمة
فيحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية واما انا فلست مخفر ذمتي ولا مضيع ثاري الي
اخرج عني فاني لا آمن نفسي عليك بعد هذا اليوم ثم وثب يا امير المؤمنين الى صندوق
فاخرج منه صرة فيها خمسمائة دينار وقال خذ هذه واستعن بها على اختفائك فكرهت
اخذها وخرجت من عنده وهو اكرم رجل رأيت فبقي السفاح يهتز طربا ويتعجب
وعن الهيثم بن عدي قال كان ابو العباس السفاح تعجبه المسامرة ومنازعة الرجال
فحضرت ذات ليلة في مسامرة ابراهيم بن مخرمة الكندي وناس من بني الحارث
ابن كعب وهم اخواله وخالد بن صفوان بن ابراهيم التميمي فخاضوا في احديث و
تذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم يا امير المؤمنين ان اليمن هم العرب الذين دانت
لهم الدنيا وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكا اربابا وورثوا ذلك كابرا عن كابر
اولا عن آخر منهم النعمانيات والمنذريات والقابوسيات والتبابعة ومنهم من
مدحته الزبر ومنهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتز لموته العرش ومنهم من كلمه
الذئب ومنهم الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس شيء له خطر الا واليهم
ينسب فرس رائع او سيف قاطع او درع حصينة او حلة مصونة او درة مكنونة
ان سئلوا اعطوا وان سيموا ابوا وان نزل بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكابر ولا
ينالهم مفاخر هم العرب العرباء وغيرهم المتعربة قال ابو العباس السفاح ما اظن
التميمي يرضى بقولك ثم قال له ما تقول يا خالد قال ان اذنت في الكلام تكلمت وان
اذنت في الكلام فتكلم ولا تهب احدا فقال اخطأ يا امير المؤمنين المقتحم بغير علم و
الناطق بغير صواب فكيف يكون ما قال وان القوم ليست لهم السن فصيحة ولا لغة
صحيحة ولا حجة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة وهم منا على منزلتين ان جاروا
عن قصدنا اكلوا وان جاوزوا احكمنا قتلوا يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات

وغير ذلك مما سناتى عليه ونفخر عليهم بخير الانام واكرم الكرام محمد عليه افضل الصلوٰة والسلام ولله المنة علينا وعليهم لقد كانوا اتباعه فبه عزوا وله اكرموا فمنا النبى صلى الله عليه والسلم ومنا الخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور والسعى وزمزم المقام والمنبر والركن والحطيم والمشاعر والحجابة والبطحاء مع مالا يخفى من المآثر ولا يدرك من المفاخر فليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصى واسد الله وسيد الشهدائو ذو الجناحين وسيف الله عرفوا الله واتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم التفت الى ابراهيم فقال اعالم انت بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين قال الجحمة قال فما اسم السن قال الميذن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتر قال فما اسم اللحية قال الزب قال فما اسم الذئب قال الكنع قال افمؤمن انت بكتاب الله قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وقال تعالى بلسان عربى مبين وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقران بلساننا نزل الم تر ان الله قال العين بالعين ولم يقل الجحمة بالجحمة وقال السن بالسن ولم يقل الميذن بالميذن وقال الاذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال يجعلون اصابعهم فى اذانهم ولم يقل شناترهم وقال لا تاخذ بلحيتى ولا براسى ولم يقل بزبى وقال تعالى ياكله الذئب ولم يقل ياكله الكنع ثم قال اسالك عن اربع ان انت اقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا او منكم قال منكم قال فالقران نزل علينا او عليكم قال عليكم قال فالبيت الحرام لنا او لكم قال لكم قال فالخلافة بينا او فيكم قال فيكم قال خالد فما كان بعد هذه الاربع فهو لكم

خلافة ابى جعفر المنصور

قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكانت له جارية تحفظه من ثلاث مرات وكان بخيلا جدا حتى انه كان يلقب بالدوانيقى لانه كان

يحاسب على الدوانق فكان اذا جاء شاعر بقصيدة قال له ان كانت مطروقة بان يكون احد يحفظها او احد انشاءها اى بان كان اتى بها احد قبلك فلا نعطيك لها جائزة وان لم يكن احد يحفظها نعطك زنة ما هى مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من اول مرة ولو كانت الف بيت ويقول الشاعر اسمعها منى و ينشدها بكمالها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرأها ثم يقول الخليفة وهذه الجارية التى خلف الستارة تحفظها ايضا وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرأها بحروفها فيذهب الشاعر بغير شئ قال الراوى وكان الاصمعى من جلسائه وندمائه فنظم ابياتا صعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها فى عباءة وجعلها على ظهر بعير وغير حليته فى صفة اعرابى غريب وضرب له لثاما ولم يبين منه غير عينيه وجاء الى الخليفة وقال انى امتدحت امير المؤمنين بقصيدة فقال يا اخا العرب ان كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا نعطيك زنة ما هى مكتوبة عليه

فانشد الاصمعى هذه القصيدة

صوت صفير البلبلى	هيج قلب الثملى
الماء والزهر معا	مع زهر لحظ المقل
وانت يا سيد لى	وسيدى ومولى لى
وكم وكم تيمنى	غزيل عقيقلى
قطفت من وجنته	باللثم ورد الخجل
وقلت بس بسبنى	فلم يجد بالقبلى
وقال لا لا لا لا	وقد غدا مهرولى
والخود مالت طربا	من فعل هذا الرجل
وولولت ولولة	ولى ولى يا ويللى
فقلت لا تولولى	وبينى اللؤلؤ لى

لما رأته اشمطا ... يريد غير القبلي
وبعدها ما يكتفي ... الا بطيب الوصلي
قالت له حين كذا ... انهض وجد بالنقلي
وفتية سقونني ... قهيوة كالعسلي
شممتها في انفقي ... ازكى من القرنفلي
في وسط بستان حسن ... بالزهر والسرور لي
والعود دندن دنلي ... والطبل طبطبطبلي
والرقص ارطب طبطبلي ... والسقف سقسقسقلي
شووا شاهوا شووا ... على ورق سفرجلي
وغرد القمري يصيح ... من ملل في مللي
فلو تراني راكبا ... على حمار أهزلي
يمشي على ثلاثة ... كمشية العرنجلي
والناس ترجم جملي ... في السوق بالقلقللي
والكل كعكع كعكع ... خلفي ومن حوللي
لكن مشيت هاربا ... من خشية العقنقلي
الى لقاء ملك ... معظم مبجلي
يأمر لي بخلعة ... حمراء كالدم دملي
اجر فيها ماشيا ... مبغددا للذيلي
انا الاديب الالمعي ... من حي ارض الموصلي
نظمت قطعا زخرفت ... تعجز الادبلي
اقول في مطلعها ... صوت صفير البلبلي

(قال الراوي) فلم يحفظها الملك لصعوبتها ونظر الى المملوك والى الجارية فلم يحفظها احد منهما فقال يا اخا العرب هات الذي هي مكتوبة فيه نعطك زنته

فقال يا سولاى انى لم اجد ورقا اكتب فيه وكان عندى قطعة عمود من رخام من عهد ابى وهى ملقاة ليس لى بها حاجة فنقشتها فيه فلم يسع الخليفة الا انه اعطاه وزنها ذهبا فنفد ما فى خزينته من المال فاخذه وانصرف فلما ولى قال الخليفة يغلب على ظنى ان هذا الاصمعى فاحضره وكشف عن وجهه فاذا هو الاصمعى فتعجب منه ومن صنيعه واجازه على عادته ثم قال يا امير المؤمنين ان الشعراء فقراء واصحاب عيال وانت تمنعهم العطاء بشدة فهمك وفهم هذا المملوك وهذه الجارية فاذا اعطيتهم ما تيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك انتهى والله اعلم وذكر الغزالى وابن بليان وغيرهما ان ابا جعفر المنصور حج ونزل فى دار الندوة وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت فخرج ذات ليلة سحرا فبينما هو يطوف اذ سمع قائلا يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فهرول المنصور فى مشيته حتى ملاء سمعه ثم رجع الى دار الندوة وقال لصاحب شرطته ان بالبيت رجلا يطوف فائتنى به فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليمانى فقال اجب امير المؤمنين فلما دخل عليه قال اما الذى سمعتك آنفا تشكو الى الله من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما امرضنى فقال له يا امير المؤمنين ان الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق واهله وامتلاءت بلاد الله بذلك بغيا وفسادا انت هو فقال له المنصور ويحك كيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء ببابى وملك الارض فى قبضتى فقال الرجل سبحان الله يا امير المؤمنين هل داخل احدا من الطمع ما داخلك ان الله استرعاك امر المؤمنين واموالهم فاهملت امورهم واهتممت بجمع اموالهم واتخذت بينك وبين رعيتك حجابا من الجص والآجر وحجبة معهم السلاح وامرت ان لا يدخل عليك الا فلان وفلان نفر استخلصتهم لنفسك وامرتهم على رعيتك ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الجائع ولا العارى ولا احد الا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمع الاموال ولا تقسمها قالوا هذا خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه فاجمعوا على ان لا يصل اليك من اموال الناس

الا ما اراد وانصار هؤلاء شركاءك في سلطانك وانت غافل عنهم فاذا جاء المظلوم
الى بابك وجد له اوقفت رجلا ينظر في مظالم الناس فان كان الظالم من بطانتك
علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوف من وقت الى وقت فاذا اجتهد وظهرت انت
صرخ بين يديك فضربه اعوانك ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وانت ترى ذلك
ولا تنكر ولقد كانت الخلفاء قبلك من بني امية اذا انتهت اليهم الظلامة ازيلت في الحال
ولقد كنت اسافر الصين يا امير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك الذي به
قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك ايها الملك لا ابكى الله لك عينا الا
من خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بي وانما ابكى لمظلوم يصرخ بالباب
فلا اسمعه ثم قال ان كان سمعي ذهب فان بصري لم يذهب نادوا في الناس لا يلبس
احد ثوبا احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرفي النهار ويدور في البلد لعله يجد احدا
لابسا ثوبا احمر فيعلم انه مظلوم فينصفه هذا يا امير المؤمنين رجل مشرك غلبت عليه
رأفته على شح نفسه بالمشركين وانت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا امير المؤمنين لا تجمع الاموال الا لاحدى ثلاث ان قلت انما اجمع المال
لصالح الملك فقد اراك الله عبرة في الملوك والقرون من قبلك ما اغنى عنهم ما اعدوا من
الاموال والرجال والكراع حين اراد الله بهم ما اراد وان قلت انما اجمع للولد فقد
اراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيئا بل ربما مات
فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما اجمعه لغاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله
ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم
قال وكيف اعمل وقد فرت مني العباد ولم تقربني والصالحون ولم يدخلوا علي فقال
يا امير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وخذ المال مما حل وطاب
واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن من هرب ان يعود اليك فقال المنصور نفعل
ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فاذن للصلاة فقام وصلى فلما قضى صلاته طلب
الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة علي بالرجل الساعة فخرج يتطلبه فوجده عند

الركن اليماني فقال له اجب امير المؤمنين فقال ليس الى ذلك من سبيل فقال اذن
يضرب عنقي فقال ولا الى ضرب رقبتك من سبيل ثم اخرج من مزود كان معه
رقا مكتوبا فقال له خذه فان فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات من يومه مات
شهيدا ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا
فاخذه صاحب الشرطة واتى به المنصور فلما رآه قال له ويلك او تحسن السحر قال لا
والله يا امير المؤمنين ثم قص عليه القصة فامر المنصور بنقله وامر له بالف دينار وهو
هذا اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت
بما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية
عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذي
سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم وغم
اصبحت او امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي
وسترك على قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك آمنا
واسألك مستأنسا وانك انت المحسن الي وانا المسئ الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد
الي بالنعم واتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فجد
بفضلك واحسانك علي انك انت الرؤف الرحيم انتهى من حياة الحيوان (و
حدث عبد الله البلناجي) قال دخل ابن ابي ليلى على ابي جعفر المنصور
وكان ابن ابي ليلى قاضيا فقال ابو جعفر ان القاضي قد يرد عليه من طرائف الناس
ونوادرهم امور فان كان ورد عليك شئ فحدثنيه فقد طال علي يومي قال والله
يا امير المؤمنين قد ورد علي منذ ثلاثة ايام امر ما ورد على مثله اتتني عجوز نكاد ان تنال
الارض بوجهها او تسقط من انحنائها فقالت انا بالله وبالقاضي ان ياخذ لي بحقي و
ان يعينني على خصمي قلت ومن خصمك قالت ابنة اخ لي فدعوت بها فجاءت امرأة
ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة فذهبت العجوز تتظلم فقالت الشابة اصلح الله القاضي
امرها فلتسكت حتى اتكلم بحجتي وحجتها فان لحنت بشئ فلترد علي فان اذنت لي اسفرت

فقالت العجوز ان اسفرت قضیت لها فقلت لها اسفری فاسفرت عن وجه واللہ ما ظننت انه یکون مثله الا فی الجنة فقالت اصلح الله القاضی هذه عمتی مات والدی وترکنی یتیمة فی حجرها فربتنی فاحسنت التربیة حتی اذا بلغت مبلغ النساء قالت لی یا بنت اخی هل لک فی التزویج قلت ما اکره ذلک یا عمة قالت العجوز نعم قالت فخطبنی وجوه اهل الکوفة فلم ترض الا رجلا صیرفیا فتزوجنی فکنا کانا ریحانتان ما یظن ان الله خلق غیره وما اظن ان الله خلق غیری یغدو الی سوقه ویروح علی بما رزقه الله تعالی فلما رات العمة موقعه منی وموقعی منه حسدتنا علی ذلک وکانت لها ابنة فشوفتها وهیأتها لدخول زوجی فوقعت عینه علیها فقال یا عمة هل لک ان تزوجینی ابنتک قالت نعم بشرط فقال لها وما الشرط قالت تصیر امر ابنة اخی الی قال قد صیرت امرها الیک قالت فانی قد طلقتها ثلاثا ثابتة وزوجت ابنتها من زوجی فکان یغدو علیها ویروح فقلت لها یا عمتی اتاذنین لی ان انتقل عنک قالت نعم فانتقلت عنها وکان لعمتی زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال مالی لا اری ربیبتنا قالت طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علینا ان نعزیها بمصیبتها فلما بلغنی مجیئه الی تهیات له وتشوفت فلما دخل علی عزانی بمصیبتی ثم قال ان فیک بقیة من الشباب فهل لک ان اتزوج بک قلت ما اکره ذلک ولکن علی شرط قال لی وما الشرط قلت تصیر امر عمتی بیدی قال فانی قد فعلت وصیرت امرها بیدک قلت فانی قد طلقتها ثلاثا ثابتة قالت فقدم علی بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم فاقام عندی ما اقام ثم انه اعتل وتوفی فلما انقضت عدتی جاء زوجی الاول الصیرفی یعزینی بمصیبتی فلما بلغنی مجیئه تهیأت وتشوفت له فلما دخل علی قال لی یا فلانة انک لتعلمین انک کنت اعز الناس علی واحبهم الی وقد حلت المراجعة فهل لک فی ذلک قلت ما اکره ذلک ولکن اجعل امر ابنة عمتی بیدی قال فانی قد فعلت قلت فانی قد طلقتها ثلاثا ثابتة اصلح الله القاضی فرجعت الی زوجی فما اعتدای علیها فقالت العجوز انا فعلت مرة وفعلت هی مرة بعد اخری فقالت ان الله لم یوقت

فی هذا وقتا وقد اقال ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغی علیه لینصرنه الله
فواحدة بواحدة والبادی اظلم فقال القاضی ان زوج العمة لم یکن لدان یتزوج
ابنة اخیها وهی فی عدته فارادت العجوز ان تتولی التفریق بینه وبینها استیفاء لها او
مجازاة لها علی فعلها فقلت لها قد فرقت بینکما فقومی الی منزلک انتهی وذکر
المنصور یوما فی مجلسه زوال ملک بنی امیة وما جری علیهم وانهم عاشوا سعداء
وماتوا فقراء فقال اسماعیل بن علی الهاشمی ان عبدالله بن مروان بن محمد فی حبسک
وله قصة مع ملک النوبة فاحضره واسأله عنها فاحضره فقال السلام علیک یا امیر
المؤمنین ورحمة الله وبرکاته فقال المنصور رد السلام امن ولم تسمح نفسی بذلک
ولکن اقعد فقعد فقال ما قصتک مع ملک النوبة فقال یا امیر المؤمنین کنت
ولی عهد ابی فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلمانی ودفنت لکل واحد الف دینار
واوسقت خمس بغال وشددت فی وسطی جوهرا الدقیمة عظیمة وخرجت هاربا
الی بلاد النوبة فلما اقربنا بعثت غلاما الی فقلت امض لی هذا الملک واقرئه السلام
وخذ لنا منه الامان وابتغ لنا میرة فمضی وابطأ حتی اسات به الظن ثم اقبل ومعه
رجل فدخل وسلم وقال الملک یقرئک السلام ویقول لک من انت وما جاء بک الی
بلادی امحارب ام راغب فی دینی ام مستجیر بی فقلت له رد علی الملک وقل له ما
انا بمحارب ولا راغب فی دینک ولا ممن یبتغی بدینه بدلا بل مستجیر به فذهب
الرسول ورجع الی وقال الملک یقول لک انی اجیء الیک غدا فلا تحدث نفسک
حدثا ولا شیئا من المیرة فقلت لاصحابی افرشوا الفرش ففرش لی وجلست من الغد
ارقبه واذا هو قد اقبل وعلیه بردان قد اتزر باحدهما وارتدی بالآخر حافی الرجلین
ومعه عشرة معهم الحراب ثلاثة یتقدمونه وسبعة خلفه فاستصغرت امره وسولت
لی نفسی قتله فلما قرب اذا سواد عظیم قلت ما هذا قالوا الخیل فوافی بها عشرة
آلاف عنان ووافت الخیل عند دخوله فاحدقوا بنا فلما دخل جلس علی الارض
قال فقلت لترجمانه لم لم یقعد علی الموضع الذی وطیء له فیما یلیه قل له انه

ملك و كل ملك حقه ان يكون متواضعا لله و عظمته اذ و نعم الله على عباده ثم
نكث باصبعه الارض طويلا و رفع راسه و قال ثم له كيف سلبتم هذا الملك
نا خذ منكم و انتم اقرب الناس الى نبيكم فقلت جاء من هو اقرب منا قرابة اليه
فسلبنا و غلبنا و طردنا فخرجت البلاد مستجيرا بالله ثم بك قال فلم كنتم تشربون
الخمر و هو محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد و اعاجم دخلوا فى ديننا و فى ملكنا
من غير رأينا قال فلم تركبون على الديباج و على خيولكم سروج الذهب و الفضة
و هى محرمة عليكم قلت فعل ذلك عبيد و اعاجم دخلوا فى ديننا و فى ملكنا
بغير رأينا قال فلم كنتم اذا خرجتم الى الصيد مررتم على القرى و كلفتم اهلها ما لا طاقة
لهم به بالضرب و الاهانة و لا يقنعكم ذلك حتى تخطوا زرعهم فى طلب دراج قيمته
نصف درهم و التكليف و العناء محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد و غلمان و اتباع
قال لا و لكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم و اتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم الله العز
و البسكم الذل و نصر اعداءكم عليكم و الله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد و انى اخاف
ان ينزل بك النقمة اذا كنت من الظلمة فتشملنى معك فان النقمة اذا نزلت شملت
فاخرج بعد ثلاث فان وجدتك بعدها اخذت ما معك و قتلتك و من معك
ثم وثب قائما و خرج و اقمت ثلاثا و رجعت الى مصر فاخذنى عاملك و بعث بى
اليك و ها انا ذا و الموت احب الى من الحياة فرق له المنصور و هم باطلاقه فقال
له اسمعيل بن على فى عنقى بيعة هذا قال فما ترى قال ينزل فى دار من دورنا و
يجرى عليه ما يجرى على مثله ففعل به ذلك انتهى و خطب المنصور يوما بالشام
فقال ايها الناس ينبغى لكم ان تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله فى زمانى منذ
وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذى كان يبيتكم فقال له اعرابى ان الله اكرم من
ان يجمع علينا انت و الطاعون و دخل ابن هرمة على المنصور و امتدحه فقال له
المنصور سل حاجتك قال تكتب الى عاملك بالمدينة انه اذا وجدنى سكران
لا يحدنى فقال له المنصور هذا حد لا سبيل الى تركه فقال ما لى حاجة غيرها

وقال لكاتبه اكتب الى عاملنا بالمدينة من اتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين واجلد الذى جاء به مائة فكان الشرط يمرون عليه وهو سكران ويقولون من يشترى ثمانين بمائة فيمرون عليه ويتركونه انتهى (وحادث) احمد بن موسى قال ما رايت رجلا اثبت جنانا ولا احسن معرفة ولا اظهر حجة من رجل رفع فيه عند المنصور بان عنده اموالا لبنى امية فامر المنصور حاجبه الربيع ان يحضره فلما حضر بين يديه قال المنصور رفع الينا ان عندك ودائع واموالا وسلاحا لبنى امية فاخرجها لنا لنجمع ذلك الى بيت المال فقال الرجل يا امير المؤمنين انت وارث لبنى امية قال لا قال فلم تسأل اذن عما فى يدى من اموال بنى امية ولست بوارثهم ولا وصى فاطرق المنصور ساعة ثم قال ان بنى امية ظلموا الناس وغصبوا اموال المسلمين فقال الرجل يحتاج امير المؤمنين الى بينة يقبلها الحاكم تشهد ان المال الذى لبنى امية هو الذى فى يدى وانه هو الذى غصبوه من الناس وان امير المؤمنين يعلم ان بنى امية كانت لهم اموال لانفسهم غير اموال المسلمين التى اغتصبوها على ما يتهم امير المؤمنين قال فسكت المنصور ساعة ثم قال يا ربيع صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شىء ثم قال للرجل ألك حاجة قال نعم قال ما هى قال ان تجمع بينى وبين من سعى فى اليك فوالله يا امير المؤمنين ما لبنى امية عندى مال ولا سلاح وانما احضرت بين يديك وعلمت ما انت فيه من العدل والانصاف واتباع الحق واجتناب المظالم فايقنت ان الكلام الذى صدر منى هو انجح واصلح لما سألتني عنه فقال المنصور يا ربيع اجمع بينه وبين الذى سعى به فجمع بينهما فقال يا امير المؤمنين هذا اخذ لى خمسمائة دينار وهرب ولى عليه مسطور شرعى فسأل المنصور الرجل فاقر بالمال قال فما حملك على السعى كاذبا قال اردت قتله ليخلص لى المال فقال الرجل قد وهبتها له يا امير المؤمنين لاجل وقوفى بين يديك وحضورى مجلسك ووهبته خمسمائة دينار اخرى لكلامك لى فاستحسن المنصور فعله واكرمه ورده الى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول ما

رايت مثل هذا الشيخ قط ولا اثبت من جنانه ولا من حجني مثله ولا رايت مثل حلمه ومروته انتهى

خلافة المهدى

اسمه محمد بن المنصور (حدثنا) داؤد بن رشيد قال قلت للهيثم بن على بای شئ استحق سعيد بن عبد الرحمن ان ولاه المهدى القضاء وانزله سنه تلك المنزلة الرفيعة فقال ان خبره باتصاله بالمهدى ظريف فان احببت شرحته لك قلت والله قد احببت قال اعلم انه فى الربيع الحاجب حين افضت الخلافة الى المهدى وقال له استأذن لى على امير المؤمنين فقال له من انت وما حاجتك قال انا رجل قد رايت لامير المؤمنين اعزه الله رؤيا صالحة وقد احببت ان تذكرنى له فقال الربيع ياهذا ان القوم لا يصدقون فيما يرونه لانفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم فاحتل بحيلة غير هذه فقال له ان لم تخبره بمكانى سألت من يوصلنى اليه واخبره انى سألتك الاذن لى عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدى فقال له يا امير المؤمنين انكم قد اطمعتم الناس فى انفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب فقال له المهدى هكذا تصنع الملوك فماذا قال رجل بالباب يزعم انه رأى لامير المؤمنين ايده الله رؤيا حسنة وقد احب ان يقصها عليك فقال المهدى يا ربيع انى والله ارى الرؤيا لنفسى فلا تصح لى فكيف يمكن ادعاؤها ممن لعله قد افتعلها قال والله قلت له مثل هذا فلم يقبل قال هات الرجل قال فادخل عليه سعيد وكان له رؤيا وجمال ومروة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق فقال له ما رايت بارك الله فيك قال رايت يا امير المؤمنين آتيا اتانى فى منامى فقال اخبر امير المؤمنين انه يعيش ثلاثين سنة فى الخلافة وآية ذلك انه يرى فى ليلته الآتية فى منامه كانه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجدهم ثلاثين ياقوتة كانها قد وهبت له فقال المهدى ما احسن ما رايت ونحو نمتحن رؤياك فى ليلتنا المقبلة على ما اخبرتنا فان كان الامر على ما ذكرت اعطيناك فوق ما تريد وان كان الامر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا ان الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت قال سعيد يا امير المؤمنين فماذا اصنع انا الساعة

اذا صرت منزلی و عیالی واخبرتہم انی کنت عند امیر المؤمنین اکرمہ الله
ثم رجعت صفر الید فقال لہ المہدی فکیف نعمل فقال یعجل لی امیر المؤمنین
اعزہ الله تعالی ما احب واحلف لہ بالطلاق انی قد صدقت فامر لہ بعشرۃ
آلاف درہم وامر بان یؤخذ لہ کفیل لیحضر من غد ذلک الیوم فقبض المال
وقال لہ من یکفلک فمد عینیہ الی خادم حسن الوجہ والزی وقال ھذا یکفلنی
فقال لہ المہدی اتکفلہ یا غلام فاحمر وخجل وقال نعم یا امیر المؤمنین نکفلہ
وانصرف سعید بن عبد الرحمن بالعشرۃ آلاف درہم فلما کانت تلک اللیلۃ
رأی المہدی ما ذکرہ لہ سعید حرفا بحرف واصبح سعید فوافی الباب واستأذن
فأذن لہ فلما وقعت عین المہدی علیہ قال لہ این مصداق ما قلت لنا علیہ
فقال لہ سعید وما رأی امیر المؤمنین فضجع فی جوابہ فقال لہ امرأتی
طالق ان لم تکن رایت شیئا قال لہ المہدی ما اجرأک علی ھذا الحلف بالطلاق
فقال لانی احلف علی صدق قال لہ المہدی فقد والله رایت ذلک مبینا
فقال لہ سعید الله اکبر فانجز لی یا امیر المؤمنین ما وعدتنی قال حبا وکرامۃ
ثم امر لہ بثلاثۃ آلاف دینار وعشرۃ تخوت ثیاب من کل صنف وثلاثۃ مراکب
من انفس دوابہ محلاۃ فاخذ ذلک وانصرف فلحق بہ الخادم الذی کان
کفلہ وقال لہ سالتک بالله ھل لھذہ الرؤیا من اصل فقال سعید لا والله فقال
الخادم کیف وقد رأی امیر المؤمنین ما ذکرتہ قال ھذا من المخاریق التی لا اب
لھا وذلک لما القیت لہ ھذا الکلام خطر ببالہ وحدث بہ نفسہ واسر بہ قلبہ
واشتغل بہ فکرہ ففی ساعۃ نام خیل لہ ما حل فی قلبہ واشتغل بہ فکرہ فنام
فرآہ فقال لہ الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقۃ واحدۃ وبقیت معی علی
ثنتین وازید مہرھا عشرۃ دراھم واحصل علی عشرۃ آلاف درہم وثلاثۃ
آلاف دینار وعشر تخوت من اصناف الثیاب وثلاثۃ مراکب فاوھنہ فبہت الخادم
وتعجب من ذلک فقال لہ سعید قد اصدقتک وجعلت ذلک مکافاتک علی

كما التاث فاستر على ثم طلبه المهدى لمنادمته فنادمه وحظى عنده وقلده القضا على العسكر فلم يزل حتى مات انتهى (ويحكى) ان المهدى خرج يتصيد فعاربه فرسه حتى دخل الى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى قال نعم فاخرج له قرص شعير فاكل ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه قعبا فلما شرب قال يا اخا العرب اتدرى من انا قال لا والله قال انا من خدم امير المؤمنين الخاصة قال له بارك الله فى موضعك ثم سقاه قعبا آخر فشربه فقال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من خدم امير المؤمنين الخاصة قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ منه قال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من قواد امير المؤمنين قال لا ولكنى امير المؤمنين فاخذ الاعرابى الركوة واوكاها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه واحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال انتهى (وقيل) كان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكانت بنت ستة عشر سنة قال فتلاعب عليها ابو نواس لينيلها فمنعت منه مرارا فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من نواحى القصر فمسكها فبكت وقالت الموت دون ذلك فقال ابو نواس فى نفسه هذا جزع الابكار فتركها مدة فاتفق له انه خرج من القصر ليلة وقد زرق الدجى فوجدها نائمة سكرانة فتقرب منها وحل سراويلها من وسطها ودهمها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن انه يكون اتاها ادم فلم يجد وقام عنها وندم على ماكان منه واخذ يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر	سرقت الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها	طريلا وصاحب الكواعب من امرى

فمازلت بالاشعار حتى خدعتها ... وروضتها والشعر من خدع السحر
الى انها شيئا فقالت بعبرة ... اموت به داء ودمعتها تجري
فلما تعانقنا توسطت لجة ... غرقت بها يا قوم في لجج البحر
فصحت اغثني يا غلام فجاءني ... وقد زلقت رجلي ودحرجتها الى الصدر
ولولا صياحي بالغلام وانه ... تداركني بالحبل رحت الى القعر
فاقسمت عمري لا ركبت سفينة ... ولا سرت طول الدهر الا على الظهر

(حكاية اجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير العاقول فرايت مجنونا فيه فلم ار قط اظرف منه ولا احسن ثيابا وبيده الواحدة

(على صدره فلما دنوت منه انشا يقول)

الله يعلم انني كمد ... لا استطيع ابث ما اجد
روحان لي روح تملكها ... بلد واخرى حازها بلد
وارى القيامة لبين ينفعها ... صبر وليس لمثلها جلد
واظن ظاعنتي كشاهدتي ... بمكانها تجد الذي اجد

فقلت احسنت والله لله درك يا مجنون فاهوى بتوح برميني به فبعدت عنه فقال لي اشلهانك ما تجيد واستحسنته وتقول لي يا مجنون وتكون مع الزمان على فقلت لنا اخطات فقال اذن اعترفت بخطائك ثم قال انشد له شعرا

(ايضا فقلت نعم فانشا يقول)

لما اقتل البين للحب وما ... اوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسي على البلاء لقد ... اسرع في مهجتي وفي كبدي
يا حسرة ان ابيت معتقلا ... بين اعتلاج الهموم والسهد

(فقلت احسنت والله زدنا فقال)

ان تتوني تحرق الكبد ... او كشفوني ناحل الجسد
اضعف مابي وزادني الما ... ان لست اشكو النوى الى احد

فقلت احسنت والله زدنا فقال يا فتى اراك كلما انشدتك بيتا قلت زدنا وما ذاك الا لمفارقة حبيب وخل اريب ثم قال احسبك ابا العباس المبرد بالله انت هو قلت انا ذلك فمن اين عرفتني فقال وهل يخفى القمر ثم قال يا ابا العباس انشدني من شعرك شيئا تنتعش به روحي فانشدته فقلت

بكيت حتى بكى من رحمة الطلل ... ومن بكائي بكت عيناي اذ رحلوا

يا منزل الحي اين الحي قد نزلوا ... نفسي تساق اذا ما سيقت الابل

انعم صباحا سقاك الله من طلل ... عينا وجاد عليك الوابل الهطل

سقيا لعهدهم والدار جامعة ... والشمل ملتئم والحبل متصل

فطال ما قد نعمنا والحبيب بها ... والدهر يبعد والواشون قد غفلوا

قد غير الدهر ما قد كنت اعرفه ... والدهر ذو دول بالناس ينتقل

بانوا فبان الذي قد كنت آمله ... والبين اعظم ما يبلى به الرجل

فالشمل مفترق والقلب محترق ... والدمع منسكب والركب مرتحل

كان قلبي لما سار عيسهم ... صب به دنف او شارب ثمل

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم ... وثوروها وسارت بالهوى الابل

وقلبت من خلال السجف ناظرها ... ترنو الي ودمع العين منهمل

يا حادي العيس عرج بي اودعهم ... يا حادي العيس في ترحالك الاجل

اني وحقك لا انسى مودتهم ... يا ليت شعري لطول العهد ما فعلوا

قال ابو العباس المبرد فلما اتممت شعري قال لي ما فعلوا قلت ماتوا فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فحركته فوجدته قد مات رحمة الله عليه انتهى

خلافة موسى الهادي ابن محمد

لم ازد فيه شيئا ومن رأى فيه شيئا فليضعه قال بعض الفضلاء من حيث ان المؤلف امر بان من راى فيه شيئا فليضعه فرايت هذا النزر اليسير مذكورا في تاريخ الاسحاقي فاحببت ذكره امتثالا للامر فقلت ذكر صاحب السكردان

ان الهادی کان یوما فی بستان یتنزه علی حمار و لا سلاح معه و بحضرته جماعة من خواصه واهل بیته فدخل علیه حاجبه واخبره ان بالباب بعض الخوارج له باس ومکاید وقد ظفر به بعض القواد فامر الهادی بادخاله فدخل علیه بین رجلین قد قبضا علی یدیه فلما ابصر الخارجی الهادی جذب یدیه من الرجلین واختطف سیف احدهما وقصد الهادی ففر کل من کان حوله وبقی وحده وهو ثابت علی حماره حتی اذا دنا منه الخارجی وهم ان یعلوه بالسیف اومأ الی وراء الخارجی واوهمه ان غلاما وراءه وقال یا غلام اضرب عنقه فظن الخارجی ان غلاما وراءه فالتفت الخارجی فنزل الهادی مسرعا عن حماره فقبض علی عنق الخارجی وذبحه بالسیف الذی کان معه ثم عاد الی ظهر حماره من فوره واتباع الهادی ینظرون الیه ویتسللون علیه وقد ملئوا منه حیاء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فی ذلک بکلمة ولم یفارق السلاح بعد ذلک الیوم ولم یرکب الا جوادا من الخیل فانظر الی هذا المقدار فی ثبات جاش الملوک فانه قل من یفعل ذلک وهذه مرتبة لم یصل الیها احد الا نادرا (حکی عن عبد الحق) انه قال مما ابتلی به الهادی من المحبة انه کان مغرما بجاریة تسمی غادرا وکانت من احسن النساء وجها واطیبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دینار فبینما هو یشرب مع ندمائه اذ فکر ساعة وتغیر لونه وقطع الشراب فقیل له ما بال امیر المؤمنین قال وقع فی قلبی انی اموت وان اخی هارون یلی الخلافة ویتزوج غادرا فامضوا وائتونی براسه ثم رجع عن ذلک وامر باحضاره وحکی له ما خطر بباله فجعل هارون یترفق به فقال لا ارضی حتی تحلف لی بکل ما احلفک به انی اذا مت لا تتزوج بها فرضی بذلک وحلف ایمانا عظیمة ودخل الی الجاریة وحلفها ایضا مثل ذلک فلم یلبث بعد ذلک سوی شهر ومات وولی الخلافة هارون الرشید فطلب الجاریة فقالت یا امیر المؤمنین کیف تصنع بالایمان فقال قد کفرت عنک وعنی ثم تزوج بها ووقعت فی قلبه

موقفا عظيما وافتتن بها اعظم من اخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هي في بعض الليالي وهي في حجره نائمة اذا انها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها ما بالك فديتك قالت رايت اخاك الهادي الساعة في النوم

فانشدني هذه الابيات

اخلفت عهدي بعد ما	جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في	ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة اخي	صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد	ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح	وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عني وكانت الابيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة فقال لها هذه احلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة ولا تسأل عن هارون الرشيد وما لقي بعدها انتهى

خلافة هارون الرشيد ابن محمد المهدي

هو اخو موسى الهادي وهو خامس بني العباس قال ابراهيم الموصلي في تهنئة الخلافة حين ولي الرشيد بعد اخيه موسى الهادي

الم تر ان الشمس كانت مريضة	فلما اتى هارون اشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه	فهارون واليها ويحيى وزيرها

وقدم اعرابي حين ولي هارون الخلافة فقيل له فيم جئت قال اتيت برسالة وانا اتيت بها قال اتاني آت في منامي فقال ائت امير المؤمنين فابلغه هذه الابيات

توارثت الخلافة من قريش	تزف اليكما ابدا عروسا
الى هارون تهدى بعد موسى	تميس وما لها ان لا تميسا

فاعطاه الرشيد عطاء جزيلا وصرفه بويع له بالخلافة في الليلة التي توفي فيها

اخوه وولد فی تلك الليلة المأمون وكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها فی بنی العباس مات فيها خليفة وولی فيها خليفة وولد فيها خليفة ولما بويع الرشيد قلد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وزارته وسبب اتى ايقاع الرشيد بالبرامكة وسبب ذلك ويحكى ان هارون الرشيد مر فی بعض الايام وصحبته جعفر البرمكی واذا هو بعدة بنات يستقون الماء فعرج عليهن يريد الشرب واذا احداهن تقول

قولی لطيفك ينثنی	عن مضجعی وقت المنام
كی استريح وتنطفی	نار تأجج فی العظام
دنف تقلبه الاكف	على بساط من سقام
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من دوام

فاعجب امير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها فقال لها يا بنت الكرام هذا من قولك ام من منقولك قالت من قولی قال ان كان كلامك صحيحا فامسكی المعنى وغيری القافية فانشدت تقول

قولی لطيفك ينثنی	عن مضجعی وقت الوسن
كی استريح وتنطفی	نار تأجج فی البدن
دنف تقلبه الأكف	على بساط من شجن
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من ثمن

فقال لها والآخر مسروق قالت بل كلامی فقال ان كان كلامك ايضا فامسكی المعنى وغيری القافية فقالت

قولی لطيفك ينثنی	عن مضجعی وقت الرقاد
كی استريح وتنطفی	نار تأجج فی الفؤاد
دنف تقلبه الأكف	على بساط من سهاد
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من سداد

فقال لها والآخر مسروق فقالت بل كلامي فقال لها ان كان كلامك فامسكي

(المعنى وغير القافية فقالت)

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت الهجوع
كي استريح وتنطفي	نار تأجج في الضلوع
دنف تقلبه الأكف	على بساط من دموع
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من رجوع

فقال لها امير المؤمنين انت من اي هذا الحي قالت من اوسطه بيتا واعلاه عمودا فعلم امير المؤمنين انها بنت كبير الحي ثم قالت وانت من اي راعي الخيل فقال من اعلاها شجرة واينعها ثمرة فقبلت الارض وقالت ايد الله امير المؤمنين وودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفة لجعفر لا بد من اخذها فتوجه جعفر الى ابيها وقال له امير المؤمنين يريد ابنتك فقال حبا وكرامة تهدي جارية الى امير المؤمنين مولانا ثم جهزها وحملها اليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من اعز نسائه واعطى والدها ما يستره بين العرب من الانعام ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاة الى رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت الى حجرتها وقلعت كل ما عليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن واقامت النعي له فقيل لها ما سبب هذا فقالت مات والدي فمضوا الى الخليفة فاخبروه فقام واتى اليها وسألها من اعلمها بهذا الخبر قالت وجهك يا امير المؤمنين قال كيف ذلك قالت منذ انا عندك ما رايتك هكذا ولم يكن لي من اخاف عليه الا والدي لكبره وتعيش رأسك انت يا امير المؤمنين فتغرغرت عيناه بالدموع وعزاها فيه واقامت مدة وهي حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان امير المؤمنين هارون الرشيد ارق ذات ليلة فقام يتمشى في قصره بين المقاصير فراى جارية من جواريه نائمة فاعجبته

فداس على رجلها فانتبهت فرأته امير المؤمنين فاستحيت منه وقالت يا

(امين الله ما هذا الخبر فاجابها بقوله)

قلت ضيف طارق في ارضكم	هل تضيفوه الى وقت السحر

(فاجابته تقول)

بسرور وهنا سيدي	اخدم الضيف بسمعي والبصر

فبات عندها الى الصباح فسأل امير المؤمنين من بالباب من الشعراء فقيل له ابو نواس فامر به فدخل عليه فقال له هات على يا امين الله ما

(هذا الخبر فانشأ يقول)

طال ليلي حين وافاني السهر	فتفكرت فاحسنت الفكر
قمت امشي في المجال ساعة	ثم اجري في مقاصير الحجر
فاذا وجه جميل مشرق	زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجل منها موطئا	فدنت مني ومدت للبصر
واشارت لي بقول مفصح	يا امين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق في ارضكم	هل تضيفوه الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدي	اخدم الضيف بسمعي والبصر

قال فتعجب امير المؤمنين من ذلك وامر له بصلة (ويحكى) ان هارون الرشيد هجر جارية له ثم لقيها في بعض الليالي في القصر سكرى تدور في جوانب القصر وعليها مطرف خز وهي تسحب اذيالها من التيه والعجب وسقط رداؤها عن منكبها والريح ابان نهدها كانهما رمانتان ولها ردفان ثقيلان فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين هجرتني هذه المدة وليس لي علم بملاقاتك فانظرني الى غد حتى اتهيأ وآتيك فلما اصبح قال للحاجب لا تدع احدا يدخل علي الا فلانة وانتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسألها انجاز الموعد فقالت يا امير المؤمنين كلام الليل يمحوه النهار فقام واستدعى من

بالباب من الشعراء فدخل عليه ابو نواس والرقاشي وابو مصعب فقال لهم هاتوا على كلام الليل يمحوه النهار فقال الرقاشي انا قائل في ذلك ثلاث

(ابيات وانشأ يقول)

اتسلوها وقلبك مستطار	وقد منع الفرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما	فتاة لاتزور ولا تزار
فولت وانثنت تيها وقالت	كلام الليل يمحوه النهار

(وقال ابو مصعب وانا قائل في ذلك ثلاثة ابيات وانشأ يقول)

اما والله لو تجد بن وجدي	لما وسعتك في بغداد دار
اما يكفيك ان العين عبري	ومن ذكراك في الاحشاء نار
تبسمت الفتاة بغير ضحك	كلام الليل يمحوه النهار

(وقال ابو نواس وانا قائل في ذلك اربعة ابيات وانشأ يقول)

وخود اقبلت في القصر سكرى	ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح ارادافا ثقالا	وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الرداء عن منكبيها	من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتي فقالت	كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد قاتلك الله كانك كنت معنا او مطلعا علينا وامر لكل بخلعة سنية وخمسة آلاف درهم ولابي نواس بعشرة آلاف درهم انتهى (وذكر) الخطيب في بعض مصنفاته ان الرشيد دخل يوما وقت الظهر الى مقصورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما رأته تجللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيئا فاعجبه ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد الى مجلسه وقال من بالباب من الشعراء فقالوا ابو نواس وبشار فقال ليحضرا جميعا فاحضرا فقال الرشيد ليقل كل منكما ابياتا توافق ما في نفسي فانشأ بشار يقول

(تحببتكم والقلب صار اليكمو	بنفسي ذاك المنزل المتحبب)

اذا ذكروا الهجران لا عن ملالة	وذكراهم بي تمي الى مجيب
وقالوا اجتنبنا ولا قرب بيننا	فكيف وانتم ما جنيتم تجتنب
على انهم احلى من الشهد عندنا	واعذب من ماء الحياة والطيب

فقال احسنت ولكن ما اصبت ما في نفسي فقل انت يا ابا نواس فجعل يقول

نفت عنها القميص لصب ماء	فورّد وجهها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت	بمعتدل ارق من الهباء
ومدت راحة كالماء منها	الى ماء معد في اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت	على عجل لتأخذ للرداء
رأت شخص الرقيب على التداني	فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل	فظل الماء يجري تحت ماء
فسبحان الاله وقد براها	كاحسن ما تكون من النساء

فقال الرشيد سيفا ونطعا فقال له ولم يا امير المؤمنين قال امعنا كنت قال لا والله ولكن شيء خطر ببالي فامر له باربعة آلاف درهم وصرفه انتهى ويحكى ان امير المؤمنين الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فقام من فرشه وتمشى من مقصورة الى مقصورة وقلقه زائد ونفسه محصورة فلما اصبح قال علي بالاصمعي فخرج الطواشي الى البوابين وقال لهم يقول لكم امير المؤمنين ارسلوا احدا اخلف الاصمعي فلما حضر اعلم الخليفة به فاجلسه ورحب به وقال يا اصمعي اريد منك ان تحدثني باجود ما سمعت من اخبار النساء واشعارهن فقال سمعا وطاعة لقد سمعت كثيرا ولم يعجبني سوى ثلاث ابيات انشدهن ثلاث بنات فقال حدثني حديثهن فقال اعلم يا امير المؤمنين اني توجهت سنة الى البصرة فاشتد علي الحر فطلبت مقيلا اقيل فيه فلم اجد فبينما انا التفت يمينا وشمالا اذا انا بساباط مكنوس مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت الساباط وجلست على

الدكة واردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من فم جارية حسناء وهي تقول يا اختي انا جلسنا يومنا هذا على وجه الصبوح تعالين نطرح ثلثمائة دينار وكل منا تقول بيتا من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت الثلثمائة دينار لها فقلن حبا وكرامة فقالت الكبرى

عجبت له ان زار في النوم مضجعي ... ولو زارني مستيقظا كان اعجبا

فقالت الوسطى

وما زارني في النوم الا خياله ... فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى

بنفسي واهلي من ارى كل ليلة ... ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

فقلت ان كان لهذا المقال جمال فقد تم الامر على كل حال فنزلت عن الدكة واردت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول اجلس يا شيخ فطلعت على الدكة ثانيا وجلست فدفعت الي ورقة فنظرت خطا في نهاية الحسن مستقيم الالفات مجوف الهاآت مدور الواوات مضمونها نعلم الشيخ اطال الله بقاءه اننا ثلاث بنات اخوات جلسنا على وجه الصبوح وطرحنا ثلثمائة دينار وشرطنا ان كل من قالت البيت الاعذب الاملح كان لها الثلثمائة دينار وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما تراه والسلام فقلت للجارية علي بدواة وقرطاس فغابت قليلا وخرجت الي بدواة مفضضة واقلام مذهبة

فانشأت اقول

احدث عن خود تحدث مرة ... حديث امرئ ساس الامور وجربا

ثلاث كبكرات الصباح جواقل ... خلون بقلب للمشوق معذبا

خلون وقد نامت عيون كثيرة ... من الرأي قد يشهون ان تتغيبا

فبحن بما يخفين من داخل الحشا ... نعم واتخذن الشعر لهوا وملعبا

فقالت عروب ذات عز عزيزة ... وتبسم عن عذب المقالة انسبا

عجبت له ان زار في النوم مضجعي ... ولو زارني مستيقظا كان اعجبا

فلما انقضى ما زخرفت وتضاحكت ... تنفسطت الوسطى وقالت تطربا

وما زارني في النوم الاخيال ه ... فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

واحسنت الصغرى وقالت مجيبة ... بلفظ لها قد كان اشهى واعذبا

بنفسي واهلي من ارى كل ليلة ... ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

فلما تدبرت الذي قلن وانبرى ... لي الحكم لم اترك لذي اللب معتبا

حكمت لصغراهن في الشعر انني ... رايت الذي قالت هو الحق صوابا

قال الاصمعي ثم دفعت الرقعة الى الجارية فلما صعدت الى القصر فاذا برقص و تصفيق ودنيا دانية وقيامة قائمة فقلت ما بقي لي اقامة فنزلت عن الدكة واردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس يا اصمعي فقلت ومن اعلمك انني الاصمعي فقالت يا شيخ ان خفي علينا اسمك فما خفي علينا نظمك فجلست واذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الاولى وعلى يدها طبق من فاكهة وطبق من حلوى فتفكهت وتحليت وشكرت صنعها واردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس يا اصمعي فرفعت بصري اليها فنظرت كفا احمر في كم اصفر فخلته البدر يشرق من تحت الغمام ورمت لي بصرة فيها ثلثمائة دينار وقالت هذا صار لي وهو مني لك هبة في نظير حكومتك فقال لي امير المؤمنين لاي شيء حكمت للصغرى ولم تحكم للكبرى ولا للوسطى فقلت له يا امير المؤمنين اطال الله بقاءك

ان بيت الكبرى قالت

عجبت له ان زار في النوم مضجعي وهو محمول معلق على شرط قد يقع ولا يقع واما الوسطى مر بها طيف خيال في النوم فسلمت عليه وبيت الصغرى ذكرت انها ضاجعته مضاجعة حقيقية وشمت منه انفاسا اطيب من المسك وفدته بنفسها واهلها ولا يفدى بالنفس الا من هو اعز من النفس فقال الخليفة احسنت يا اصمعي ثم دفع الى ثلثمائة دينار

فاخذتها وانصرفت فكنت اقول لله درها من شعر اخذت فى حكومتى منه
ثلثمائة دينار وفى حكاية مثلها والله اعلم ومما حكى عن الاصمعى فى نوادره
قال سهرت ليلة عند الرشيد فى الرقة فقال لى من سحلك يا عبد الله يؤنسك
فقلت يا امير المؤمنين ما لى انيس غير الوحدة فامسك واقبل فى حديثه ما شاء
الله ثم نهض ونهضت من حضرته فلما صرت الى منزلى واذا بخادم الامير يقرع الباب
فخرجت فاذا معه شمع وطيب وعود وغنا ومعهم جارية فلما رآنى الخادم دنا منى وقبل
يدى وقال لى يقول لك امير المؤمنين قد امرنا لك بمن يؤنسك وهى جارية من
خواصه ومعى من المال فشكرت امير المؤمنين ودعوت له وتقدم الخادم بادخال
الجارية ومعها من الالات والخدم والجوارى والفرش ما الدار مثله الا عند امير المؤمنين
ثم ودعنى الخادم وانصرف فلما نظرت الى الجارية رايتها احسن الناس وجها واكملهم
قدا وشكلا وخلقا فاذا اكثرهم مجونا الا انه خلتنى لها هيبة وانقباض فقالت ما هذا
الحياء البارد يا شيخ الذى لا وجه له ابن ملحك ونوادرك ثم قالت لجارية من الجوارى
هات ما عندك فجاءت باحسن ما يكون من الوان الطعام فاكلنا وهى مع
ذلك تباسطنى وتؤانسنى بالحديث والملاعبة ثم دعت بالشراب فشربت و
سقتنى ثم قالت ما بقى بعد الاكل والشرب الا النوم والخلوة فقامت ولبست
من الثياب ما ارادت والبستنى ثيابا فاخرة مبيضة وتفرق من كان عندنا
ثم اضطجعت الى جانبى فلما جمعنا الفراش اصابنى من الحصر وانقطاع الانعاظ
ومخافة الامير ما لم اكن اعهده قبل ذلك فجعلت تقلبه بيدها وتغمزه فلا يزداد
الا انكماشا ومرة انا اعينها بالحيلة فيبرد ويشتد من قيامه ومضى من الليل اكثره
قالت عظم الله اجرك فى ايرك ثم نهضت ولبست ثياب الحداد ودعت بسفط
فاخرجت منه منديلا ضخما ووضعوا ثم قالت نم على ظهرك يا بطال فاستلقيت على
المجلس حتى انى ما ابالى ابدا فى شى مما تامرنى به فى جميع ما تفعله فى تغسيله
وحنطته وكفنته بتلك المناديل فلما فرغت همت بجواريها وقامت معهن فى البكا

ونحيب ونوح وندب وصراخ باشد ما يكون وماذا الواعلى ذلك الى وقت السحر ثم قالت ما بقى الا ما يتولاه الرجال من الصلاة والدفن وولت عنى فقمت وانا احزن خلق الله حالا فلبست ثيابى وصليت الفجر وسرت من وقتى وساعتى الى الرشيد فانكر الحجاب حضورى فى ذلك الوقت واعلم الرشيد بى فأذن لى فدخلت وهو قاعد فى مصلاه فقال لى ويحك ما دهاك فى هذا الوقت فقلت يا امير المؤمنين خبرى عجيب وامرى غريب فبالله عليك يا امير المؤمنين الا ما رحمتنى واخذت من هذه الجارية التى انفذتها الى فلا حاجة لى بها فقال لى امير المؤمنين وما السبب لذلك وما الخبر الذى دهاك وليس لها عندك حين من الزمان فشرحت له القصة من اولها الى آخرها حتى بلغت الى اقامة الصلاة فاشتد ضحكه حتى انه كاد ان يستلقى على قفاه وسمعت الضحك من كل ناحية فى الدار من الجوارى وغيرهن ثم قال نحن الى هذه احوج منك اليها وقد كنا غافلين عنها ثم انه امر بحملها الى داره وعوضنى عنها خمسين الف درهم وترك جميع ما حل معها فى منزلى وخرجت مجبرة فحظيت بعد ذلك عند الرشيد حتى انه لم يتقدم عليها احد من نظائرها وسميت من وقتها صاحبة الاصمعية الى ان توفيت رحمة الله عليهم اجمعين

وعن ابى اسحق ابراهيم الموصلى قال استأذنت الرشيد ان يهب لى يوما من الايام للانفراد بجوارى واخوانى فاذن لى فى يوم السبت فاتيت منزلى واخذت فى اصلاح طعامى وشرابى وما احتجت اليه وامرت البوابين بغلق الابواب وان لا يأذنوا لاحد بالدخول على فبينما انا فى مجلسى والحريم قد حففن بى واذا بشيخ ذى هيبة وجمال وعليه خفان قصيران وقميص ناعم وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكازة مقمعة من فضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار والرواق فداخلنى غيظ عظيم لدخوله على وهممت بطرد البوابين فسلم على احسن سلام فرددت عليه وامرته بالجلوس فجلس واخذ يحدثنى باحاديث العرب واشعارها حتى ذهب ما بى من الغضب وظننت ان غلمانى تحروا مسرتى لادخاله

مثله على لادبه وظرفه فقلت هل لك فى الطعام فقال لاحاجة لى فيه قلت فالشراب قال ذلك اليك فشربت رطلا وسقيته مثله ثم قال يا ابا اسحاق هل لك ان تغنينا شيئا فنسمع من صنعتك ما قد فقت به العام والخاص فغاظنى قوله ثم سهلت الامر على نفسى فاخذت العود وضربت وغنيت فقال احسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت اما رضى بما فعله فى دخوله بغير اذنى واقتراحه على حتى سمانى باسمى ولم يجمل مخاطبتى ثم قال هل لك ان تزيد ونكافئك فتزيدت واخذت العود فغنيت وتحفظت فيما غنيته وقمت به قياما تاما لقوله ونكافئك فطرب وقال احسنت ياسيدى ثم قال تاذن لى فى الغناء فقلت شانك واستضعفت عقله فى ان يغنى بحضرتى بعد الذى سمعه منى فاخذ العود وجسه فوالله خلت ان العود ينطق بلسان عربى واندفع يغنى هذه الابيات

ولى كبد مقروحة من يبيعنى	بها كبد ليست بذات قروح
اباها على الناس ان يشترونها	ومن يشترى ذا علة بصحيح
ائن من الشوق الذى فى جوانحى	انين غصيص بالشراب طريح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت ان الابواب والحيطان وكل ما فى البيت يجيبه وتغنى معه وبقيت مبهوتا لا استطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى

ثم اندفع يغنى فقال

الا يا حمامات اللوى عدن عودة	فانى الى اصواتكن حزين
فعدن ولما عدن كدن يمتننى	وكدت باسرارى لهن ابين
دعون بترداد الهدير كانما	شربن الحميا او بهن جنون
فلم تر عينى مثلهن حمائما	بكين ولم تدمع لهن عيون

قال ثم سكت قليلا وغنى هذه الابيات

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد	فقد زادنى مسراك وجدا على وجدى
أإن هتفت ورقاء فى رونق الضحى	على فنن من غصن بان ومن رند
بكيت كما يبكى الوليد صبابة	وابديت من شكواى مالم اكن ابدى

وقد زعموا ان المحب اذا دنا	يمل وان البعد يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا	على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع	اذا كان من تهواه ليس بذي ود

ثم قال يا ابراهيم هذا الغناء الماخوري خذه وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك فقلت اعده علي فقال لست تحتاج الى اعادة فقد اخذته وفرغت منه ثم غاب من بين يديه فارتعبت منه وقمت الى السيف وجردته ثم غدوت نحو ابواب الحريم فوجدتها مغلقة فقلت للجواري اي شئ سمعتن فقلن سمعنا غناء اطيب شئ واحسنه فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البوابين عن الشيخ فقالوا اي شيخ فوالله مادخل اليك اليوم احد فرجعت لتأمل امره فاذا هو قد هتف بي من جوانب البيت وقال لا بأس عليك يا ابا اسحاق فانما هو ابو مرة قد كنت نديمك اليوم فلاتفزع فركبت الى الرشيد فاخبرته الخبر فقال اعد الاصوات التي قد اخذتها فاخذت العود وضربت فاذا هي راسخة في صدري فطرب الرشيد عليها وجعل يشرب ولم يكن له همة على الشراب وقال كان الشيخ علم انك قد اخذت الاصوات وفرغت منها فليته متعنا بنفسه يوما واحدا كما متعك ثم امر لي بصلة فاخذتها وانصرفت انتهى . وقال الرشيد يوما للفضل بن يحيى وهو بالرقة قد قدم اسماعيل ابن صالح بن علي وهو صديقك واريد ان اراه فقال ان اخاه عبد الملك في حبسك وقد نهاه ان يجيئك قال الرشيد فاني اتعلل حتى يجيئني عائدا فتعلل فقال الفضل لاسماعيل الا تعود امير المؤمنين قال بلى فجاءه عائدا فاجلسه ثم دعا بالغداء فاكل واكل اسماعيل بين يديه فقال له الرشيد كاني قد نشطت برؤيتك الى شرب قدح فشرب وسقاه ثم امر فاخرج جواري يغنين وضربت ستارة وامر بسقيه فلما شرب اخذ الرشيد العود من يد جارية ووضعه في حجر اسماعيل وجعل في عنقه سبحة وفيها

عشر حبات من در شراؤها بثلاثين الف دينار وقال غن يا اسماعيل وكف عن يمينك بش هذه السجنة فانه فجي يغني شعر الوليد بن يزيد في غالية اخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحته وهي التي ينسب اليها

سوق الغالية فقال

فانت مرما ادنيت كفي لريبة	ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها	ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
واعلم اني لم تصبني مصيبة	من الدهر الا قد اصابت فتى مثلي

فسمع الرشيد احسن غناء من احسن صوت فقال الربيع يا غلام فجئ بالسرج نعقد له لواء على امارة مصر قال اسماعيل فوليتها سنتين فاوسعتهم عدلا وانصرفت بخمسمائة الف دينار وبلغ اخاه عبد الملك ولايته فقال غني والله الخبيث لهم ليس هو بصالح انتهى ويروى انه لما دخل هارون الرشيد الى مكة شرفها الله تعالى وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك ليتفرد بالطواف فسبقه اعرابي فشق ذلك على الرشيد فالتفت الى حاجبه منكرا عليه فقال الحاجب للاعرابي تخل عن الطواف حتى يطوف امير المؤمنين فقال الاعرابي ان الله ساوى بين الانام والرعية في هذا المقام فقال عز وجل سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم فلما سمع الرشيد من الاعرابي ذلك راعه امره فامر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد الى الحجر الاسود ليستلمه فسبقه الاعرابي فاستلمه ثم اتى الرشيد الى المقام ليصلي فسبقه الاعرابي فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته قال لحاجبه ائتني بهذا الاعرابي فاتاه الحاجب فقال اجب امير المؤمنين فقال مالي اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو احق بالقيام الي والسعي فقام الرشيد حتى وقف بازاء الاعرابي وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرشيد يا اخا العرب اجلس ههنا بامرك فقال الاعرابي ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمي وكلنا فيه سواء فان شئت تجلس وان شئت تنصرف قال الراوي فعظم ذلك على الرشيد

وسمع مالم يكن فی ذهنه وماظن انه يواجهه بمثل هذا الكلام فی مجلس الرشيد
وقال يا اعرابی اريد ان اسالك عن فرضك فان انت اقمت به فانت بغيره اقوم
وان انت عجزت عنه فانت اعجز فقال الاعرابی سؤالك هذا سؤال تعلم
ام سؤال تعنت فتعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال بل سؤال تعلم فقال له الاعرابی
قم فاجلس مقام السائل من المسؤل قال فقام الرشيد وجثی علی ركبتيه بين يدی
الاعرابی فقال قد جلست فاسأل عما بدالك فقال له اخبرنی عما افترض الله عليك فقال
له تسألنی عن ای فرض عن فرض واحد ام عن خمسة ام عن سبعة عشر ام عن اربعة
وثلاثين ام عن خمسة وثمانين ام عن واحدة فی طول العمر ام عن واحدة من اربعين
ام عن خمسة من مائتين قال فضحك الرشيد حتی استلقی علی قفاه استهزاء به ثم
قال له سألتك عن فرضك فاتيتنی بحساب الدهر قال يا هرون لولا ان الدين
بالحساب لما اخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة فقال تعالی ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفی
بنا حاسبين قال فظهر الغضب فی وجه الرشيد واحمرت عيناه حين قال يا هارون
ولم يقل له يا امير المؤمنين وبلغ منه مبلغا شديدا غير ان الله تعالی عصمه
وحال بينه وبينه لما علم ان الله هو الذی انطق الاعرابی بذلك فقال له الرشيد
يا اعرابی ان فسرت ما قلت نجوت والا امرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة
فقال له الحاجب يا امير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالی ولهذا المقام الشريف
قال فضحك الاعرابی من قولهما حتی استلقی علی قفاه فقال مم تضحك قال عجبا
منكما اذ لا ادری ايكما اجهل الذی يستوهب اجلا قد حضر ام يستعجل اجلا لم
يحضر قال فهال الرشيد ما سمع منه وهانت نفسه عليه ثم قال الاعرابی اما
سؤالك عما افترض الله علی فقد افترض علی فرائض كثيرة فقولی لك عن فرض
واحد فهو دين الاسلام واما قولی عن خمسة فهی الصلوات واما قولی لك عن
سبعة عشر فهی سبعة عشر ركعة واما قولی لك عن اربعة وثلاثين فهی السجدات

واما قولی لك عن خمسة وثمانين فهی التكبيرات واما قولی لك عن واحدة فی طول العمر فهی حجة الاسلام واحدة فی طول العمر كله واما قولی لك واحدة من اربعين فهی زكاة الشياه شاة من اربعين شاة واما قولی لك خمس من مائتين فهی زكاة الورق قال فامتلأ الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل و من حسن كلام الاعرابی وعظم الاعرابی فی عينه وتبدلت بغضته محبة ثم قال الاعرابی سألتنی فاجبتك وانا اريد ان اسألك فاجبنی قال قل فقال الاعرابی ما تقول فی رجل نظر الی امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة فلما كان وقت الظهر حلت له فلما كان وقت العصر حرمت عليه فلما كان وقت المغرب حلت له فلما كان وقت العشاء حرمت عليه فلما كان وقت الصبح حلت له فلما كان وقت الظهر حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما كان وقت المغرب حرمت عليه فلما كان وقت العشاء حلت له فقال والله يا اخا العرب لقد اوقعتنی فی بحر لم يخلصنی منه غيرك فقال له انت خليفة ليس فوقك شیء ولا ينبغی ان تعجز عن مسألة فكيف عجزت عن مسألتی وانا رجل بدوی لا قدرة لی فقال الرشيد قد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك فاشتهی اكرامك ولهذا المقام تفسير ذلك فقال حبا وكرامة ولكن علی شرط ان تجبر الكسير وترحم الفقير ولا تزدری بالحقير فقال حبا وكرامة ثم قال ان قولی لك عن رجل نظر الی امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه حراما فهو رجل نظر الی امة غيره وقت الفجر فهی حرام عليه فلما كان وقت الظهر اشتراها فحلت له فلما كان وقت العصر اعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت المغرب تزوجها فحلت له فلما كان وقت العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر اعتق عنها فحلت له فلما كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء تاب ورجع الی الاسلام فحلت له قال فاغتبط وفرح به واشتد اعجابه ثم امر له بعشرة الاف درهم فلما حضرت قال لا حاجة لی بها ردها

الى اصحابها فقال له اريد ان اجرى لك جراية تكفيك مدة حياتك قال الذي اجرى عليك يجرى على قال فان كان عليك دين قضيناه عنك قال لا ولم

يقبل عنه شيئا ثم انشد يقول

هب الدنيا تواتينا سنينا فتكدر ساعة وتلذ حينا
فما ابغى بشئ ليس يبقى واتركه غدا للوارثينا
كانى بالتراب على يحثى وبالاخوان حولى نادبينا
ويوم تزفر النيران فيه وتقسم جهرة للسامعينا
وعزة خالقى وجلال ربى لانتقمن منهم اجمعينا
وقد شاب الصغير بغير ذنب فكيف يكون حال المجرمينا

فلما فرغ من انشاده تأوه الرشيد وسأله عن اهله وبلاده فاخبره انه موسى الرضى ابن موسى كاظم ابن جعفر الصادق بن محمد باقر ابن على ابن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين وكان يتزيا بزى اعرابى زهدا فى الدنيا وتباعدا عنها فقام اليه الرشيد وقبل ما بين عينيه ثم قرأ الله اعلم حيث يجعل رسالته وانصرف رحمة الله عليهم اجمعين (وقال السجستانى) ارق الرشيد ليلة فوجه الى الاصمعى والى حسين الخليع فاحضرهما وقال عللانى وابدأ انت يا حسين فقال حسين نعم يا امير المؤمنين خرجت فى بعض السنين منحدرا الى البصرة ممتدحا محمد بن سليمان الزينبى بقصيدتى فقبلها وامرنى بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقى فاصابنى حر شديد فدنوت من باب دار كبيرة لاستسقى فاذا انا بجارية كانها قضيب تتثنى وسنا العينين ادعج الحاجبين مفتوحة الجبين عليها قميص جلنارى ورداء عدنى قد غلب شدة بياض بدنها على حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطى القباطى وعكن كالقراطيس لها جمة جعدت بالمسك محشوة وهى يا امير المؤمنين متقلدة خرزا من الذهب والجوهر بين ثدييها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان اسيلان

وانف اقنى تحته ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهى والهة حيرانة ذاهبة فى الدهليز ورائحة تخطر على اكباد محبيها فى مشيتها وقد خالط اصوات نعلها خلاخيلها فهى كما قال الشاعر فيها

كل جزء من محاسنها ... كائن من حسنها مثلا

فهبتها يا امير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدهليز والدار والشارع قد عبق بالمسك فسلمت عليها فردت بلسان منكسر وقلب حزين حريق مسعر فقلت لها يا سيدتى انى شيخ غريب اصابنى عطش افتأمرين بشربة من ماء توجرين عليها قالت اليك عنى يا شيخ فانى مشغولة عن الماء وادخار الزاد قلت لاى علة يا سيدتى قالت لانى عاشقة لمن لا ينصفنى واريد من لا يريدنى ومع ذلك فانى ممتحنة برقباء فوق رقباء قلت فهل يا سيدتى على بسيطة الارض من تريدينه ولا يريدك قالت نعم وذلك لفضل ما ركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت وما وقوفك فى هذا الدهليز قالت ههنا طريقه وهذا اوان اجتيازه فقلت لها يا سيدتى فهل اجتمعتما فى وقت من الاوقات اوجب حديثا فى هذا القرب فتنفست الصعداء وارخت دموعها على خدها كطل سقط على ورد ثم انشأت تقول

وكنا كغصنى بانة فوق روضة ... نشم جنى اللذات فى عيشة رغدا
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع ... فيا من رأى فردا يحن الى فرد

قلت يا هذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت ارى الشمس على حائطهم احسب انها هو وربما اراه بغتة فابهت ويهرب الدم والروح من جسدى وابقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل فقلت لها فاعذرينى فانت على ما بك من الصبا وشغل البال بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى أرى بك من اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يمسك الهوى لكنت مفتتنة فى ارض البصرة فقالت والله قبل محبتى هذا الغلام كنت تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى افتننى هذا الغلام قلت يا هذه فما الذى فرق بينكما قالت نوائب الدهر وحديثى

حديث شأن من الشوم وذلك اني كنت قعدت في يوم نوروز ودعوت عدة من
مستظرفات البصرة من النساء الجميلات وكانت فيهن الحوراء جارية بشيراز و
كان شراؤها عليه من عمان بثمانية آلاف درهم وكانت بي ولعة فلما دخلت رمت
بنفسها علي تقطعني قرصها ثم خرجت اذ خلونا تغزلت القهوة الى ان يدرك طعامنا
ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبني وألاعبها فتارة انا فوقها وتارة هي فوقي فحملها
السكر الى ان ضربت يدها الى تكتي فحللتها من غير ريبة كانت بيننا ونزلت سراويلي
ملاعبة فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا حبيبي فرأى ذلك فاشمأز لذلك
وصدف عني صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجامها فولى خارجا
فانا يا شيخ منذ ثلاث سنوات اسأل بجمعته فلا ينظر الي بطرف ولا يكتب الي بحرف ولا
يكلم لي رسولا ولا يسمع مني قليلا فقلت لها يا هذه من العرب هو ام من العجم فقالت
ويحك هو من جملة ملوك البصرة فقلت لها أشيخ هو ام شاب فنظرت الي شزرا
وقالت انك احمق هو مثل القمر ليلة البدر أجرد أمرد له طرة كحنك الغراب لا يعيبه
شيء غير انحرافه عني ثم قلت لها ما اسمه قالت ماذا تصنع به قلت اجتهد في أن آتيه
فاتعرف الفصل بينكما قالت على شرط ان تحمل اليه رقعة قلت لا اكره ذلك فقالت
اسمه ضمرة بن المغيرة ويكنى بابي السمح وقصره بالمربد ثم صاحت في الدار يا جواري هاتوا الدواة
والقرطاس وشمرت عن ساعدين كانهما طوقان من فضة وكتبت بعد البسملة
سيدي ترك الدعاء في صدر رقعتي ينبئ عن تقصيري ودعائي ان دعوت هجنة
ودعوة ولولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لكان لما انكلفته خادمتك
من كتابة هذه الرقعة معنى مع إياسها منك لعلمها بترك الجواب سيدي جد بنظرة
وقت اجتيازك في الشارع الى الدهليز تحيي بها انفسا ميتة واخطط بخط يدك بسطها
الله بكل فضيلة رقعة واجعلها عوضا عن تلك الخلوات التي كانت بيننا في
الليالي الخاليات التي انت ذاكر لها سيدي الست لك محبة مدنفة فان اجبت دعوتي
كنت لك شاكرة ولله حامدة والسلام ثم ناولتني الكتاب وخرجت فلما

غدوة الى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلسا محتفلا بالملوك ورايت غلاما زان المجلس وفاق على من فيه جمالا وبهجة قد رفعه الامير فوقه فسالت عنه فاذا هو ضمرة بن المغيرة فقلت فى نفسى بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل بها ثم قمت وقصدت المربد فوقفت على باب داره فاذا هو قد ورد فى موكب فوثبت اليه وبالغت فى الدعاء له وناولته الرقعة فلما قرأها وفهم معناها قال لى يا شيخ قد استبدلنا بها فهل لك ان تنظر الى البديل قلت نعم فصاح فى الدار اخرجوا الربد فاذا انا بجارية خابو طيبة الكبرى ناهدة التديين تمشى مشية مستعجل من غير وجل فناولها الرقعة وقال اجيبى عنها فلما قرأتها اصفرت وعرفت وقالت يا شيخ استغفر الله مما جئت به فخرجت يا امير المؤمنين وانا اجر رجلى حتى اتيتها واستأذنت عليها فقالت ما وراءك فقلت البؤس واليأس قالت ما عليك منه فاين الله والقدرة ثم امرت لى بخمسمائة دينار ثم جزت بعد ايام ببابها فوجدت غلمانا وفرسانا قد خلت فاذا اصحاب ضمرة يسألونها الرجوع اليه فقالت لا والله لا نظرت له وجها فسجدت لله يا امير المؤمنين شماتة بضمرة ونفرته من الجارية فاوردت على منه رقعة فاذا فيها بعد التسمية سيدتى لولا ابقاى عليك اذا مرالله حياتك لوصفت شطرا من غدرك وبسطت شطر عتبى عليك وسلكت ظلامتى فيك اذ كنت الجانية على نفسك ونفسى والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواى والله المستعان على ما كان من سوء اختيارك والسلام ولو وقفتنى على ما حمله اليها من الهدايا والتحف العظيمة فاذا هو بمقدار ثلاثين الف دينار ثم رايتها بعد ذلك وقد تزوج بها ضمرة فقال الرشيد لولا ان ضمرة لسبقنى اليها لكان لها معى شأن من الشؤن انتهى

وحكى مسرور الخادم قال ارق الرشيد ارقا شديدا ليلة من الليالى فقال يا مسرور من على الباب من الشعراء فخرجت الى الدهليز فوجدت جميل بن معمر العذرى فقلت له اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فدخلت ودخل معى الى ان صار بين يدى هارون الرشيد فسلم بسلام الخلافة فرد عليه السلام

بالجلوس فقال له الرشيد يا جميل اعندك شيء من الاحاديث العجيبة قال نعم يا
امير المؤمنين ايما احب اليك ما عاينته ورايته او ما سمعته ووعيته فقال بل حدثني
عما عاينته ورايته فقال نعم يا امير المؤمنين اقبل علي بكلك واصغ الي باذنك
قال فعمد الرشيد الى مخدة من الديباج الاحمر المزركش بالذهب محشوة بريش
النعام فجعلها تحت فخذه ثم مكن منها مرفقيه وقال هلم حديثك فقال اعلم يا امير
المؤمنين اني كنت مفتونا بفتاة محبا لها وكنت آلفها اذ هي سولي وبغيتي من الدنيا
وان اهلها رحلوا بها لقلة المرعى فاقمت مدة لم ارها ثم ان الشوق اقلقني وجذبني
اليها فراودتني نفسي بالمسير اليها فلما كانت ذات ليلة من الليالي هزني الوجد اليها
فقمت وشددت رحلي على ناقتي واعتممت بعمتي ولبست اطماري وتقلدت
بسيفي وتنكبت بجحفتي وركبت ناقتي وخرجت طالبا لها وكنت اجد في المسير
وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وانا مع ذلك اكابد هبوط الاودية وصعود الجبال
اسمع زئير الاسد وعواء الذئاب واصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهل
عقلي وطاش لبي ولساني لا يفتر عن ذكر الله تعالى فبينما انا اسير كذلك اذ غلبني
النوم فاخذت بي الناقة عن غير الطريق التي كنت فيها وزاد علي النوم واذا انا بشيء لطمني
في راسي فانتبهت فزعا مرعوبا فاذا انا باشجار وانهار ومياه واطيار على تلك الاغصان
تزعق بلغاتها والحانها واشجارها تلك المروج مشتبكة بعضها ببعض فنزلت عن
ناقتي واخذت بزمامها بيدي ولم ازل اتلطف بها الى ان خرجت بها من تلك
الاشجار الى ارض فلاة فاصلحت كورها واستويت راكبا على ظهرها ولا ادري
الى اين اذهب ولا الى ما تسوقني الاقدار فمددت نظري في تلك البرية فلاحت
لي نار في صدرها فوكزت ناقتي وصرت طالبا الى ان وصلت الى تلك النار
فقربت منها وتاملت واذا بخباء مضروب ورمح مركوز وراية قائمة وخيل واقفة
وابل سائمة فقلت في نفسي يوشك ان يكون لهذا الخباء شان عظيم فاني لا ارى
في هذه البرية سواه ثم تقدمت الى جانب الخباء وقلت السلام عليكم يا اهل الخباء

ورحمة الله وبركاته فخرج الى من الخباء غلام من ابناء تسعة عشر سنة كانه البدر اذا اشرق والشجاعة لائحة بين عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا اخا العرب انى اظنك ضالا عن الطريق فقلت الامر كذلك ارشدني يرحمك الله تعالى فقال يا اخا العرب ان بلدنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش ان يفترسك فانزل عندي على الرحب والسعة فاذا كان الغد ارشدتك الى الطريق قال فنزلت عن ناقتي وعقلتها بفاضل زمامها ونزعت ما كان على من الطمار وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الى شاة فذبحها واتى نار فاضرمها واججها ثم دخل الى الخباء واخرج ابزارا ناعمة وملحا مطيبا واقبل يقطع من اللحم ويشوى على النار ويطعمنى ويتنهد تارة ويبكى تارة اخرى

ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديدا وانشد يقول

لم يبق الا نفس خافت	ومقلة انسانها باهت
لم يبق فى اعضائه مفصل	الا وفيه سقم ثابت
ودمعه جار واحشاؤه	توقد الا انه ساكت
تبكى له اعداؤه رحمة	يا ويح من يرثى له الشامت

قال جميل فعند ذلك يا امير المؤمنين علمت ان الغلام عاشق ولهان لا يعرف الهوى الا من ذاق طعم الهوى فقلت فى نفسى انا فى منزل الرجل واتهجم عليه فى السؤال فردعت نفسى واكلت من ذلك اللحم بحسب الكفاية فلما فرغ من الاكل قام الشاب ودخل الخباء واخرج طشتا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير واطرافه مزركشة بالذهب الاحمر وقمقما مملوءا من ماء الورد الممسك قال فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت فى نفسى ما اعرف الظرف فى البادية ثم غسلنا ايدينا وتحدثنا ساعة ثم انه قام ودخل الى الخباء وقطع بينى وبينه بقطع من الديباج الاحمر ثم خرج وقال ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك فى هذه الليلة تعب وفى سفرك هذا نصب مفرط قال جميل فدخلت فاذا انا بفراش

من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ما كان علی من الثیاب ونمت بلیلة لم انم
عمری مثلها فلم ازل کذلك وانا متفکر فی امر هذا الشاب الی ان جن اللیل ونامت
العیون فلم اشعر الا بجس خفی لم اسمع الطف منه ولا ارق حاشیة فرفعت سجاف
المضرب ونظرت فاذا انا بصبیة لم ار احسن منها وجها وهی الی جانبه وهما یبکیان و
یتشاکیان الم الهوی والصبابة والجوی وشدة اشتیاقهما الی التلاق فقلت یا لله
العجب من هذا الشخص الثانی وهذا فرد بیت فانی لم ار فیه غیر هذا الفتی ولیس
حوله احد ثم قلت فی نفسی لا شك ان هذه الجاریة من بنات الجن تهوی هذا الغلام
وقد تفردت بها فی هذا المکان وتفردت به فحققتها فاذا هی انسیة عربیة اذا
سفرت یخجل الشمس المضیئة وقد اضاء الخباء من نور وجهها فلما تحققت انها
محبوبته غلبتنی الغیرة علی الحب فارخیت الستر وغطیت وجهی ونمت فلما اصبحت
لبست ثیابی وتوضأت لصلاتی وصلیت ما کان علی من الفرض ثم قلت له یا
اخا العرب هل لك ان ترشد الی الطریق فقد تفضلت علی فنظر الی وقال علی رسلك
یا وجه العرب الضیافة ثلاثة ایام وما کنت بالذی یدعك الا ثلاثة ایام قال جمیل
فاقمت عنده ثلاثة ایام فلما کان الیوم الرابع جلسنا للحدیث فحادثته وسألته عن
اسمه ونسبه فقال اما نسبی فانا من بنی عذرة وانا فلان ابن فلان وعمی فلان
فاذا هو ابن عمی یا امیر المؤمنین وهو من اشرف بیت فی بنی عذرة قال فقلت یا
ابن العم ما حملك علی ما اراه منك من الانفراد فی هذه البریة وکیف ترکت
عبیدك واماءك وانفردت بنفسك فی هذا المکان فلما سمع یا امیر المؤمنین کلامی
تغرغرت عیناه بالبکاء ثم قال یا ابن العم انی کنت محبا لابنة عمی مفتونا بها هائما بحبها
مجنونا فیها لا اطیق الفراق عنها فزاد عشقی لها فخطبتها من عمی فابی ان یزوجنیها
وزوجها من رجل من بنی عذرة ودخل بها واخذها الی المحلة التی هو فیها من
العام الاول فلما بعدت عنی وحجبت عن النظر الیها حملتنی لوعات الهوی وشدة
الشوق والجوی علی ترکی اهلی ومفارقتی عشیرتی وخلانی وجمیع نعمتی وانفردت

بهذا البيت فی هذه البریة والفت وحدتی فقلت واین ابیاتهم قال هم قریب فی ذروة هذا الجبل وهی کل لیلة عند نوم العیون وهدوء من اللیل تنسل من الحی سرا بحیث لا یشعر بها احد فاقضی منها بالحدیث وطرا وتقضی هی کذلک وها انا مقیم کذلک علی هذا الحال اتسلی بها ساعة من اللیل لیقضی الله امرا کان مفعولا او یأتینی الامر علی رغم الحاسدین او یحکم الله لی وهو خیر الحاکمین قال جمیل فلما حدثنی الغلام یا امیر المؤمنین غمتنی امره وصرت من ذلک فی حیرة لما اصابنی علیه من الغیرة فقلت له یا ابن العم هل لک ان ادلک علی حیلة اشیر بها علیک و فیها ان شاء الله عین الصلاح وسبیل الرشد والنجاح وبها یفرج الله علیک الذی تخشاه فقال لی قل یا ابن العم فقلت له اذا کان اللیل وجاءت الجاریة فاطرحها علی ناقتی فانها سریعة الرواح واركب انت جوادك وانا اركب بعض هذه النوق واسیر بکم اللیلة جمیعها فما یصبح الصباح الا وقد قطعت بکم براری وقفارا وتکون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك وارض الله واسعة فضاها وانا والله مساعدك ما حییت بروحی ومالی وسیفی فلما سمع ذلک قال لی یا ابن العم حتی اشاورها فی ذلک فانها عاقلة لبیبة بصیرة بالامور قال جمیل فلما جن اللیل وحان وقت مجیئها وهو منتظر الوقت المعلوم فابطأت عن عادتها فرایت الفتی وقد خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل یتنسم هبوب الریح التی تهب من نحوها وانشد یقول

ریح الصبا تهدی الی نسیم	من بلدة فیها الحبیب مقیم
یا ریح فیك من الحبیب علامة	افتعلمین متی یکون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانیة وهو یبکی ثم قال لی یا ابن العم ان لبنت عمی فی هذه اللیلة نبأ وقد حدث لها حادث وعاقها عنی عائق ثم قال لی کن مکانك حتی آتیك بالخبر ثم اخذ سیفه وحجفته ثم غاب عنی ساعة من اللیل ثم اقبل وعلی یده شیء یحمله ثم صاح الی فاسرعت الیه فقال اتدری یا ابن العم ما الخبر فقلت لا والله فقال لقد فجعت فی ابنة عمی فی تلك اللیلة لانها کانت توجهت الینا کعادتها

اذ عرض لها في طريقها اسد فافترسها ولم يبق منها الا ما ترى ثم انه طرح ما كان على يده فاذا هو مشاش الجارية وما فضل من عظامها ثم بكى بكاء شديدا ورمى الترس من يده واخذ كساء على يده ثم قال لي لا تبرح الى ان آتيك ان شاء الله تعالى ثم سار فغاب عني ساعة ثم عاد بيده رأس الاسد فطرحه عن يده ثم طلب ماء فاتيته به فغسل فم الاسد وجعل يقلبه ويبكي ويئن وزاد حزنه عليها وانشد يقول

الا ايها الليث المغر بنفسه	هلكت لقد هيجت لي بعدها شجنا
وصيرتني فردا وقد كنت الفها	وصيرت بطن الارض لي ولها وطنا
اقول لدهر خانني بفراقها	وغار عليها ان اكون لها حزنا

ثم قال يا ابن العم سالتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك الا حفظت وصيتي انك سترانى الساعة ميتا بين يديك فاذا كان كذلك فغسلني وكفني انا وهذا الفاضل من مشاش الجارية في هذا الثوب وادفنا في قبر واحد واكتب على قبرنا

هذه الابيات وانشأ يقول

كنا على ظهرها والعيش في رغد	والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف الفتنا	وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال ثم بكى بكاء شديدا ثم دخل المضرب وغاب عني ساعة وخرج وجعل يتنهد ويصيح ثم شهق شهقة فارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم علي وكبر عندي حتى كدت ان الحق به من شدة حزني عليه ثم تقدمت اليه وفعلت به ما امرني من الغسل وكفنتهما جميعا ودفنتهما في قبر واحد واقمت عند قبرهما ثلاثة ايام ثم ارتحلت واقمت سنين اتردد الى زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا امير المؤمنين قال فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه واجازه جائزة حسنة والله اعلم

(حكاية اجنبية) قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي بينما انا ذات يوم في منزلي وكان زمن الشتاء وقد انتشرت السحب وتراكمت الامطار تقطر كافواه القرب وامتنع الغادي والمقبل من المسير في الطرقات لما فيها من الامطار والوحل وانا ضيق الصدر

اذ لم يأتني احد من اخواني ولم اقدر على المسير اليهم من شدة الوحل والطين فقلت
لغلامي احضر لي ما اتشاغل به فاحضر لي طعاما وشرابا فتنغصته اذ لم يكن معي
من يؤانسني ولم ازل انطلع من الطاقات وأراقب الطرقات واقبل الليل فتذكرت
جارية لبعض اولاد المهدي كنت اهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك الملاهي
فقلت في نفسي لو كانت الليلة عندنا لتم سروري وطابت ليلتي مما انا فيه من
الفكر والقلق واذا بداق يدق الباب وهو يقول ايدخل محبوب على الباب
واقف فقلت في نفسي لعل غرس التمني اثمر فقمت الى الباب فاذا بصاحبتي وعليها
مرط اخضر قد اتشحت به وعلى رأسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد
غرقت في الطين الى ركبتها وابتل ما عليها من المزاريب وهي في حال عجيب فقلت
لها يا سيدتي ما الذي اتى بك في مثل هذه الاوحال فقالت قاصدك جاءني
ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني الا الاجابة والاسراع نحوك
فعجبت من ذلك وكرهت ان اقول لها اني لم ارسل اليك احدا فقلت الحمد لله
على جمع الشمل بعد ما قاسيت من الم الصبر ولو كنت ابطأت علي ساعة كنت
احق بالسعي اليك فاني كثير الصبابة نحوك ثم قلت لغلامي هات الماء فاقبل
بسخانة فيها ماء حار حتى اصلح لها حالها ثم امرته ان يصب الماء على رجليها و
توليت غسلهما ثم دعوت ببدلة من افخر الملبوس فالبستها اياها بعد ان
نزعت ما كان عليها وجلسنا ثم استدعيت بالطعام فابت فقلت هل لك
في الشراب فقالت نعم فتناولت اقداحا ثم قالت من يغني لي فقلت لها انا يا سيدتي
فقالت لا احب فقلت بعض جواري قالت لا اريد فقلت غني لنفسك قالت
ولا انا قلت فمن يغنيك قالت التمس من يغني لي فخرجت طاعة لها الا اني آيس
من ان اجد احدا في مثل هذا الوقت فلم ازل حتى بلغت الشارع فاذا انا بأعمى
يخبط الارض بعصاه وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت
لم يسمعوا وان سكت استخفوا بي فقلت اعني انت قال نعم قلت فهل لك ان

تتم ليلتك عندنا وتؤانسنا قال ان شئت خذ بيدى فاخذت بيده وسرت الى الدار وقلت لها يا سيدتى اتيت بمغن اعمى نلتذ به ولا يرانا فقالت علىّ به فادخلته وعزمت عليه فى الطعام فاكل اكلا لطيفا وغسل يده وقدمت اليه الشراب فشرب ثلاثة اقداح ثم قال لى من تكون قلت اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال لقد كنت اسمع بك والآن فرحت بمنادمتك فقلت يا سيدى فرحت بمن يسرك فقال غن يا اسحاق فاخذت العود على سبيل المجون وقلت السمع والطاعة فلما غنيت وانقضى الصوت قال يا اسحاق قاربت ان تكون مغنيا فصغرت على نفسى والقيت العود من يدى فقال ماعندك من يحسن الغناء قلت عندى جارية قال مرها فلتغن قلت تغنى وانت واثق بغناها قال نعم فغنت قال ماصنعت شيئا فرمت العود من يدها مغضبة وقالت الذى عندنا جدنا به فان كان عندك شئ فتصدق به فقال علىّ بعود لم تمسه يد فامرت الخادم فجاء بعود جديد فضرب فى طريق

لا اعرفها واندفع يغنى هذه الابيات

سرى يقطع الظلماء والليل عاكف	حبيب باوقات الزيارة عارف
وما راعنا الا السلام وقولها	ايدخل محبوب على الباب واقف

قال فنظرت الى الجارية شزرا وقالت سر بينى وبينك ماوسعه صدرك ساعة واودعته لهذا الرجل فحلفت لها ثم اعتذرت اليها واخذت اقبل يديها وادغدغ ثديها واعض خدها حتى ضحكت ثم التفت الى الاعمى وقلت

غن يا سيدى فاخذ العود وغنى هذه الابيات

الا ربما زرت الملاح وربما	لمست بكفى للبنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم ازل	اعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها يا سيدتى من اعلمه بما نحن فيه قالت صدقت ثم تجنبناه فقال انى لحاقن فقلت يا غلام خذ الشمعة وامض بين يديه فخرج وابطأ فخرجنا فى طلبه فلم نجده واذا الابواب مغلقة والمفاتيح فى الخزانة فلا ندرى افى السماء صعد

اوفی الارض هبط ثم علمت انه ابلیس وانه قادلی ثم انصرف فتذکرت قول

(ابی نواس حیث قال)

عجبت من ابلیس فی کبره		وخبث ما اضمر فی نیته	
تاه علی آدم فی سجدة		وصار قوادا الذریته	

ونظیر ذلک مما یستظرف لابی نواس ماحکی عنه انه قال ضجرت من ملازمة امیر المؤمنین هارون الرشید حتی انی لم اجد فراغا الی نفسی فتوجه امیر المؤمنین الی السرح لیبیت فیه ثم یعود فوجدت لروحی فرصة فدخلت داری واغلقت بابی واحضرت شرابا وطلبت نفسی الخلوة فعند المساء واذا بالباب یطرق فخرجت واذا انا بظبی من اولاد الاتراک ما رات عینی احسن منه منظرا فسلم علی وقال لی اتقبل ضیفا قلت یا سیدی ومن لی بذلک فدخل بیتی فحار عقلی عند دخوله ثم اخرج من تحت ثیابه سلاحیة شراب ونقلا وشیئا من الدجاج ثم شرب وغنی شیئا لم اسمعه من غیره وقضیت مرادی منه مرارا الی ان مضی وقت من اللیل وقد هام عقلی من الشراب ومن حسنه ومن تسلیم نفسه الی بغیر نقد ولا عوض ثم قال یا سیدی ارید الانصراف فقلت له یا سیدی متی خرجت انت خرجت روحی من جسدی وکل شیء املکه بین یدیک وانا اصیر عبدک بعد هذا الیوم ولا افارقک قال اصحیح ما تقول قلت نعم قال ما انا محتاج الی مالک وان کنت صادقا فیما ادعیت من محبتک لی قم واحلق لحیتک وشاربک وتقعد مثلی امرد قال فحکم علی السکر والعشق فما قدرت ان اخالفه فاجبته الی ذلک علی انه یبیت عندی فعمد الی موسی وبل لحیتی وفی الحال ازالها وبقیت مثله امرد ثم صار یضحک علی وقال یا ابا نواس کیف الشعر الذی ذکرت فیه آدم وابلیس فانشد

(فانشدته قائلا)

عجبت من ابلیس فی کبره		وخبث ما اضمر فی نیته	
تاه علی آدم فی سجدة		وصار قوادا الذریته	

ثم ضحك ضحكا عاليا وصل على ساحل نفاه صكا من عجبا فاغتظت منه ثم قلت له ويلك انفعل بي هكذا ثم اردت التطلع اليه فما وجدت احدا بجنبي

فقلت انه الملعون ابليس انتهى قال بعضهم

قد جاءني بالليل ابو مرة — ابليس يدعوني بلا ترجمان
وقال هل لك في امرد — يهتز من اعطافه غصن بان
قلت نعم قال وفي خمرة — جيا بها يحكي عقود الجمان
قلت نعم قال فنم آمنا — فانت رئيس هذا الزمان

وقال ابو نواس

وليلة طال سهادي بها — فزارني ابليس عند الرقاد
وقال هل لك في قحبة — لبيبة تطرد عنك الرقاد
قلت نعم قال وفي قهوة — عتقها العاصر من عهد عاد
قلت نعم قال وفي مطرب — اذا انشد أيطرب منه الجماد
قلت نعم قال وفي شادن — قد كحلت اجفانه بالسواد
قلت نعم قال وفي طفلة — في وجنتيها الحياء انقياد
قلت نعم قال فنم آمنا — يا كعبة الفسق ومركز الفساد

وقال زين الدين عمر بن الوردي معارضا لذلك

نمت وابليس اتى — بحيلة منتدبه
فقال ما قولك في — حشيشة منتخبه
فقلت لا قال ولا — خمرة كرم مذهبه
فقلت لا قال ولا — مليحة مطيبة
فقلت لا قال ولا — اغيد بالبدر اشتبه
فقلت لا قال ولا — آلة لهو مطربة
فقلت لا قال فنم — ما انت الا حطبه

واحضر ابو نواس عند الرشيد ليلة انس وكان ابو طوق حاضرا وكان ابو نواس مشغوفا بحسنه وجماله فلما انقضى المجلس اخذ كل واحد مضجعا للنوم فخاف الخليفة من ابي نواس على ابي طوق فقال الخليفة لابي طوق نم انت على السرير وقال لابي نواس نام انا وانت اسفل السرير فقال سمعا وطاعة وهو بذلك غير راض في نفسه وتغافل الخليفة عن ابي نواس واظهر النوم ثم انتبه فوجد ابا نواس فوق السرير بجنب ابي طوق يضمه ويعانقه فقال ما هذا يا ابا نواس فقال هذا من الشوق من اجل ابي طوق فقد خرجت من اسفل جئت الى فوق فقال له قاتلك الله انتهى من حلبة الكميت (ومن غريب ما يحكى) ما حكاه القاضي ابو الحسن التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة ان منارة وكان صاحب شرطة الرشيد قال رفع الى هارون الرشيد ان رجلا بدمشق من بقايا بني امية عظيم المال كثير الجاه مطاع في البلد له جماعة واولاد ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا بالكوفة في بعض حججه في سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم وقد بايع للامين والمأمون والمعتصم اولاده فدعاني وهو خال وقال اني دعوتك لامر يهمني وقد منعني النوم فانظر كيف يكون ثم قص علي خبر الاموي وقال اخرج الساعة فقد اعددت لك الخيول وازحت علتك في الزاد والنفقة والآلة وتضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي الى نائب دمشق وهذه قيود فابدأ بالرجل فان سمع واطاع فقيده وجئني به وان عصى فتوكل عليه انت ومن معك لئلا يهرب وانفذ الكتاب الى امير دمشق ليكون مساعدا واقبضا عليه وجئني به واجلتك لذهابك ستا ولايابك ستا ويوما للمقامك وهذا محمل تجعله في شقة منه اذا قيدته وتقعد انت في الشقة الاخرى ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تأتيني به في الثالث عشر يوما من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها من اهله وولده وحاشيته وغلمانه وقدر نعمته

والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من الفاظه منذ يقع طرفك
عليه حتى تأتيني به واياك ان يشكل عليك شيئا من امره انطلق قال منارة
فودعته وانطلقت وخرجت فركبت الابل وسرت اطوى المنازل اسير الليل
والنهار ولا انزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس للناس قليلا الى ان
وصلت الى دمشق فى اول الليلة السابعة وابواب البلد مغلقة فكرهت طروقها
ليلا فبت بظاهر البلد الى ان فتح بابها من غد فدخلت على هيئتى حتى اتيت باب
الرجل وعليه صف عظيم وحاشية كثيرة فلم استأذن ودخلت بغير اذن فلما
رأى القوم ذلك سألوا بعض من معى عنى قال هذا منارة رسول امير المؤمنين
الى صاحبكم قال فلما صرت فى صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رايت فيه قوما
جلوسا فظننت ان الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بى فقلت افيكم فلان قالوا لا
نحن اولاده وهو فى الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وانا اتفقد
الدار والاحوال والحاشية فوجدتها ماجت باهلها موجا كثيرا فلم ازل كذلك
حتى خرج الرجل بعد ان طال مكثه واسترت منه واشتد قلقى وخوفى من ان
يتوارى الى ان رايت شخصا بزى الحمام يمشى فى صحن الدار وحواليه جماعة كهول
واحداث وصبيان وهم اولاده وغلمانه فقلت انه الرجل فجاء وجلس وسلم على
سلاما خفيفا وسألنى عن امير المؤمنين واستقامة امر حضرته فاخبرته بما
وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا باطباق فاكهة فقال تقدم يا منارة وكل معنا
فقلت مالى الى ذلك من سبيل فلم يعاودنى فاكل هو ومن معه ثم غسل يديه
ودعا بالطعام فجاؤا اليه بمائدة حسنة لم ار مثلها الا للخليفة فقال يا منارة ساعدنا
على الاكل لا يزيدنى على ان يدعونى باسمى كما يدعونى الخليفة فامتنعت عليه
فما عاودنى فاكل هو ومن معه وكانوا تسعة من اولاده فتاملت اكله فى نفسه فوجدته
ياكل اكل الملوك ووجدت ذلك الاضطراب الذى كان فى داره قد سكن ووجدتهم
لا يرفعون شيئا من بين يديه قد وضع على المائدة الا انتهبا غيره حالا اعظم

واحسن منه وقد كان غلمانه اخذوا لما نزلت الى الدار مالى وغلمانى وعدلوا
بهم الى دار اخرى فما اطاقوا ايما نعتهم وبقيت وحدى وليس بين يدى الاخمس
او ست غلمان وقوف على راسى فقلت فى نفسى هذا جبار عنيد فان امتنع
من الشخوص لم اطق اشخاصه بنفسى ولا بمن معى ولا حفظه الا ان يلحقنى امير
البلد وجزعت جزعا شديدا ورابنى منه استخفافه وتهاونه بامرى يدعونى
باسمى ولا يفكر فى امتناعى من الاكل ولا يسال عما جئت به ويأكل مطمئنا وانا
مفكر فى ذلك فلما فرغ من اكله وغسل يديه دعا بالبخور فتبخر وقام الى الصلاة
وصلى الظهر واكثر من الدعاء والابتهال ورايت صلاته حسنة فلما انتقل من المحراب
اقبل على وقال ما اقدمك يا اسنارة فاخرجت كتاب امير المؤمنين ودفعته اليه
ففضه وقرأه فلما استتم قرأته دعا اولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم اشك
انه يريد ان يوقع بى فلما تكاملوا ابتدأ فحلف ايمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق
والحج والصدقة والوقف ان لا يجتمع اثنان فى موضع واحد وامرهم ان ينصرفوا
ويدخلوا منازلهم ولا يظهروا الى ان يكشف لهم امر يعتمدون عليه وقال هذا كتاب
امير المؤمنين بالمضى اليه ولست اقيم بعد نظرى فيه ساعة واحدة واستوصوا
بمن ورائى من الحريم خيرا ومالى حاجة ان يصحبنى احد هات قيودك يا اسنارة فدعوت
بها وكانت فى سفط ومد يديه فقيدته وامرت غلمانى بحمله حتى صار فى المحمل و
ركبت فى الشق الآخر وسرت من وقتى ولم الاق امير البلد ولا غيره وسرت بالرجل
وليس معه احد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثنى بانبساط حتى انتهينا الى
بستان حسن فى الغوطة فقال لى اترى هذا قلت نعم قال انه لى وقال ان فيه
من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع
حسان وقرى فقال مثل ذلك هذا لى فاشتد غيظى منه وقلت الست تعلم ان
امير المؤمنين اهمه امرك حتى ارسل اليك من انتزعك من بين اهلك ومالك
وولدك واخرجك فريدا مقيدا مغلولا ما تدرى الى ما يصير اليه امرك ولا كيف

يكون وانت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبساتينك بعد
ان جئتك وانت لا تفكر فيما جئت به وانتشت ساكن القلب قليل التفكر
لقد كنت عندي شيخا فاضلا فقال لي مجيبا انا لله وانا اليه راجعون اخطأت
فراستي فيك لقد ظننت انك رجل كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء
هذا المحل الا لما عرفوك فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام والله المستعان
اما قولك في امير المؤمنين واذعاجه واخراجه اياي الى بابه على صورتي هذه
فاني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصية امير المؤمنين ولا يملك
امير المؤمنين لنفسه نفعا ولا ضرا الا باذن الله عز وجل ولا ذنب لي عند امير
المؤمنين اخافه وبعد فاذا عرف امير المؤمنين امري وعرف سلامتي وصلاح
ناحيتي سرحني مكرما فان الحسدة والاعداء رموني عنده بما ليس في وتقولوا
على الاقاويل ويستحل دمي ويخرج من ايذائي وازعاجي ويردني مكرما ويقيمني
ببلاده معظما مبجلا وان كان قد سبق في علم الله عز وجل انه يبدر الي منه سوء
وقد اقترب اجلي وكان سفك دمي على يده فلو اجتهدت الملائكة والانبياء واهل
الارض والسماء على صرف ذلك عني ما استطاعوا فلم اتعجل الفكرة فيما فرغ الله منه
واني احسن الظن بالله الذي خلق ورزق واحيا وامات وان الصبر والرضا والتسليم
الى من يملك الدنيا والآخرة وقد كنت احسب انك تعرف هذا فاذن قد عرفت مبلغ
فهمك فاني لا اكلمك بكلمة واحدة حتى يفرق بيننا امير المؤمنين ان شاء الله تعالى
ثم اعرض عني فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح او طلب ماء او حاجة حتى شارفنا
الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجيب قد استقبلني قبل ستة فراسخ من
الكوفة يتجسسوا خبري فحين رأوني رجعوا عني متقدمين بالخبر الى امير المؤمنين
فانتهيت الى الباب في آخر النهار فحططت رحلي ودخلت على الرشيد وقبلت الارض
بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك يا منارة واياك ان تغفل منه عن لفظة
واحدة فسقت الحديث من اوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام و

الغسل والبخور وماحدثتني به نفسي من امتناعه والغضب بظهر في وجه امير
المؤمنين وبين ايديه حتى انتهيت الى فراغ الامور من الصلاة والتفاته الي و
سؤاله عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده واهله
واصحابه وحلفه عليهم ان لا يتبعه احد وصرفه اياهم ومد رجليه فقيدته فمازال
وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت الى ما خاطبني به عند توبيخي له لما ركبنا في
المحمل فقال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري
لقد ازعجناه وآذيناه ورعنا اهله فبادر بنزع قيوده وائتني به قال فخرجت فنزعت عنه
قيوده وادخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رايت ماء الحياة يجول في وجه
الرشيد فدنا الاموي وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد ردا جميلا وامره
بالجلوس فجلس واقبل عليه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له بلغنا عنك فضل
هيئة وامور احببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك
فاجاب الاموي جوابا جميلا وشكر ودعا ثم قال ليس لي عند امير المؤمنين الا حاجة
واحدة فقال مقضية فما هي قال يا امير المؤمنين تردني الى بلدي واهلي وولدي
قال نفعل ذلك ولكن سل ما تحتاج اليه من مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك
لا يخرج الا ويحتاج الى شئ من هذا فقال يا امير المؤمنين عمالك منصفون وقد
استغنيت بعدلهم عن مسألتي فاموري مستقيمة وكذلك اهل بلدي بالعدل
الشامل في ظل امير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب
الينا بامر ان عرض لك فودعه الاموي فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة احمله
من وقتك وسر به راجعا كما سرت به حتى اذا وصلت الى مجلسه الذي اخذته منه فودعه
وانصرف قال منارة فما زلت معه حتى انتهى الى محله ففرحت به اهله واعطاني
عطاء جزيلا وانصرفت والله اعلم وهذه الحكاية على سبيل الاختصار (حكي)
ان الخليفة هارون الرشيد تلق في بعض الليالي قلقا شديدا فاستدعى بوزيره
جعفر البرمكي وقال له يا وزير ان صدري ضيق ومرادي الليلة التفرج في شوارع

بغداد وننظر في مصالح العباد بشرط ان لايعرفنا احد من الناس ونحن بازي التجار
الاكياس فقال له الوزير السمع والطاعة فقاموا في الوقت والساعة قلعوا ما عليهم
من ثياب الملك والافتخار ولبسوا ثياب التجار الخليفة والوزير جعفر ومسرور والسياف
الاكبر وتمشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فراوا بالامر المقدور شيخا
قاعدا في شختور فتقدموا اليه وسلموا عليه وقالوا يا شيخ نشتهي من احسانك
وفضلك ان تفرجنا الليلة في مركبك وخذ هذين الدينارين اجرتك انتفع بهما
فقال لهم الشيخ من الذي يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل كل
ليلة في حراقة صغيرة الى الدجلة ومعه منادي ينادي معاشر الناس كافة جميع
وردي شيخ وصبي خاص وعام عبدا وغلام كل من نزل في مركب بالليل وشق الدجلة
ضربت عنقه او يشنق على صاري مركبه وكانكم الساعة بالحراقة وهي مقبلة فقال له
الخليفة هارون الرشيد وجعفر البرمكي يا شيخ خذ هذين الدينارين وادخل
بنا قبوا من هذه الاقبية الى ان تروح الحراقة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب
والمستعان بالله فاخذ الذهب وعوم بهم قليلا واذا بالحراقة قد اقبلت من
كبد الدجلة وفيها الشموع والمشاعل فقال لهم الشيخ ما قلت لكم يا ستار لاتكشف
الاستار فقال الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكي ادخل بنا يا شيخ
في قبو من الاقبية حتى تمضي هذه الحراقة فدخل بهم الى قبو ووضع عليهم مئزرا
اسود وصاروا يتفرجون من تحت المئزر واذا بالحراقة قد اقبلت والشمع يوقد
فيها واذا في مقدم الحراقة مشاعلي بيده مشعل من الذهب الاحمر يوقد فيه بالعود
القاقلي وعلى المشاعلي قباء اطلس احمر بطراز مزركش اصفر وعلى راسه شاش موصلي
وعلى كتفيه مخلاة من الحرير الاخضر ملآنة من العود القاقلي وهو يوقد
به عوض الحطب ومشاعلي آخر في مؤخر الحراقة مثله ومائتي مملوك واقفين
ميمنة وميسرة وكرسي منصوب من الذهب الاحمر وعليه شاب حسن جالس
كالقمر وعليه خلعة سوداء بطرازين من الذهب الاصفر وبين يديه انسان

كانه الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كانه مسرور بسيف مشهور وعشرون نديما
فقال الخليفة يا جعفر قال لبيك يا امير المؤمنين قال لعل ان يكون هذا احد اولادي اما
المأمون او محمد الامين فلما وصلت الحراقة اليهم واذا بالمشاعلي ينادي معاشر
الناس كافة الخاص والعام الجيد والردى والعبد والغلام جهاوات وغير
جهاوات قد رسم خليفتنا هذا ان كل من تفرج في الدجلة او فتح طاقة حل ماله
وضربت رقبته ومن لا يصدق يجرب قال فتأمل الخليفة هارون الرشيد
في الشاب وهو جالس على كرسي من الذهب قد كمل بالحسن والبهاء والكمال قدر
المنصب فلما تامله هارون الرشيد التفت الى الوزير قال يا وزير فقال له لبيك
يا امير المؤمنين قال والله ما بقي شيئا من شكل الخلافة وهذا الذي بين
يديه كانه انت يا جعفر لا محالة والخادم الذي على رأسه كانه مسرور وهذا
وهؤلاء الندماء كانهم ندماءي وقد حار عقلي في هذا الامر فقال له الوزير
وانا والله يا امير المؤمنين كذلك ثم تقدمت الحراقة الى ان غابت عن العين
فعند ذلك خرج الشيخ بالتختور الذي فيه الجماعة من تحت القبو وقال الحمد لله
على السلامة الذي لم يصادفنا فقال له الخليفة يا شيخ وهذا الخليفة ينزل
كل ليلة في الدجلة قال نعم يا سيدي له على هذه الحالة سنة كاملة فقال
له الخليفة يا شيخ نشتهي من فضلك واحسانك ان تقف لنا ليلة غد في هذا
المكان ونحن نعطيك خمسة دنانير فانا قوم غرباء وقصدنا التنزه ونحن
نازلون في الفندق فقال الشيخ السمع والطاعة قال ثم ان الخليفة وجعفر و
مسرور توجهوا من عند الشيخ المراكبي الى القصر وقلعوا ما عليهم من لبس التجار
ولبسوا ثياب الملك والافتخار وجلس كل واحد في مرتبته ودخلت الامراء والحجاب
والنواب وانعقد المجلس بالناس ولما انقضى النهار وتفرقت الاجناس قال
الخليفة هارون الرشيد لوزيره يا جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني
فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا منشرحين الصدور وكان

خروجهم من باب السر فلما وصلوا الى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب التختور لهم في الانتظار فنزلوا عنده في المركب فلما استقروا مع الشيخ المراكبي واذا بالخليفة الثاني في الحراقة وقد اقبلت عليهم فتاملوها واذا فيها ماثتا مملوك غير المماليك الاول والمشاعلية تنادي على عادتهم فقال الخليفة يا وزير هذا شي لو سمعت به ما صدقت ولكن رايت هذا عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب التختور يا شيخ هذه عشر دنانير وسر بنا في مساواتهم فانهم في النور ونحن في الظلام ننظرهم ونتفرج عليهم وهم لا ينظرون فاخذ الشيخ العشرة دنانير واطلق التختور في مساواتهم وصار في ظلام الحراقة ولم يزالوا سائرين في اثرهم الى آخر البساتين واذا بزريبة بطول الحراقة التصقت عليها واذا بغلامين واقفين ومعهما بغلة مسرجة ملجمة فطلع الخليفة الثاني وركب البغلة وسار بين الندمان وزعقت المشاعلية والجاويشية واشتالت الغاشية وطلع هارون الرشيد وجعفر ومسرور الى البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فراوا ثلاثة انفار لبسهم لبس التجار وهم غرباء فانكروهم وغمزوا عليهم فمسكوهم واحضروهم بين يدي الخليفة الثاني فلما نظرهم قال كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذي جاء بكم في مثل هذا الوقت فقالوا يا مولانا اليوم كان قدومنا ونحن قوم غرباء تجار وخرجنا نتمشى الليلة واذا بكم قد اقبلتم وجاؤا هؤلاء وقبضوا علينا واوقفونا بين ايديكم وهذا خبرنا فقال لهم الخليفة الثاني طيبوا قلوبكم فلا بأس عليكم لانكم قوم غرباء ولو كنتم من بغداد لضربت اعناقكم للمخالفة ثم التفت الى وزيره وقال خذ هؤلاء صحبتك ليكونوا ضيوفنا الليلة فقال سمعا وطاعة ثم ساروا الى ان وصلوا الى قصر عظيم الشان محكم البنيان ما حواه سلطان قصر قام من التراب وتعلق باكناف السحاب بابه من خشب الساج مرصع بالذهب الوهاج يدخل منه الى ايوان بفسقية وشاذروان وحصر عبداني ومخدات اسكندراني وستر مسبول وفرش تذهل العقول وعلى عتبة الباب مكتوب

هذه الابيات

قصر عليه تحية وسلام	نشرت عليه جمالها الايام
فيه العجائب و الغرائب نوعت	فتحيرت في نعتها الاقلام

قال فدخل الخليفة الثاني الى القصر والجماعة في خدمته الى ان جلس على كرسي
من الذهب مرصع بالدر والجوهر وعلى الكرسي بشخانة من الحرير الاخضر لا يرى
مثلها الا عند كسرى وقيصر مزركشة بالذهب الاحمر معلقة في بكرة من الصندل
دياجاتها من الحرير الاصفر هذا وقد جلس الندماء في مراتبهم وصاحب سيف
النقمة واقف بين يديه فمدوا السماط واكلوا ورفعوا الخوان ولايديهم غسلوا
احضرت آلة المدام ووضعت الطاسات والاواني وصففت الاباريق والكاسات
والقناني ودار الدور الى ان وصل الى الخليفة هارون الرشيد فامتنع من الشراب
فقال الخليفة الثاني لجعفر ما بال صاحبك لا يشرب فقال يا مولاي له مدة ما
شرب فقال الشاب عندي مشروب غير هذا يصلح لصاحبك على شراب
التفاح ففي الحال احضر فقدم بين يدي هارون الرشيد وقال كلما وصل
اليك الدور فاشرب من هذا ولا زالوا يشربون في انشراح وتعاطي اقداح
الى ان تمكن الشراب من روسهم واستولى على عقولهم ونفوسهم فقال الرشيد
لوزيره والله يا وزير ما عندنا آنية مثل هذه الآنية فياليت شعري من يكون
هذا الشاب فبينما هما يتحدثان بلطافة اذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد
الوزير بتوشوش مع الخليفة فقال الوشوشة عربدة فقال الوزير ما ثم عربدة
الا ان رفيقي هذا يقول سافرت غالب البلاد ونادمت الملوك وعاشرت
الاجناد ما رايت احسن من هذا النظام ولا مثل آنية هذا المدام الا ان اهل
بغداد يقولون الشراب بلا سماع من جملة المجون فلما سمع الخليفة الثاني هذا
الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة واذا بباب
قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من العاج مصفحا بالذهب الوهاج وخلفه

جارية قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية وبيدها عود من صنعة الهنود وسارته وحنت اليه وغنت بعد ان ضربت اربعة وعشرين طريقة عليه فاذهلت العقول و عادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

لسان الهوى من مقلتي لك ناطق	يخبر عني انني لك عاشق
ولي شاهد من طرف قلبي معذب	وقلبي جريح من فراقك خافق
وكم اكتم الحب الذي قد اذابني	وقلبي قريح والدموع سوابق
وما كنت ادري قبل حبك ما الهوى	ولكن قضا الرحمن في الخلق سابق

قال فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التي كانت عليه الى الذيل فاسبلت عليه الشخانة واتى ببدلة غيرها احسن منها فلبسها وجلس على عادته فلما وصل القدح اليه ضرب بالقضيب على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم حامل كرسيا من الذهب وخلفه جارية احسن من الاولى وجلست على الكرسي وبيدها عود يكمد الحسود وانشدت تقول

كيف اصطباري ونار الشوق في كبدي	والدمع من مقلتي طوفانه مدد
والله ما طاب لي عيش اسر به	وكيف يفرح قلب حشوه كمد

قال فصرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه الى الذيل واسبلت عليه الشخانة على العادة واتوا ببدلة غيرها احسن منها فلبسها واستوى جالسا ودار المدام وانبسط الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب بالقضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم على العادة ومعه كرسي وخلفه جارية فجلست على الكرسي ومعها عود دين هل الاسود فغنت وانشدت تقول

اقصروا الهجر كم وقلوا جفاكم	فؤادي وحقكم ما سلاكم
وارحموا مدنفا كئيبا حزينا	ذا غرام متيما في هواكم
قد براه السقام من عظم وجد	يتمنى من الاله رضاكم

یا بدور محلکم فی فؤادی	کیف اختار فی الانام سواکم

قال فصرخ الشاب وشق ما علیه من الثیاب فارخوا علیه البشخانة واتوه ببدلة غیرها وعاد الی حالته مع ندمائه ودارت الاقداح وطاب الانشراح فلما وصل الیه وضرب بالقضیب علی المدورة ففتح باب وخرج منه خادم حامل کرسیا وخلفه جاریة فجلست علی الکرسی واخذت العود وغنت تقول

نزی بیض محال التهاجر والقلا	ویرجع ما قد انقضی لی اولا
ایام کنا والدیار تلمنا	فی طیب عیش والحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرق شملنا	من بعدها تیک المنازل والحلا
اتروم منی یا عذولی سلوة	واری لقلبی ما یطیع العذلا
فدع الملام وخلنی بصبابتی	القلب من انس المحبة ما خلا
یا سادة نقضوا العهود وبدلوا	لا تحسبوا قلبی لبعدکم سلا

قال فلما فرغت الجاریة صرخ الشاب صرخة عظیمة وشق ما علیه من الثیاب ووقع الی الارض مغشیا علیه وسقط منه القوی والحیل فارادوا ان یرخوا علیه البشخانة علی العادة فتعوقت حبالها بالارادة فلاحت من هارون الرشید التفاتة منه فنظر علی اجناب الشاب اثر مقارع فقال الرشید بعد النظر والتاکید لجعفر والله انه شاب ملیح الا انه لص قبیح وما عند احد منه خبر هل رایت ما علی جنبیه من الاثر وقد اسبلت البشخانة علی العادة واتی ببدلة غیرها فلبسها وقد افاق من غشوته فاستوی جالسا علی العادة مع الندمان فحانت منه التفاتة فوجد جعفرا والخلیفة یتحدثان فقال لهما ما الخبر یا فتیان فقال جعفر یا مولای خیر لا شك ولا خفا ان رفیقی هذا من التجار الکبار وسافر جمیع الامصار وصحب الملوك والاخیار وقال ان الذی حصل من مولانا الخلیفة فی هذه اللیلة اسراف عظیم لم ار احدا فعل هذا الفعل فی هذه الاقالیم لانه شق کل بدلة بخمسمائة دینار وهذا شیء زائد فی العیار فقال الشاب یا هذا

المال مالى والقماش قماشى وهذا من بعض انعامى على الخدم والحواشى فان كل بدلة شققتها هى لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم ان العوض على كل بدلة خمسمائة دينار فانشد عند ذلك الوزير جعفر يقول

بنت المكارم وسط كفك منزلا ... فجميع مالك للانام مباح
واذا المكارم اغلقت ابوابها ... يوما فانت لقفلها مفتاح

قال فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بالف دينار وبدلة ثم دارت بينهم اقداح وطاب لهم شراب الراح فقال الرشيد يا جعفر اساله عن الضرب الذى رايناه على جنبيه حتى ننظر ما يقول فى جوابه فقال الوزير يا مولاى لا تعجل وترفق بنفسك فالصبر اجمل فقال وحياة راسى وتربة العباس ما لم تساله الا خمدت منك الانفاس فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال مالك مع رفيقك وما الخبر فقال خيرا يا مولانا فقال سالتك بالله الا ما اخبرتنى بخبره ولا تكتم عنى شيئا من امره فقال يا مولاى انه ابصر على جنبيك اثر سياط فتعجب من ذلك غاية العجب وقال يا الله العجب الخليفة يضرب وقصده يعلم ما السبب فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال للهم فنعم اعلموا ان حديثى عجيب وامرى غريب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم تاوه وان واشتكى وبكى وانشد يقول

حديثى عجيب حاز كل العجائب ... وحق اله قد عرف بالمواهب
فان شئتموا ان تسمعوا لى فانصتوا ... ويطيب هذا الجمع من كل جانب
واصغوا الى قولى ففيه اشارة ... وان كلامى صادق غير كاذب
لانى قتيل من غرام ولوعة ... وقاتلتى فاقت جميع الكواعب
لها مقلة كحلاء وخد مورد ... ويقتلنى منها قسى الحواجب
قد حس قلبى ان فيكم اماما ... خليفة هذا الوقت ابن الاطايب
وثانيكم يدعى الوزير بجعفر ... حقيقة يدعى صاحبا وابن صاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة ... فان كان هذا القول حقا بصائب

وجاء سرور القلب من كل جانب		فقد نلت ما ارجو على كل حالة

قال فعند ذلك حلف له جعفر انهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال الذي اعرفكم به اني ما انا امير المؤمنين وانما سميت نفسي بهذا الاسم لابلغ ما اريد من ابناء المدينة واسمي علي بن محمد الجوهري وان ابي كان من الاعيان ومات وخلف لي اموالا لا تأكلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وجوهر وزمرد وبهرمان وحمامات وغيطان وبساتين وفنادق وطواحين وعبيد وجواري وغلمان فلما كان في بعض الايام وانا جالس في حانوتي وحولي الحشم والخدم واذا انا بجارية قد اقبلت على بغلة وفي خدمتها ثلاث جوار كانهن الاقمار ونزلت على دكاني وجلست وقالت انت علي بن محمد الجوهري فقلت لها مملوكك وعبدك قلت فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلي فقلت لها يا ستي الذي عندي يحضر بين يديك فان اعجبك شيء كان بسعد المملوك وان لم يعجبك شيء منه فبسوء حظي وكان عندي مائة عقد جوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيء منهم وقالت اريد احسن مما رايت وكان عندي عقد صغير شراوه على والدي بمائة الف دينار لم يوجد مثله عند احد من السلاطين الكبار فقلت يا سيدتي بقي عندي عقد الفصوص والجواهر الذي لم يملكه احد من الاصاغر والاكابر فقالت ارني اياه فلما رأته قالت هذا الذي طول عمري اتمناه ثم قالت بكم ثمنه في الاسعار فقلت شراؤه على والدي بمائة الف دينار فقالت ولك خمسة آلاف فائدة فقلت لها يا سيدتي العقد وصاحبه في الرق بين يديك ولا خلاف فقالت لا بد من الفائده ولك الجميلة الزائدة وقامت من وقتها عجله وركبت سرعة البغلة وقالت يا سيدي نور الدين باسم الله تكرم صحبتنا لتاخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معها في امان الى ان وصلنا الدار فوجدتها دارا عليها السعادة لائحة والافتخار وعلى بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجب هذه الابيات

الا يادار لايدخلك حزن	ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف	اذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وامرت بجلوسي الى ان يأتي الصبر في فجلست على باب الدار ساعة لطيفة واذا بجارية خرجت الي وقالت يا سيدي ادخل الى الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكة ساعة واذا بجارية خرجت الي وقالت يا سيدي تقول لك سيدتي ادخل واجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت فدخلت البيت وجلست حيث امرتني واذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير الاحمر واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشترت مني العقد وقد اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد في عنقها فاندهش عقلي وحار ذهني ولبي من رؤية تلك الجارية وحسنها فلما رأتني قامت من على الكرسي وسعت الي نحوي وقالت يا نور الدين من كان مليحا يرثي لمحبوبه فقلت يا سيدتي الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت يا علي اعلم اني احبك وما صدقت بيني بك الا لما صرت عندي ثم انها طوقتني علي وعانقتني فقبلتها وقبلتني ثم جذبتني وعلى صدرها ضمتني فلما علمت مني اني اريد ان اهم بها قالت يا علي اتريد ان تجتمع بي في الحرام والله لا كان من يفعل الآثام ويرضى بقبيح الكلام فاني بكر عذراء ما دنا مني احد ولست مجهولة في البلد اتعلم من انا فقلت لا والله وحلفت لها يمينا فقالت انا الست دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي واخي جعفر فلما سمعت ذلك منها جمعت خاطري عنها وقلت يا سيدتي ما لي ذنب في التهجم عليك انت التي اطمعتني في احسانك والوصول الى جنابك فقالت لا بأس عليك ولابد من الاحسان اليك فان امري بيدي والقاضي ولي عقدي والقصد ان اكون لك وتكون لي ثم انها دعت بالقاضي والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين علي بن الجوهري قد طلب زواجي ودفع

لى هذا العقد مهرى وانا قد قبلت ورضيت ثم ان القاضى حمد الله تعالى واثنى عليه وكتب الكتاب فد خلت عليها بعد ان اعطت للقضاة شيئا ماله حساب واحضرت المدام واحضرت الاقداح باحسن نظام فلما شعشعت الخمرة فى

روسنا امرت جارية عودية ان تغنى فانشأت تقول

قلبى وآمالى بباب رجاكمو | لا ابتغى فى الكون غير رضاكمو
يا جيرة جاروا وعلى ببعدهم | حنوا علينا وارحموا مضناكمو
حاشاكمو يا سادتى حاشاكمو | صبا معنى مغرما بهواكمو
بالله جودوا وارحموا المتيم | لا يستمع فيكم حديث سواكمو
موسى اشتياقى فوق طور رضاكمو | فاذا تجاه حسنكم ناجاكمو

قال فاطربتنا الجارية بحسن غناها ولم تزل الجوارى يغنين جارية بعد جارية وينشدن الاشعار الى ان غنت عشر جوار فعند ذلك اخذت العود

الست دنيا وانشدت تقول

اقسم بلين قوامك المياس | انى لنار الهجر منك اقاسى
فارحم لصب فى هواك متيم | يا بدر تم انت سيد الناس
انعم بوصلك كى ابات لويلة | اجلو جمالك فى ضياء الكاس
ما بين وردجمعت الوانه | مع نرجس ايضا وحسن الآس

قال الشاب ثم انى اخذت منها العود وضربت عليه وغنيت هذه

الابيات

سبحان ربى جميع الحسن اعطاك | حتى بقيت انا من بعض اسراك
يا من لها ناظر تسبى الانام به | خذى الامان لنا من سحر عيناك
فالماء والنار فى خديك قد جمعا | والورد جورى منبت فى وسط خديك
انت الغرام لقلبى والنعيم له | فما امرك فى قلبى واحلاك

قال فلما سمعت منى ما قلت فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجوارى وقمنا

[illegible]

انشدت اقول

يا ليلة [illegible] صباحها	يكفي بوجه [illegible]
[illegible] النجم [illegible]	وجعلت كفي للمنا [illegible]
هذا [illegible] لنا	متعانقين فلا نريد براحا

فاقمت عندها شهرا كاملا وقد نسيت الدكان والاهل والاوطان فبينما نحن يوما من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وانت تقعد على هذا السرير الى ان ارجع اليك فقلت سمعا وطاعة وحلفتني ان لا انتقل من موضعي فاخذت جواريها وذهبت الى الحمام فوالله يا اخواني ما لحقت تخرج من راس الزقاق الا والباب قد فتح ودخلت منه عجوز واي عجوز وقالت يا نور الدين الست زبيدة تدعوك فقد سمعت بشبابك وطيب غنائك فقلت والله على يمين انني ما اقوم من مقامي حتى تأتي الست دنيا فقالت العجوز يا نور الدين لا تخل الست زبيدة تصير عدوتك فقم كلمها وارجع فقمت من وقتي اليها والعجوز امامي الى ان اوصلتني الى الست زبيدة فلما وصلت اليها قالت يا نور الدين انت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبد رقك فقالت صدق الذي وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقدار ولكن غن لي شيئا حتى اسمعك فقلت السمع والطاعة فاتتني بعود فغنيت

عليه وانشدت اقول

قلب المحب مع الاحباب متعوب	وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما في الركائب من زمت حمولهم	الا وكان له في الظعن محبوب
استودع الله لي في حيكم قمرا	يهواه قلبي وعن عيني محجوب

وكل ما يفعل المحبوب محبوب		يرضى ويغضب ما احلى انه لله

فقالت لی حفظ الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت فی الحسن والظرف والمعنى
فقم الى مكانك قبل ان تجئ اليه الست دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت
الارض وخرجت والعجوز امامی الى ان اوصلتنی الى الباب الذی خرجت منه
فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير
فقعدت عند رجليها وصرت اكبسها ففتحت عينيها فراتنی فجمعت رجليها و
رفستنی رمتنی من على السرير وقالت يا نور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت
الى الست زبيدة والله ولا خوفی من الفضيحة لاخربت قصرها على راسها
ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا
به فتقدم ذلك الخادم الی وشرط ذيلی وعصب عينی واراد ان يضرب رقبتی
فقامت اليها الجواری الكبار والصغار وقلن لها يا ستناه ما هو باول من اخطا
وما عرف خلقك وانت ما تبغضيه وما فعل ذنبا يوجب ان تقتليه فقالت
والله لابد ما او ثر فيه اثرا ثم انها امرت بضربی فضربت على اضلاعی الضرب
الذی رايتموه وامرت باخراجی فاخرجونی وابعدونی عن القصر ورمونی
ورجعوا وتركونی فلمت نفسی فمشيت قليلا قليلا الى ان وصلت الى منزلی و
احضرت جراحا واريته الضرب فلاطفنی وسعى فی مصالحی فلما صح جسمی
دخلت الحمام وزالت عنی الاوجاع والاسقام جئت الى الدكان واخذت جميع
ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت اربعمائة مملوك ما جمعهم احد من الملوك
يركب معی فی كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحراقة بالف ومائتين من
الذهب لعين وسميت نفسی بالخليفة ورتبت من معی من الخدام كل واحد فی
وظيفة وناديت كل من تفرج فی الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولی على هذه
الحالة سنة كاملة ولم اسمع لها بخبر ولا وقفت لها على اثر ثم انه بكى وان

واشتكى وانشد يقول

والله ما كنت طول الدهر ناسيها | ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر في تكوين خلقتها | سبحان خالقها سبحان باريها
عوقبت ولا ذنب لي الا محبتها | فكيف حال الذي قد بات ناعيها
وصيرتني حزينا ساهيا دنفا | والقلب قد حار مني في معانيها

قال فلما سمع هارون الرشيد كلام الشاب وما ابداه من الخطاب تعجب غاية العجب
وقال سبحان من جعل لكل شئ سببا ثم انهم طلبوا من الشاب الانصراف و
اضمر الرشيد للشاب الاحسان وان يتحفه غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده
سائرين الى قصر الخلافة طالبين ولما استقر بهم في منزلهم الجلوس غيروا ما
كان عليهم من الملبوس ولبسوا اثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور
سياف النقمة والعطب فقال الخليفة لجعفر المهاب يا وزير علي بالشاب فخرج
الوزير في الحشم والخدم وسار الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له
الوزير جعفر اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وحامي حوزة الدين
فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه في حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير
الستر عن السدة الشريفة فلما رأى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه
ودعا له بدوام العز واثنى عليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين وحامي حوزة
الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما اعطاك وجعل الجنة مأواك

والدار مثوى لاعدائك وانشد يقول شعر

لا زال بابك كعبة محجوجة | وترابه فوق الجباه رسوم
حتى ينادى في البلاد باسرها | هذا المقام وانت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة في وجهه ورد عليه السلام واظهر له الاحسان والاكرام
وقربه اليه واجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين اريد ان تحدثني بما جرى لك تلك
الليلة يا مسكين فانه من اعجب الامور فقال الشاب العفو يا امير المؤمنين اعطني
منديل الامان ليهدأ روعي ويطمئن قلبي فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب

يحدث بالذي جرى له من اوله الخ فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبي عاشق لا محالة فقال الخليفة انحب ان اردها اليك يا مسكين قال نعم يا امير

المؤمنين ثم انشا يقول

ان رمت احسانا فيا لو فته	او رمت معروفا فهذا محله

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لي اخت الست دنيا بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فاحضرها في الوقت فلما مثلت بين يديه قال لها اتعرفين هذا فقالت من اين للنساء معرفة بالرجال فتبسم وقال يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله مما جرى مني واسأل من فيض الفضل العفو عني فضحك الخليفة واحضر القاضي والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود واكمد الاعداء والحسود وجعله من ندمائه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره في اتم عيش ونعمة بمجالس الخليفة في الليل والنهار تؤانسه الست دنيا ذات الخمار وهذا ما انتهى الينا من التلخيص والله اعلم ويحكى ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال يا جعفر بلغني انك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة اطلبها فانها بديعة الجمال ولي شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس علي فيها بيع قال هبنيها قال ولا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق مني ثلاثا ان لم تبعنيها او تهبنيها وقال جعفر زوجتي طالق مني ثلاثا ان بعتها او وهبتها ثم افاقا من نشوتهما وعلما انهما وقعا في امر عظيم وعجزا في تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير ابي يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا وقال ما طلبت في هذا الوقت الا لامر حدث في الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته وقال لغلامه اصحب معك المخلاة فلعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار الخلافة ودخلت فضع بين يدي الدابة شيئا منه تشتغل به الى حين خروجي فانها

لم تستوف عليه لها فی هذه الليلة فقال سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد
قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك
الا لامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فی تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين هذا
من اسهل ما يكون يا جعفر بع امير المؤمنين نصفها وهب نصفها تبرء من يمينكما
فسر بذلك امير المؤمنين وفعلا فقال الرشيد احضر الجارية فی هذا الوقت فانی
شديد الشوق اليها فاحضرت فقال للقاضی ابی يوسف اريد وطئها فی هذا الوقت
ولا اطيق الصبر الى مضی مدة الاستبراء او سح لی الحيلة فی ذلك فقال ابو يوسف
ائتونی بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضر مملوك
فقال ابو يوسف يا امير المؤمنين ائذن لی ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول
فيحل وطئها فی الحال من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فقال اذنت
لك فاوجب القاضی النكاح ثم قبله المملوك فقال له القاضی طلقها فقال له هذه
صارت لی زوجة وانا لا اطلقها فردد عليه القول فابی وضاق صدر الخليفة
لذلك وقال قد اشتد الامر اعظم مما كان فقال القاضی ابی يوسف يا امير المؤمنين
ارغبه بالمال فقال طلقها ولك مائة دينار قال لا افعل قال مائتا دينار قال لا
افعل الى ان عرضوا عليه الف دينار وهو يمتنع وقال للقاضی الطلاق بيدی
او بيد امير المؤمنين ام بيدك قال بل بيدك انت قال والله لا افعل ابدا فاشتد
غضب امير المؤمنين فقال القاضی يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك
هذا العبد للجارية فقال ملكته لها وقال لها القاضی قولی قبلت فقالت
الجارية قبلت فقال القاضی حكمت بالتفريق بينهما لانه دخل فی ملكها فانفسد
النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا فی زمانی
واستدعی باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضی هل معك شیٔ
توعيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعی بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف
فلما اصبح قال لجلائه انظروا الى من تعلم العلم فليتعلم كذا فانی اعطيت هذا المال

العظيم فی مسألتين او ثلاث فانظر ايها المتأدب الی لطف هذه الواقعة فانها اشتملت علی محاسن متهادلا الا الوزير علی قلب امير المؤمنين وعلم الخليفة وزيادة علم القاضی فرحم الله ارواحهم اجمعين ولكن مسألة الاستبراء لم تخرج الا علی مذهب ابی حنيفة فخرجها ابو يوسف علی قواعد مذهبه لانه حنفی المذهب والله

اعلم انتهی من حلبة الكميت ومن دقيق كلام ابراهيم الموصلی رحمه الله تعالی

هجرتك حتی قيل لا يعرف الهوی	وزرتك حتی قيل ليس له صبر
فيا هجر ليلی قد بلغت بی المدی	وزدت علی ما ليس يبلغه الهجر
ويا حبها زدنی جوی كل ليلة	ويا سلوة الايام موعدك الحشر
وانی لتعرونی لذكراك هزة	كما انتفض العصفور بلله القطر

ومن حكايات اللطيفة ان بعض الملوك قصد التفرج علی المجانين فلما دخل عليهم رای فيهم شابا حسن الهيئة نظيف الصورة يری عليه آثار اللطف وتلوح عليه شمايل الفطنة قد نامه وسأله مسائل فاجابه عن جميعها باحسن جواب فتعجب منه عجبا شديدا ثم ان المجنون قال للملك قد سألتنی عن اشياء واجبتك وانی سائلك سؤالا واحدا قال وما هو قال متی يجد النائم لذة النوم فتفكر الملك ساعة ثم قال يجد لذة النوم حال نومه فقال المجنون حالة النوم ليس له احساس فقال الملك قبل الدخول فی النوم فقال المجنون كيف توجد لذته قبل وجوده فقال الملك بعد النوم فقال المجنون توجد لذته وقد انقضی فتحير الملك وزاد اعجابه وقال لعمری ان هذا لا يحصل من عقلاء كثيرة فاولی ان يكون نديمی فی مثل هذا اليوم وامر ان ينصب له تخت بازاء شباك المجنون ثم استدعی بالشراب فحضر فتناول الكاس وشرب ثم ناول المجنون فقال ايها الملك انت شربت هذا لتصير مثلی فانا اشربه لاصير مثل من فاتعظ الملك بكلامه ورمی القدح من يده وتاب من ساعته والله اعلم وهذه الحكاية لها بقية اعرضنا عنها وهذه علی سبيل الاختصار ايضا حكی والله اعلم بغيبه واحكم ان الرشيد رق ذات

ليلة ارقا شديدا فاستدعى جعفرا وقال اريد منك ان تزيل ما بقلبى من الضجر فقال الوزير يا امير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وانت قادر عليها فقال الرشيد وما هى يا جعفر فقال له قم بنا الان حتى نطلع الى فوق سطح هذا القصر حتى نتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه من تحب كما قيل

كانما حسن السما وزرقتها ... قد رصفت فيها افانين الصور
كانما البدر حين لاح لنا ... فى بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد يا جعفر ما تهم نفسى الى شئ من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح شباك القصر الذى يطلع على البستان ونتفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع الناعورة التى كانها انين محب فارق محبوبه وهى كما قال فيها بعض واصفيها

وناعورة جنت وغنت وقد غدت ... تعبر عن حال المشوق وتعرب
ترقص عطف البان تيها لانها ... تغنى له طول الزمان ويشرب

واما ان تنام يا امير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال يا جعفر ما تهم نفسى الى شئ من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح الشباك الذى يطلع على الدجلة حتى نتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالى و هذا يقول دوبيت وهذا يعمل كان وكان فقال الرشيد ما تهم نفسى الى شئ من ذلك قال جعفر قم يا امير المؤمنين حتى ننزل الى الاصطبل الخاص وننظر الى الخيل العربيات ونتفرج على حسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشقر واشهب وكميت واحمر وابيض واخضر وابلق واصفر والوان تحير العقول فقال الرشيد ما تهم نفسى الى شئ من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين عندك فى قصرك ثلثمائة جارية ما بين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة

الی مغنیة الی راقصة الی سنطریة احضر الجمیع واحضر العقار المروق
تلعل ان یزول ما بقلبك من الضجر فقال ما تتم نفسی الی شیٔ من ذلك
فقال جعفر یا امیر المؤمنین ما بقی الا ضرب عنق مملوکك جعفر فانی قد
عجزت عن ازالة هم مولانا فقال یا جعفر اما سمعت قول ابن عمی رسول الله
صلی الله علیه وسلم فقال من فم مولانا احلی فقال الرشید قال رسول الله صلی
الله علیه وسلم فرح امتی فی ثلاث ان یری بعینه شیئا الا رآه ویسمع شیئا لا سمعه او یطأ
مکانا الا وطئه فیتفق یا جعفر ان یکون فی بغداد مکان لا وطئنا ه او شیٔ لا اجتنا
او موضع لا رأیناه فقال جعفر اتأذن لی یا امیر المؤمنین ان اطلع الی مجلس النوبة
وانظر احدا من المسافرین احضره بین یدی امیر المؤمنین لعله ان یحدثك بحدث
ما سمعته فقال الرشید قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشیخ ابی
الحسن الخلیع الدمشقی المسامر قال فلما رأی امیر المؤمنین سلم فاحسن وترجم
فابلغ ثم قال یا امیر المؤمنین وحامی حوزة الدین وابن عم سید المرسلین وخاتم
النبیین صلی الله علیه وسلم وعلی آله وصحبه اجمعین اطال الله بقائك وجعل
الجنة مأواك والنار مثوی لاعداك لا خمدت لك نار ولا اغیظ لك جار

ثم انشد یقول

دام لك العز والبقاء	ما اختلف الصبح والمساء
ودمت ما دامت اللیالی	بمدة ما لها انقضاء
الناس ناس بکل ارض	وانت من فوقهم سماء

قال فرد علی الشیخ السلام وقال اجلس یا ابا الحسن وحدثنا بحدیث ملیح عجیب
لم نسمعه قط فقال الشیخ یا امیر المؤمنین احدثك بشیٔ سمعته باذنی او بشیٔ رأیته
بعینی قال الرشید یا شیخ ابو الحسن الذی تراه العین احسن من الذی تسمعه الاذن
فقال الشیخ یا امیر المؤمنین افرغ لی عن ثلاثة اشیاء منك فقال ما هی الثلاثة
فقال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشید هات یا ابا الحسن فقال یا امیر

المؤمنين لى عادة ان اسافر كل سنة الى البصرة للامير محمد بن سليمان الزينبى واقعد عنده احدثه الاسمار وا ورد له الاخبار وانشد له الاشعار ولى عليه رسم الف دينار آخذها واعود الى بغداد فاتفق لى سنة من السنين ان سافرت الى البصرة على عادتى ودخلت على الامير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الاول والثانى والثالث فركب الى الصيد وتركنى فى منزله واوصى ارباب دولته بخدمتى واكرامى الى ان يعود واوصى الطباخ الذى له ان لا يطعمنى الا اشياء تشتهيه نفسى فاشتهيت السمك فقلت للطباخ فعمل لى من السمك عدة الوان فاكلت وطاب لى الاكل حتى ثقل على فؤادى فقلت مايصرف عنى هذا الا المشى ولى عدة اسفار الى البصرة ما اعرف فيها مكانا واريد اليوم اجعلها نزهة وفرجة ثم انى نزلت امشى فى شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناهيك بعطش السمك فقلت فى نفسى ان تناولت شربة من السقاء لا تطيب نفسى لانه يشرب منه اصحاب الامراض وكرهت نفسى على ان احملها الى شاطئ الدجلة وقلت مالى الا ان اقصد بعض دور المحتشمين واطلب منها شربة من الماء فاتيت الى درب وفى ذلك الدرب خمسة دور داران مقابل دارين ودار صدر ابنية قد قاربت من التراب وتعلقت بأذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف بصالطب طولانية مفروش بلها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح الذهب الوهاج وستاير القفص وستر من الحرير الاصفر المذهب مكتوب عليه هذه الابيات

الا يا دار لا يدخلك حزن	ولا يغدر بصاحبك الزمان
نعم الدار انت لكل ضيف	اذا ما ضاق بالضيف المكان

قال فقلت فى نفسى من هذه الدار اشرب الماء فاتيت الى الباب فسمعت صوتا ضعيفا من فؤاد ضعيف وقائلا يقول

بالله يا بكاء عوجا على سكنى	وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بى وقولا فى حديثكما	ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا في مسالطفة	ماضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدالكافي في تجهم غضب	فيا الطاه وقولا ليس نعرفه

قال فقلت والله طبيب ان كان قائل هذا الصوت تخص صورته على قدر صوته واختشمت ثم اني قويت قلبي ورفعت الستر ودخلت الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومددت طرفي واذا بدار قد اقبلت عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورايت في صدر المكان ايوانا وبركة وشاذروان وفي ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه من العاج مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جارية نائمة خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة اشهر من علم تربية النعيم على اكتاف الخدم بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ولت قتلت كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت	في قالب الحسن لا طول ولا قصر
جرى بها التسهم حتى دار اعكنها	طي القباطي فلا سمن ولا غور
كانها افرغت من ماء لؤلؤة	في كل جارحة من حسنها قمر

الا ان الجارية يا امير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها جميع الاسقام وعند راسها طبيب وهو يجس يدها ويقول يا ست بدور الصنابض ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شيء تشتكينه اكثر من سهر الليل وجريان الدمع لتكون الست في قلبها هوى من احد فلما سمعت كلام الطبيب انشدت تقول

اذا همست بكتمان الهوى نطقت	سرا معي بالذي اخفي من الالم
فان الح افتضح من غير منفسة	وان كتمت فدمعي غير منكتم
لكن الى الله اشكو ما اكابده	من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفتت الي وقالت من اين يا شيخ فقلت لها من بغداد دعاني العطش الى ان اتيت الى هنا

فقالت لعل ان يكون على يدك فرجي فانا اكتب لك ورقة فتسأل عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان رد بيت على الجواب فانا اعطيك خمسمائة دينار ثم استدعت بدواة وورق وكتبت فيه تقول اما بعد فعجز لساني وبكل جناني عن بث الاشواق ولكن اسأل الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق بالسعد

الرائق والامر الموافق وانا القائلة حيث اقول

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم	وحبكم فرض وما منكم بد
ولي شاهد دمعي اذا ما ذكرتكم	جرى فوق خدي لا يطاق له رد
اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت	وجدت لمسراها على كبد برد
فوالله ما احببت ما عشت غيركم	ولا كنت الا ما حييت لكم عبد
سلام عليكم ما امتد فراقكم	فلا كان هذا منكم آخر العهد

اما بعد فهذا الكتاب ممن ليلها في نحيب ونهارها في تعذيب لا تركن الى عاذل ولا تصغي الى قائل قد غلبتها ايدي الفراق ولو شرحت بعض ما عندها للفسيح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن اسأل الكريم الخلاق رافع السبع الطباق ان

يمن علينا بالتلاق وانشدت تقول

احبه قلبي وان جرتمو	على فكل المنا انتمو
رحلتمو وفي القلب خلفتمو	لهيبا فهلا انتم نفتمو
واودعتمو يوم ودعتمو	باحشاي نارا واضرمتمو
وما كنتمو تعرفون الجفا	على شوم بختي تعلمتمو

فالف الف لا اوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي اليكم ما حن الغريب الى الاوطان وغرد حمام الايك على البان فرحم الله من قرا كتابي و

تعطف برد جوابي وانشدت تقول

احبابنا مارقا دمعي لفرقتكم	يوم الفراق ولا كفت غواديه
بنتم فلم يبق لي من بعدكم جلد	ولا فؤاد ولا صبر ارجيه
فكم امني فؤادي بالهوى كذبا	ولست اول من بانت غواشيه

قال ثم انه طوى الكتاب وختمه بعد ان نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولني اياه فاخذته واتيت الى دار الامير عمر فوجدته في الصيد والقنص فجلست على بابه ساعة انتظره وازايه قد اقبل وهو راكب على حصان اشقر من الخيل الضمر يساوي ملك كسرى وقيصر من اولاد الابجر الذي كان لعنتر ان طلب لحق وان طلب لم يلحق والامير في ظهره كانه انقلب فيه قلبا والمماليك قد احدقوا به كما احدق النجوم بالقمر وهو بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله عذار اخضر فوق خد احمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال فيه ابن شعر

قمر تكامل في نهاية حسنه	مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياء جبينه	والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال باسره فكانما	حسن البرية كلها من عنده

قال ابو الحسن فما امهلته دون ان قبلت ركابه فلما نظر الي ترجل واعتنقني واخذ بيدي وادخلني الدار وانشد يقول

ما اظن الزمان ياتي بهذا	غير اني رايته في منامي

قال فلما جلس على حافة البركة اقبل على يحادثني ساعة واذا بالمائدة قد وضعت بين ايدينا واذا عليها من الوان الطعام مادرج وتطاير في الاسحار وتناكح في الاوكار من قطا وسمان وافراخ حمام وبط مسمن ودجاج محمر وخراف وضع ومعلبكات لسكر فقال لي بسم الله يا شيخ ابا الحسن فقلت لا والله يا مولاي ما اكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لي حاجتي فقال يا ابا الحسن كان هذا من الاول اين الكتاب الذي للست بدور فقلت يا سيدي وما هي الست بدور فقال التي جئت لعندها تطلب شربة من الماء منها ووجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ما هو كيت وكيت فقلت يا مولاي اكنت حاضرا فقال لو كنت حاضرا لاي شئ كتبت الكتاب فقلت ولا جاء احد من عندها اعلمك فقال انه لا يجسر احد يجيء من عندها فقلت ولا راح احد من عندك

الى عندها فقال هي اخس واحقر من ان يمضي اليها احد من عندك فقلت يا سيدي الغيب لا يعلمه الا الله تعالى والوحي ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ففقال يا عاقل اما سمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون	ترى ما لا يراه الناظرون
واجنحة تطير بغير ريش	الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يا مولاي ثم ناولته الكتاب ففضه وقراه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه في البركة فصعب علي فلما علم مني ذلك قال مم غيظك اقعد الليلة عندي كل واشرب وخذ مني الخمسمائة دينار التي وعدتك بها الست

يدور وانا احب اليك منها وانشد يقول

رايت شاة وذئبا وهي ماسكة	باذنه وهو منقاد لها ساري
فقلت اعجوبة ثم التفت اري	ما بين نابيه ملقي نصف دينار
فقلت للشاة ما ذا الالف بينكما	والذئب يسطو بانياب واظفار
تبسمت ثم قالت وهي ضاحكة	بالتبر يكسر ذاك الضيغم الضاري

قال فلما سمعت كلامه يا امير المؤمنين تقدمت واكلت بحسب الكفاية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين ايدينا البواطي والسلاحيات فتناول الامير عمرو وشرب وسقاني وانا احدثه وانادمه الى قرب الغياب فقال لي يا ابا الحسن ما عادة امير المؤمنين اذا شرب الى المساء فقلت يقول الشراب بلا طرب ولا سماع الدن اولى به فقال لي قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحصيرة تنقط بالذهب واللازورد العجب وهي مزخرفة قد عبقت ازهارها وضحكت سلاحياتها وصفت بواطيها ورفعت اقداحها فجلس الامير عمرو واجلسني بجانبه وقدمت بين ايدينا الشموع واسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحصيرة مليحة ثم قلت يا مولاي قد تقدم القول ان الشراب بلا سماع الدن اولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاثة جوار قد اقبلن كانهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية

تحمل دفا والثالثة تحمل مزمارا ثم نقرت الدفية على دفها واصلحت العودية عودها وزمرت الزامرة بزمرها فخيل لي ان المجلس الذي نحن فيه يرقص بنا ثم

ان الدفية غنت تقول

احبابنا انني من يوم فرقتكم	على فراش الضنا مازلت مضطجعا
داويت قلبي بحسن الصبر بعدكم	عسى يفيق من الاسقام ما نفعا

فوالله يا امير المؤمنين لقد طربت غايت الطرب من حسن صوتها فلما فرغت الدفية ضربت العودية على عودها طرقا عديدة ثم رجعت الى الطريقة الاولى

وانشدت تقول

امؤنس طرفي لا خلا منك ناظري	وجامع شملي لا خلا منك مجلسي
ويا ساكنا قلبي وما فيه غيره	بحل فما استوحشت فيه لمونسي
وبالله يا عين الورى من ملاحة	تصدق على صب من الصبر مفلس
الى الرضى حتى اغيظ به العدا	ويا موحشي من بعد ما كان مونسي
ورضاك الذي ان نلته نلت رفعة	والبسني في الناس اشرف ملبس

قال والله يا امير المؤمنين لم تمالك عقولنا من الطرب ثم التفتت العودية الى الدفية وقالت لها يا فلانة اتحسني ان تقولي مثل هذا فقالت الدفية انا احفظ ابياتا ما اظن انك تحفظي لهن وزنا ولا قافية ولا عروضا فقالت العودية هاتي ما عندك فنقرت الدفية على دفها بانا ملها ورفعت صوتها وهي تقول

كرروا تذكرهم في مسمعي	فهم الشفا لتالمي وتوجعي
اقصر بعذلك يا عذول فان لي	قلبا لعذلك لا يفيق ولا يعي

فقالت لها العودية انا احفظ الوزن والقافية والعروض فقالت لها الدفية هاتي فضربت العودية طريقة من اثنين واثنين واربعة واربعة وثمانية وثمانية وستة عشر وستة عشر ثم عادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

ان لم اسل وادي الاسيل بادمعي	اعلم باني في الصبابة مدعي

يا سعد ان جئت الغوير وعاينت عينا كثبان المنحنى فلترجع
وخذ الحذار من الغزال المختفى واحذر ربيصيد لحظ ذات البرقع

قال والله يا امير المؤمنين فلقد طربنا حتى قام كل منا ورقص فلما فرغت الجارية
قال لها سيدها غنى لى الذى لقلبى وحدى فعندها سارت عودها وقالت

ما كنت اول رامق صبا صبا نحو التصابى وهو فى عشر الصبا
فغلام يعذلنى العذول على البكا لولا الغرام لما غدوت معذبا
حكم الهواء بحكمه فى مهجتى ولقد غدا قلبى به متقلبا
يا للرجال خبا الهوى بحشاشتى نارا فما تخبوا على ذاك الخبا
ولقد سبا عقلى غزال العورات بلقيس طلعته لما سكنت سبا
ولقد هربت من الفراق فقال لى مهلا رويدا فاين منى تهربا

فلما سمع الامير عمرو ذلك صرخ ووقع الى الارض مغشيا عليه فقالت الجارية
يا مولاى انه قد نام سيدى فان اخترت ان تنام فقم نم فى مرقدك وان اخترت
الشراب فدونك ونحن بين يديك الى الصباح فقمت ونمت فلما اصبحت قمت وسألت
عن الامير عمرو فقال بعض الجوارى انه سرح الى الصيد والقنص فاخذت شاشا البسه
فرايت تحته كيسا فيه الف دينار فاخذته واتيت الى الست بدور واذا بها واقفة

خلف الباب تنتظر وهى تقول

يا رسولى الى الحبيب اعتذر لى فلعل الحبيب يقبل عذرى
ثم قل للحبيب عنى بلطف اى ذنب جرى فاوجب هجرى

فلما رأتنى قالت يا شيخ افتح ام شعير فقلت لا والله ماهو الا زبوان والله
ما رضى يقرأ مكتوبك ولا يرد جوابك فرحت الى صرة فيها مائة دينار
وقالت اذهب يا ابا الحسن ما مضى الليل واتى النهار على شئ الا وازاله وغيره
ويغير الله ما فى القلوب ثم انها اغلقت الباب فى وجهى ومضت وعدت
الى دار الامير محمد بن سليمان الزينبى فلقيته قد جاء من الصيد فقعدت عنده

ايامًا واخذت رسمي وعدت الى بغداد ثم انى فى السنة القابلة سافرت الى البصرة على ما جرت العادة به ومضيت الى عند الامير عمرو بن جبير الشيبانى لاتمتع بذلك الوجه المليح والقد الرجيح فوجدت الدار متغيرة الآثار والعبيد لابسين السواد فلما

(رايت ذلك بكيت وانشدت اقول)

يا دار اين ترحل السكان	وسرت بهم من بعدها الاظعان
بالامس كان بك الضياء	واليوم فى عرصاتك الغربان

فسمعنى بعض الغلمان فظهر لى وقال من ذا الذى يبكى على ديارنا ويندب منازلنا كفى بنا ما عندنا فقلت له يا عبد الخير ان صاحب هذه الدار كان من اصدق الناس الى فما فعل به الزمان فقال لى الغلام يا مولاى هو فى قيد الحياة وهو يطلب الموت فلا يجده فقلت له بالله عليك خذ لى اليه الطريق فقال لى الغلام يا مولاى من اقول فقلت قل الشيخ ابو الحسن الخليع الدمشقى المسامر فاخبر الغلام وغاب ساعة وعاد وقال لى بسم الله ادخل فدخلت فوجدت الامير عمرا نائمًا و عند رأسه طبيب وهو يجس يده ويقول له يا مولاى الضارب ضارب والسكون ساكن لا برد ولا حمى ولا تشتكى غير سهر الليل وجريان الدمع لا يكون المولى الا مسحورًا فلما سمع الامير عمرو كلام الطبيب بكى وانشد يقول

قال الطبيب لقومى حين جس يدى	هذا فتاكم ورب البيت مسحور
فقلت ويحك قد قاربت فى صفتى	عين الصواب فهلا قلت مهجور

ثم انه ناوله كاغدًا فيه بعض دنانير فاخذها الطبيب وانصرف ثم التفت الامير عمرو الى وقال يا شيخ ابا الحسن اما تنظر الى هذا الحال الذى وقعت فيه فقلت له حاشاك من الاسواء ما سبب ذلك قال ما اعرف له سببًا الا ان هجر الست بلدور قد قتلنى وجرحا اضنى فؤادى فقلت يا مولاى بالعام الماضى تركتك امير واليوم اتيت لقيتك اسيرًا فما السبب فقال الامير عمرو يا شيخ انى فى ليلة من الليالى ركبت فى الشط وقد عبيت فى مركبى من سائر الازهار والفواكه والرياحين

والطعام والمدام واقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار وقد غرقنا فى البسط و
بقينا فى لعب وضحك الى ثلث الليل الاول واذ قد اقبل من صدر الشط مركب وهى
تعزف بالطارات والدفوف وتضئ كضوء الشمس وفيها وهج عظيم فقلت للملاح
قدم بنا حتى نتفرج وننظر ايضا احسن تعبية مركبنا او هذه المركب فمددت عينى
فرايت صاحبتى الست بدور وهى بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك وهى
مثل اسمها اسم على مسمى فلما وقعت عينى عليها كان ما رميت فى قلبى جمرة نار
فقلت فى نفسى ما فارقت هذا الوجه المليح بذنب ثم انى تذكرت العهد القديم
الذى كان بيننا فلم اقدر اصبر فمددت يدى واخذت تفاحة ورميتها الى الست
بدور فالتفت فرأتنى فقالت للملاح ارجع بنا الى البر نحن خرجنا هذه الليلة نتشرح
فارسل الله لنا هذا الفتى ينغص علينا عيشنا فلما سمعتها تشتمنى اضرمت النار فى
قلبى ثم قلت لنفسى انت كنت المطلوب فصرت الطالب فلم يهن لى عيش فى هذه
الليلة وقلت للملاح ارجع الى الشط ثم انى نزلت ومضيت الى منزلى وما ذقت
طعم المنام فلما اصبحت لم يقر لى قرار وصرت اترقب ان يأتى احد من عندها
ثلاثة ايام فلم يأت احد فبعثت من يعرض بذكرى لها فدعت عليهم وشتمتهم
فكتبت لها بعد ذلك الف كتاب فلم ترد لى جوابا وقد رميت روحى على كل كبير
فى البصرة فيدخلون عليها فلم تقبل ولم تزدد الا جفاء ولى مدة انتظرك يا شيخ
ابا الحسن حتى ابعث معك كتابا وانا احلف لك ان هى ردت لك جوابه اعطيتك
الف دينار وان لم ترد جوابه اعطيتك مائة دينار فقلت له اكتب فدعا بدواة
وقرطاس وكتب فى اول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من متيم يشكوا
اليك الصبابة ويسألك بالله ان تردى جوابه اما بعد فانه يعجز لسانى ويكل
جنانى مما انا فيه من طول السهر ودوام الفكر وبكى لبكائى صم الحجر فالف الف
لا اوحش الله منك والسلام عليك ثم ختم الكتاب وناولنى اياه فاخذته واتيت به
الى دار الست بدور فلقيت الباب على غير تلك الحالة الاولى عليه ستر مرخى وبواب

وخادم فقلت لا اله الا الله كان هذا الباب بالامس خاليا من الاصحاب واليوم عليه خادم وبواب ثم انى تقدمت الى عند الخادم وقلت له قم يا ولدى ادخل واستاذن على مولاتك الست بدور وقل لها الشيخ ابو الحسن الخليع الدمشقى قد اتى ويطلب التمثيل بين يديك فغاب الخادم ثم عاد مسرعا وقال بسم الله ادخل فدخلت الدهليز

(فسمعت الست بدور وهى تقول)

ولأصبرن على الزمان وجوره	حتى يجود كما اريد واشتهى

قال فلما دخلت رايتها قاعدة على حافة البركة وبين يديها جارية تروح عليها فتقدمت وقبلت يدها وجلست فنظرت واذا عليها غلالة لازوردية وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كانه عمود مرمر وعلى الغلالة مكتوب هذه الابيات

اقبلت فى غلالة زرقاء	لازوردية كلون السماء
فتأملت فى الغلالة الشئ	قمر الصيف فى ليالى الشتاء
ليتنى كنت للمليحة عقدا	او برقعا للوجه مثل الرداء
او قميصا من الحرير خفيفا	لاصقا للفؤاد والاحشا
ضربتنى بخنجر العشق حتى	صرت ملقى مخضبا بدمائ
تركتنى على الطريق ونادت	من يصلى على قتيل هوائ

ثم انى لما فرغت من قراءة الاشعار قالت لجاريتها هات لى بدلة قماش ثم غيرت ما كان عليها وجلست ثم امرت باحضار المائدة وقالت لى بسم الله كل يا ابا الحسن فقلت والله لا اكلت لك طعاما ولا شربت عندك مداما حتى تقضى حاجتى فقالت كان هذا من الاول ولكن والله قد وقعت من عيننا بروحك الى الامير عمر وقبل مجيئك الينا فقلت لها انا ما رحت فقالت تكون شيخا وتكذب انت ما عبرت عنده ولقيت الطبيب وهو يقول له كيت وكيت وجرى لك معه كذا وكذا وهذا الكتاب فى طى عمامتك وبالامارة قال لك ان رديت لى الجواب اعطيتك الف دينار وان لم ترد لى الجواب اعطيتك مائة دينار فقلت يا ستى

من اعلمك بهذا فقالت اليس القائل يقول

قلوب العاشقين لها عيون	ترى ما لا يراه الناظرون

وانا يا شيخ ابا الحسن اعشق منه وارى اكثر مما يراه فقلت صدقت يا مولاتي كان ذلك ثم ناولتها الكتاب ففضته وقرأته ثم انها مزقته وبصقت عليه وداسته ورمته في البركة فلما رايت ذلك قلت في نفسي هذا بذاك وقرضا لدين لا بد له من وفا الا اني حصل لي بعض غيظ على الالف دينار التي تفوتني فنظرت الى وعرفت مني ذلك فقالت يا شيخ ابا الحسن مم غيظك ان كان وعدك بالف دينار بت الليلة عندي وكل واشرب ولذ واطرب وخذ لك غدا مني الف دينار وامض في وداعة الله فقلت يا سيدتي يكاد الامير عمرو ان يموت فقالت دعنا من هذا الكلام ثم ان المائدة حضرت فاكلنا بحسب الكفاية فلما فرغنا قالت يا شيخ تعرف تلعب بالشطرنج قلت ما العب الا على الحكم والرضى فقالت نعم ثم دعت بالشطرنج فوضع بين ايدينا ولعبت معها الدست الاول فغلبتني فامرت الجواري ان يرموني في البركة فمسكوني ورموني في البركة فضحكت علي ساعة ثم اخرجوني وقد ابتلت جميع حوائجي فلما راتني على تلك الحالة امرت ببدلة من القماش من افخر الملبوس فلبست فقالت نلعب ايضا على الحكم والرضى قلت نعم فلعبنا فتغافلت عليها واتيت لها بحكاية لطيفة مضحكة واشغلتها وسرقت القطع الى ان غلبتها وتحكمت فيها وقلت اريد الالف دينار وجواب الكتاب فاعطتني الالف دينار وطلبت الدواة والقرطاس ثم انها اطرقت ساعة ورفعت راسها وكتبت تقول

الا يا عمرو وكم هذا العناء	وكم هذا التجلد والاذاء
كتبت الي تشكو ما تلاقي	من الاسقام اذ نزل القضاء
فسقم لا يزال طول دهر	وداء ماله ابدا دواء
ولو ساعدتنا يا عمرو يوما	لساعدناك اذ نزل البلاء
نعش صبا ومت كمدا حزينا	فواحدة بواحدة جزاء

فلما فرغت ناولتني الورقة فقرأتها فقلت يا ستي بالله عليك لا تفعلي وارحمي الامير عمرو واكتبي له غير هذا فقالت لي يا شيخ ابا الحسن انت رسول والا فضولي فقلت لها رسول وفضولي وطفيلي ويغيظ القطط ويحلف انه ما بات الا في الوسط ويغني بابيت بكم قال فضحكت من كلامي وقالت حكمتك في نفسي فقلت يا ست بدور اين تلك المحبة التي كنت تحبيها للامير عمرو فلو ابصرتيه ما عرفتيه من شدة ما يقاسي من الاسقام والآلام والامراض فلما سمعت ذلك قالت اخبرني عن اقوى شئ به من المرض فقلت يا سيدتي ما اقدر اصف لك بعض ما فيه من الم المرض فتغرغرت عيناها بالدموع ثم قالت يعز علي ما وصفت لي عنه وروحي لروحه الفداء فالحمد لله الذي كان اجتماعنا على يديك ثم دعت بدرج غير تلك الورقة وكتبت في اول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ثم

(انها بتدات تنشد وتقول)

وصل الكتاب فلا عدمت ناملا	غنيت به حتى تضوع طيبا
ففضضته وقرأته فوجدته	لخفي اوجاع القلوب طبيبا
فكانه موسى اعيد لامه	او ثوب يوسف قد اتى يعقوبا

المملوكة تقبل الارض وتنهي ان شوقها شديد وغرامها ما عليه مزيد وسؤلها من الحميد المجيد ان يجمع شملها بك قبل ان تزيد وتقول

(الحميد المجيد ان يجمع شملها بك قبل ان تريد وتقول)

اشتاقكم حتى اذا انهض الغرام	لمقامكم تعدت بي الايام
والله اني لو وصفت صبابتي	فني المداد وقلت الاقلام

ثم انها نثرت فيها فتات المسك والطيب وطوتها وختمتها وناولتني اياها فاخذتها وقمت مسرعا وانا فرحان الى ان اتيت دار الامير عمرو ودخلت الدهليز فسمعته يقول

ترى حرمت كتب المحبة بيننا	اسحرا م القرطاس اصبح غاليا

فاستأذنت عليه ودخلت فلما رآني قال لي افتح ام شعير فقلت له فتح مغربل ليس فيه كدر ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه فلما فهم معناه تهلل وجهه

بالفرح فبكى وقال

هجم السرور علي حتى انني	من عظم ما قد سرني ابكاني
يا عين قد صار البكا لك عادة	تبكين في فرح وفي احزان

فلما فرغ من البكاء قال لي يا شيخ ما اظن الحديد يلين ولا الصخر يذوب لعل ان تكون صنعت هذا الكتاب من عندك فقلت يا مولاي والله ما صنعته ولا كتبته بل هو خطها بيدها فبينما هو يخاطبني اذ هي عبرت علينا وهي تخطر في قوامها

وهي تنشد وتقول

نزوركم لا تؤاخذكم بجفونكم	ان الكريم اذا لم يستزر زارا

فلما راها الامير عمرو نهض قائما على قدميه ورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقته ساعة زمانية فهممت على ان اخلي لهما المكان فقالت الست بدور الى اين تروح يا شيخ قلت اخلي لكما المكان لانكما ما اجتمعتما من مدة سنة كاملة فقالت لا نفارقك من الساعة الى الصباح فقام الامير عمرو واخذنا ومضى بنا الى مجلس مليح وقدم لنا الطعام المفتخر وامر بازالة كل شئ كان عليه من آلة الحزن وجئ له بالماء فغسل يديه وغسلنا ايدينا وانتقلنا الى مجلس الشراب وبتنا في لذة ورايت الماورية تدب في وجه الامير عمرو وبتنا في لذة فلما اصبحت قالت لي الست بدور يا شيخ ابا الحسن امض وائتنا بالقاضي والشهود فلم يكن باسرع مما احضرتهم فقالت الست بدور للقاضي اكتب كتابي على الامير عمرو وقد وليت الشيخ ابا الحسن عقد النكاح قال فخطب القاضي خطبة النكاح وعقد العقد بينهما فرسم الامير عمرو للقاضي بالف دينار وللشهود بمائتي دينار وعمل الوليمة وطبخ الطعام وعمل الحلاوات وجمع الناس ووضع بين ايديهم الموائد واطعم الشارد والوارد وزفت الست بدور تلك الليلة على الامير عمرو فلما وقفوا على المنصة قلت ما تصلح الا له ولا يصلح الا لها ولو رآها غيره لزلزلت الارض زلزالها ثم تقدمت الى الامير عمرو وقلت له يا مولاي المثل يقول العصفور يتفلى والصياد

بيقلى وانتم تقولون واطرباه وانا اقول واحزناه فقالت الست بدور ما معنى كلامك هذا قلت يا سيدتى الامير عمرو وعدنى بوعد والوعد على الكرماء دين فقالت الست بدور صدق الشيخ اعطه الذى وعدته به فقال الامير عمرو لبعض غلمانه اعط الشيخ ابا الحسن الفا وخمسمائة دينار ديناها هل والله اكثر من ذلك فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولنى اياه واعطتنى الست بدور مثله ثم انى ودعتهم وخرجت الى ان اتيت الى الامير محمد بن سليمان الزينبى وتعدت عنده على عادتى واخذت رسمى الذى لى عليه فى كل سنة وعدت الى بغداد فما رايت سنة ابرك على منها حصل لى فيها اربعة الاف دينار وهذا جملة الحديث فتعجب الخليفة وقال ماقصرت يا شيخ ابا الحسن خذ من جعفر الف دينار لانك انت الذى ازلت عنى ما بقلبى فقال جعفر ومن عند امير المؤمنين الف دينار لانه هو الذى زال عنه ماكان يجده فقال ابو الحسن صدق الوزير ابقاه الله تعالى ثم انه قبض الالفين دينار ومضى الى منزله والله اعلم قال ابو القاسم عبد الملك بن بدرون فى شرحه لقصيدة عبد المجيد بن عبدون جعفر البرمكى هو جعفر بن يحيى بن خالد برمك والبرمك هو الذى يعمر بيت النور وهو بيت النار وكان برمك من مجوس بلخ وكان عظيم القدر فيهم وولد خالد فلما كبر صار وزيرا لابى السفاح بعد ابى سلمة الخلال وقتل هارون الرشيد جعفرا سنة سبع وثمانين ومائة وكان جعفر قد بلغ من الرشيد مالا يبلغه وزير من خليفة قبله حتى كان يجلس معه فى حلة واحدة قد اتخذ لها جيبان على ما ذكره بعض المخبرين وكان بلغ عنده ان يحكم عليه فيما شاء من امر ماله وولده فمن ذلك ما حكى ابن المهدى عم الرشيد وهو ابراهيم المعروف بابن شكلة وكانت شكلة امة سوداء وقد ذكر ان ابراهيم كان اسود شديد السواد وكان من الطبقة العليا فى صنعة العود قال قال لى جعفر يوما يا ابراهيم اذا كان غدا فبكر لى فلما كان الغد مشيت اليه باكرا فجلسنا نتحدث فلما ارتفع النهار احضر حجاما فحجمنا ثم قدم لنا الطعام فطعمنا

ثم خلع علينا ثياب المنادمة وقال جعفر لخادمه لا يدخل علينا احد الا عبد الملك
القهرمان فنسي الحاجب ما قال له فجاء عبد الملك بن صالح الهاشمي وكان رجلا
من بني هاشم ذا املاحة وفصاحة وعلم وحلم وجلالة قدر وفخامة ذكر و
صيانة وديانة فظن الحاجب انه الذي امره بادخاله عليهما فلما رآه جعفر تغير
لونه فقال له عبد الملك بن صالح لما رآهم على تلك الحالة وظهر له انهم
احتشموه اراد ان يرفع خجله وخجلهم بمشاركته لهم في فعلهم فقال اصنعوا بنا
ما صنعتم بانفسكم فجاء الخادم فطرح عليه ثياب المنادمة ثم جلس للشراب
فلما بلغ ثلثا قال للساقي لتخفف عني فاني ما شربته قط فتهلل وجه جعفر
فقال له هل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافاة
لما صنعت قال بلى ان امير المؤمنين علي غاضب فسله الرضا عني قال قد رضي
عنك امير المؤمنين قال وعلي اربعة الآف دينار قال هي لك حاضرة من مال
امير المؤمنين قال وابني ابراهيم اريد ان اشد ظهره بصهر من امير المؤمنين
قال قد زوجه امير المؤمنين بابنته عائشة قال واحب ان تخفق الالوية على رأسه قال نعم قد ولاه
امير المؤمنين مصر قال ابراهيم بن المهدي فانصرف عبد الملك بن صالح وانا
اتعجب من اقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير استئذان فلما كان من الغد
وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم نلبث ان دعا بابي يوسف القاضي ومحمد بن
واسع وابراهيم بن عبد الملك فعقد له النكاح وحملت البدر الى منزل عبد الملك
وكتب سجل ابراهيم على مصر وخرج جعفر فاشار الي فلما سار الى منزله ونزلت بنزوله
التفت الي وقال لعل قلبك معلق بامر عبد الملك بن صالح فاحببت معرفة خبره
قلت نعم قال وذلك اني لما دخلت على امير المؤمنين ومثلت بين يديه وابتدأت
القصة من اولها الى آخرها كما كانت قال الرشيد احسن والله احسن والله ثم قال
ما صنعت فاخبرته عما سأل وبما اجبته في ذلك فقال احسنت وخرج ابراهيم واليا
على مصر من يومه والله تعالى اعلم قال ابراهيم بن اسحاق كنت منقطعا الى البرامكة

فبينما انا ذات يوم بمنزلي واذا الباب يدق فخرج غلامي وعاد وقال لي على الباب
فتى جميل يستأذن فاذنت له فدخل شاب عليه اثر السقم فقال لي مدة احاول
لقاءك ولي اليك حاجة فقلت ما هي فاخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يدي و
قال اسئلك ان تقبلها مني وتصنع لي لحنا في بيتين قلتهما فقلت انشدنيهما فقال

بالله يا طرفي الجاني على كبدي ... لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
لا لا ابوح حتى تخلى سكني ... فلا اراه ولو ادرجت في كفني

قال فصنعت لهما لحنا يشبه النوح ثم غنيته فاغمي عليه حتى اني ظننت انه مات
ثم افاق وقال اعده فناشدته الله وقلت اخشى ان تموت فقال ليت ذلك
وما زال يخضع ويتضرع حتى رحمته واعدته فصعق صعقة اشد من الاولى
فلم اشك في موته وما زلت انضح عليه من ماء الورد حتى فاق ثم جلس فحمدت الله
على السلامة ووضعت دنانيره بين يديه وقلت خذ مالك وانصرف عني فقال
لا حاجة لي بها ولك مثلها ان اعدته فشرهت نفسي فقلت اعيده ولكن بثلاثة
شرائط اولها تقيم عندي تاكل من طعامي حتى تتقوى نفسك الثاني ان تشرب
من الشراب ما يمسك قلبك الثالث ان تحدثني بحديثك ففعل ذلك ثم قال اني
رجل من اهل المدينة خرجت متنزها وقد سال المطر في العقيق مع اخوتي فرايت
فتاة مع فتيات كانها غصن جلله الندا تنظر بعينين ما ارتد طرفهما الا بنفس
ملاحظها فاظللن حتى فرغ النهار فانصرفن وقد رمت بقلبي جراحا بطيئة الاندمال
فعدت اتنسم اخبارها فلم اجد احدا يرشدني اليها فجعلت اتتبعها في الاسواق
فلم اقع لها على خبر ومرضت اسا وحكيت قصتي لذي قرابة لي فقالت لي لا بأس
عليك هذه ايام الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذ واخرج انا معك
فافعل مرادك قال فاطمانت نفسي بذلك الى ان سال العقيق وخرج الناس ينظرون
فخرجت مع اخوتي وقرابتي فجلسنا في مجلسنا بعينه فما لبثنا الا والنسوة
كفرسي رهان فقلت لقرابتي قولي لهذه الجارية يقول لك هذا الرجل

لقد احسن من قال

ومثنى بسهم اقصد القلب وانثنت	وقد عاودت جرجا به وندوبا

قال فمضت اليها وقالت لها ذلك فقالت لها قولى له وقد احسن من اجابه

بنا مثل ما تشكو فصبر العلنا	نرى فرجا يشفى القلوب قريبا

قال فامسكت عن الكلام خوفا لفضيحة وقمت منصرفا فقامت لقيامى فتبعتها قرايتى حتى عرفت منزلها ورجعت فاخذتنى وسرنا اليها حتى اجتمعنا واتصل ذلك حتى شاع وظهر وحجبها ابوها فلم ازل مجتهدا فى لقاها فلم اقدر وشكوت ذلك الى ابى فجمع اهلنا ومضى الى ابيها راغبا فى خطبتها فقال لو بدا له ذلك قبل ان يفضحها لفعلت ولكنه اشهرها فما كنت لاحقق قول الناس قال ابراهيم فاعدت عليه الصوت وعرفنى منزله ثم انصرف وكانت بيننا عشرة ثم جلس جعفر بن يحيى وحضرت على عادتى فغنيته شعر الفتى فطرب وشرب اقداحا وقال ويلك لمن هذا الصوت فحدثته حديث الفتى فامرنى بالركوب اليه وان اجعله على ثقة من بلوغ اربه فمضيت اليه واحضرته فاستعاده الحديث فحدثه فقال هى فى ذمتى حتى ازوجك اياها فطابت نفسه واقام معنا فلما اصبح ركب جعفر الى الرشيد وحدثه بذلك فاستظرفه وامران يحضر اجميعا فاستعاد الصوت وشرب عليه فامر بكتب الكتاب الى عامل الحجاز باحضار المرأة واهلها ووالدها مبجلين الى حضرته والانفاق عليهم نفقة واسعة فلم يمض الا يسير حتى حضروا فاشار الرشيد بايصال الرجل اليه فحضر وامر بتزويج ابنته من الفتى واعطاه الف دينار ونقلت الى اهله ولم يزل الشاب من ندماء جعفر حتى حدث ماحدث فعاد الفتى باهله الى المدينة فرحم الله تعالى روا حهم اجمعين حكاية اجنبية مما اتفق ان الوزير اباعلم احمد بن مروان كان قد اهدى له غلام من النصارى لاتقع العيون على احسن منه فلمحه الملك الناصر فقال له انى لك هذا قال هو من عند الله فقال تخفونا بالنجوم وتستاثرون بالاقمار فاعتذر اليه ثم احتفل فى هدية بعثها اليه مع

الغلام وقال لكن داخلا في جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك

نفسي وكتب معه هذه الابيات

امولاي هذا البدر سار لافقكم | وللافق اولى بالبدور من الارض
ارضيكم بالنفس وهي نفيسة | ولم ار قبلي من بمهجته يرضى

قال فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكن عنده ثم بعد ذلك اهديت للمؤمن جارية من اجمل نساء الدنيا فخاف ان ينهي ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة الغلام فاحتفل في هدية اعظم من الاولى وارسلها

مع الجارية وكتب معها هذه الابيات

امولاي هذي الشمس والبدر اولا | تقدم لكي ان يلتقي القمران
قران لعمري بالسعادة ناطق | فدم معهما في كوثر وجنان
فما لهما والله في الحسن ثالث | وما لك في ملك البرية ثان

قال فتضاعفت مكانته عنده ثم وشى به بعض اعدائه عند الناصر ان عنده بقية من الغلمان وحذره وانه لا يزال يلهج بذكره حين تحركه الشمول فيقرع السن على تعذر الوصول فقال الناصر للواشي لا تحرك به لسانك والا طار رأسك وكتب على لسان الغلام ورقة فيها يا مولاي تعلم انك كنت لي على الانفراد ولم ازل معك في نعيم وانا وان كنت عند السلطان مشاركا في المنزلة محاذرا ما يبدو من سطوة الملك فتحيل في استدعائي منه ثم بعثها مع غلام صغير واوصاه ان يقول هي من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط فلما وقف عليها ابو عامر واستخبر الخادم فاحس بالمكيدة فكتب

على ظهر الورقة يقول

امن بعد احكام التجارب ينبغي | لدى سقوط الطير في غابة الاسد
ولا انا ممن يغلب الحب عقله | ولا جاهل ما يدعيه اولو الحسد
فان كنت روحي قد وهبتك طائعا | وكيف ترد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى سماع واثر فيه
بعد ذلك ثم قال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلي بالهوى غير مشترك

وهذا سبب قتل البرامكة وما وقع لهم مع الرشيد

والقصة فى ذلك على ما رواه ابراهيم بن اسحاق عن ابى ثور زاهر بن صفار
قال بلغنى انه كان لهارون الرشيد مجلس بالليل مع جعفر البرمكى فقال له
يوما لا يطيب لى ذلك الا بحضر اختى ميمونة ولكن لا يجوز الا ان كتبت لك
عليها لاباحة النظر من غير ان تقربها فاتفقا على ذلك وعقد له عليها ثم احضرها
فكانت تحضر لذلك المجلس الا انه زاد غرامها وعشقها فيه وكان لجعفر البرمكى
امرأة تزين له الجوارى كل ليلة فجاءت ميمونة لها وارشتها بمال فزينتها
له وادخلتها عليه فظن انها جارية فواقعها فلما اصبحوا قالت له انا ميمونة وقد
كنت اسألك ان تساعدنى على مودتك فتأبى فلما ايست منك احتلت عليك
بما رايت فى هذه الليلة وان لم تواظب لاكونن سببا فى سلب نعمتك وهل
انت الا زوجى فقال لها جعفر ويحك اهلكتينى واهلكت نفسك وكان كما
قال ولم يزرها حتى ظهر امرها للرشيد فهذا كان سبب قتل البرامكة وهذا
ابتداء الحديث قال المبرد قال ابو عبد الله المارستانى عن يحيى بن اكثم القاضى
قال سالت اسماعيل بن يحيى الهاشمى عن سبب زوال نعمة البرامكة قال نعم
اعرف صحة الخبر وباطن القصة كان سبب ذلك انى كنت مع الرشيد يوما من
الايام راكبا الى الصيد فبينما نحن اذ نظر الى موكب بالبعد اعترضنا فقال لى يا اسماعيل
لمن هذا فقلت هؤلاء اخيك جعفر بن يحيى فالتفت يمينا وشمالا الى من صحبه
فى موكبه فاذا هو شرذمة يسيرة ثم نظر الى الموكب الذى فيه جعفر فلم يره فقال لى
يا اسماعيل ما نحن جعفر وموكبه فقلت يا سيدى قد مضى اخواك فى طريق ولم
يعلم بموضعك فقال ما اتانا اهلا ان يزيننا بموكبه ويجملنا بجيشه فقلت العفو
يا امير المؤمنين لو علم بمكانك ما تعداك وما سار الا بين يديك واعتذرت

بما حضرني من الكلام ثم سرنا حتى انتهينا الى ضيعة عامرة ومواش كثيرة وعمارة
حسنة وكان الطريق يدور عليها فدرنا حتى وردنا باب القرية فنظر الرشيد الى
البيدر والى كثرة الغلال فيه والمواشي ويسار اهلها فالتفت الي وقال يا اسماعيل
لمن هذه الضيعة قلت لاخيك جعفر بن يحيى فسكت ثم تنفس الصعداء ثم سرنا ولم نزل
نمر بكل ضيعة اعمر من الاخرى وكلما مر وسألني عن ضيعة قلت لجعفر بن يحيى
حتى سرنا ووصلنا الى المدينة قبل اردت وداعه والانصراف الى منزلي نظر
الى من كان حواليه نظرة فعلموا ما اراد فتفرقوا وبقيت انا وهو فقال يا اسماعيل
قلت لبيك يا امير المؤمنين فقال انظر الى البرامكة اغنيناهم وافقرنا اولادنا
واغفلنا امرهم فقلت في نفسي بلية والله ثم قلت لماذا يا امير المؤمنين قال
نظرت الى هؤلاء وغفلت عن هؤلاء لاني لا اعرف لاحد من اولادي
ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد على قرب هذه المدينة فكيف بما
هو لهم غير ذلك على غير هذه الطريق في سائر البلدان فقلت يا امير المؤمنين
انما البرامكة عبيدك وخدمك والضيعات واموالهم وكل ما يملكونه لك فنظر
الي نظرة جبار عنيد ثم قال ما عدّ البرامكة بني هاشم الا عبيدهم وانهم هم
الدولة وان لا نعمة لبني العباس الا والبرامكة انعموا عليهم بها فقلت امير
المؤمنين ابصر من غيره بخدمه ومواليه فقال والله يا اسماعيل انك لتعلم اني
قلت هذا وكاني اراك ان تعلمهم بكلامي فيتخذان لك عندهم يدا واني آمرك وان
تكتم هذا الامر فانه ما علم به احد غيرك وسوف بلغهم شيء مما جرى علمت انه ما
افشاه الا انت فقلت يا امير المؤمنين اعوذ بالله ان يكون مثلي يفشي سرك قال وكان
هذا القول اول ما ظهر من امر البرامكة ثم ودعته وانصرفت متفكرا في ايقاع
الحيلة عليهم فلما كان من الغد بكرت اليه وجلست بين يديه وكان في محل
يشرف على الدجلة من شرقي مدينة باب السلام ويوازيه منزل جعفر من الجانب
الغربي وكانت المواكب من جميع الاصناف من قائد وامير وعامل يردون في كل

يوم الى قصر جعفر فالتفت الى وقال يا اسماعيل هذا ما كنا فيه بالامس انظر كم على باب جعفر من الجيوش والغلمان والمواكب وانا ما على باب داري احد فقلت يا امير المؤمنين ناشدتك الله ان لا تعلق نفسك بشيء من هذا وان جعفرا انما هو عبدك وخادمك ووزيرك وصاحب جيوشك اذا لم يكن الجيش على بابه فعلى باب من يكون انما بابه من ابوابك فقال يا اسماعيل انظر الى دوابهم الست ترى اعجازهم الى قصري وتروث بازائنا ونحن ننظر اليها والله هذا هو الاستخفاف بعينه والله لا اصبرن على ذلك ثم غضب غضبا شديدا وامتلا غيظا فامسكت عن الكلام وقلت والله هذا قضاء من الله سابق وحكم لا محالة واقع ثم استأذنته في الانصراف ورجعت الى منزلي فلقيني جعفر في الطريق يريد الرشيد فتواريت عنه حتى مضى فدخل اليه وسلم عليه فاجلسه عن يمينه واكرمه غاية الاكرام وبش في وجهه وحادثه ساعة ووهب له خادما من خاصة خدمه وانبلهم واوضحهم وجها واكملهم ظرفا فاتيا حاسبا لبيبا فسر جعفر سرورا كاملا ووقع في قلبه اجل موقع وكان دسيسا عليه وبلية لديه برفع اخباره الى الرشيد ويحصى عليه انفاسه ساعة بساعة ووقتا بوقت فخلا به جعفر يومه ذلك وليلته واحتجب من اجله عن الناس فلما كان بعد ثلاثة ايام سرت الى جعفر فسلمت عليه فلما خلا مجلسه ولم يبق عنده غيري وذلك الخادم واقف وعلمت ان الخادم يحصي علينا اخبارنا فقلت ايها الوزير نصيحة افتأذن لي بالكلام قال تكلم وكان الرشيد ولاه كورة خراسان كلها وما يضاف اليها وينسب لها قبل هذا الكلام بايام وخلع عليه وعقد له لواء وعسكروا بالنهروان وضرب للناس مضاربهم بها وهم متأهبون للسفر فقلت يا سيدي انت عازم على الخروج الى بلدة كثيرة الخير واسعة الاقطار عظيمة المملكة فلو صيرت بعض ضياعات لولد امير المؤمنين لكان احظى لمنزلتك عنده فلما قلت ذلك نظر الي مغضبا وقال والله يا اسماعيل ما اكل الخبز ابن عمك او قال صاحبك الا بفضلي ولا قامت هذه الدولة الا بنا اما كفى اني تركته

لا يهتم بامر شئ من امر نفسه وولده وحاشيته ورعيته وقد ملات بيوت
امواله اموالا ولا زلت للامور الجليلة ادبرها حتى يمد عينيه الى ما ادخرته
واخترته لولدى وعقبى من بعدى وداخله حسد بنى هاشم وبغيهم ودب فيه
الطمع والله لئن سالنى شيئا من ذلك ليكونن وبالا عليه سريعا فقلت والله يا
سيدى ماكان مما ظننت شيئا ولا تكلم امير المؤمنين بحرف قال فما هذا الفضل
منك فقعدت بعدها هنيهة ثم قمت الى منزلى ولم اركب اليه ولا الى الرشيد
لانى صرت بينهما فى حال تهمة وقلت فى نفسى هذا الخليفة وهذا وزيره ولا يتولى
بالدخول بينهما ولا شك فى زوال نعمة البرامكة وان امورهم قد انثلمت قال و
حدثنى خادم ام جعفران الخادم الذى وهبه الرشيد لجعفر كتب الى الرشيد
بما كان بينى وبينه وما تكلم به من الكلام الغليظ قال فلما اقرا الكتاب وفهم
الخبر احتجب ثلاثة ايام متفكرا فى ايقاع الحيلة على البرامكة ندخل فى اليوم الرابع
على زبيدة فخلا بها وشكى لها ما فى قلبه واطلعها على الكتاب الذى رفعه
اليه الخادم وكان بين جعفر وزبيدة شر وعداوة قديمة قبل تملكت الحجة عليه
بالغت فى مكرهم واجتهدت فى هلاكهم وكان الرشيد يتبارك بشومها
فقال اشيرى على برأيك الموفق الرشيد فانى خائف ان يخرج الامر من يدى
ان تمكنوا من خراسان وتغلبوا عليها فقالت يا امير المؤمنين مثلك مع البرامكة
كمثل رجل سكران غريق فى بحر عميق فان كنت قد افقت من سكرتك وتخلصت
من غرقتك اخبرتك بما هو اصعب عليك واعظم من هذا بكثير وان كنت على الحالة
الاولى تركتك فقال لها قد كان ما كان فقولى لاسمع منك فقالت ان هذا
الامر قد اخفاه عنك عن برك وهو اصعب مما انت فيه واقبح واشنع فقال لها
ويلك وما هو فقالت انا اجل من ان اخاطبك به ولكن تحضر ارجوان الخادم و
تشدد عليه وتوهمه ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد قد احل جعفرا محلا
لم يحله اخوه ولا ابوه وامره ان يدخل على الحريم فى السفر والحضر وابرز اليه جواريه

واخواته وبناته لانه كان بينهما رضاع سوا امرأته زبيدة فانه لم يكن رآها ولا
دخل عليها ولا تقضى لها حاجة ولا هى ايضا تستقضيه حاجة فلما انسد قلب الرشيد
دبّر على هلاك البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة فحطت على جعفر
وكان جعفر يدخل على الحريم فى غياب الرشيد ويقضى حوائجهن لانهن لايستترن
منه وكان ذلك بامر الرشيد ولم يعلم الرشيد ماحدث من جعفر قال فخرج
الرشيد واستدعى بارجوان الخادم واحضر السيف والنطع وقال برئت من
المنصور ان لم تصدقنى فى حديث جعفر لاقتلنك فقال الامان يا امير المومنين
قال نعم لك الامان فقال اعلم ان جعفرا قد خانك فى اختك ميمونة وقد دخل بها
منذ سبع سنين وولدت منه ثلاث بنين احدهم له ست سنين والآخر له
خمس سنين والثالث عاش سنتين ومات قريبا والاثنان قد انفذ بهما
الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهى حامل بالرابع وانت اذنت له بالدخول
على البنات وامرتنى ان لا امنعه فى اى وقت شاء ليلا او نهارا قال امرتك ان
لا تحجبه فحين حدثت هذه الحادثة لم لا اخبرتنى اول مرة ثم امر بضرب
عنقه وقام من وقته على الفور ودخل على زبيدة وقال لها ارايتى ماعاملنى
به جعفر وما ارتكب من هتك سترى ونكس رأسى وفضحنى بين العرب والعجم
فقالت هذه شهوتك وارادتك عمدت الى شاب جميل الوجه حسن الثياب
طيب الرائحة جبار فى نفسه ادخلته على ابنة خليفة من خلفاء الله وهى احسن منه
وجها وانظف منه ثوبا واطيب منه رائحة لكنها لم تر رجلا قط غيره فهذا جزاء من
جمع بين النار والحطب فخرج من عندها سكرانا فنادى بخادمه مسرور وكان قاسى
القلب فظا غليظا قد نزع الله الرحمة من قلبه فقال يا مسرور اذا كان الليلة بعد
العتمة فأتنى بعشرة من الفعلاء اجلادا ومعهم خادمان قال نعم فلما كان بعد العتمة
جاء مسرور ومعه الفعلاء والخادمان فقام الرشيد وهم بين يديه حتى اتى
المقصورة التى فيها اخته فنظر اليها وهى حامل فلم يكلمها بشئ ولم يعاتبها على

ما فعلت وامر الخادمين بادخالها فی صندوق کبیر فی مقصورتها بعد قتلها ووضعها بحلیها وثیابها کما هی وقفل علیها وقد علمت انها بعد قتل رجوان لاحقة به فلما علم انه استوثق بها دعا بالفعلاء ومعهم المعاول والزنابیل فحفروا وسط تلك المقصورة حتی بلغوا الماء وهو قاعد علی کرسیه ثم قال حسبکم هاتوا الصندوق فدلوه فی تلك الحفرة ثم قال ردوا التراب علیه ففعلوا وسووا الموضع کما کان ثم اخرجهم وقفل الباب واخذ المفتاح معه وجلس فی موضعه والفعلاء والخادمان بین یدیه ثم قال یا مسرور خذ هؤلاء القوم واعطهم اجرتهم فاخذهم مسرور وجعلهم فی جوالق وخیط علیهم بعد ان ثقلهم بالصخر والحصی ورماهم فی وسط الدجلة ورجع من وقته فوقف بین یدیه فقال یا مسرور فعلت ما امرتك به قال وفیت القوم اجورهم فدفع الیه مفتاح البیت وقال احفظه حتی اسألك عنه وامض الآن فانصب فی وسط المحل القبة الترکیة ففعل ذلك ووافاه قبل الصبح ولم یعلم احد ما یرید فلما جلس فی مجلسه وکان یوم خمیس یوم موکب جعفر قال یا مسرور لا تتباعد عنی ودخل الناس فسلموا علیه ووقفوا علی مراتبهم ودخل جعفر بن یحیی البرمکی فسلم علیه فرد علیه السلام احسن رد وترحب به وضحك فی وجهه فجلس فی مرتبته وکانت مرتبته اقرب المراتب الی امیر المؤمنین ثم حدثه ساعة وضاحکه فاخرج جعفر الکتب الواردة علیه من النواحی فقرأها علیه وامر ونهی ومنع ونفذ الامور وقضی حوائج الناس ثم استأذنه جعفر فی الخروج الی خراسان فی یومه ذلك فدعا الرشید بالمنجم وهو جالس بحضرته فقال الرشید کم مضی من النهار قال ثلاث ساعات ونصف فاخذ له الارتفاع وحسب له الرشید بنفسه ونظر فی نجمه فقال یا اخی هذا یوم نحوسك وهذه ساعة نحس ولا اری الا انه یحدث فیها حدث ولکن تصلی الجمعة وترحل فی سعودك وتبیت فی النهروان تبکر یوم السبت وتستقبل الطریق بالنهار فانه اصلح من الیوم فما رضی جعفر بما قاله الرشید حتی

اخذ الاصطرلاب من يد المنجم وقام واخذ الطالع وحسب لطالع لنفسه وقال و
الله صدقت يا امير المؤمنين ان هذه الساعة ساعة نحس وما رايت نجما اشد
احتراقا ولا اضيق مجرى من البروج في مثل هذا اليوم ثم قام وانصرف الى منزله
والناس والقواد والخاص والعام من كل جانب يعظمونه ويجلونه الى ان وصل
الى قصره في جيش عظيم وامر ونهى وانصرف الناس عنه فلم يستقر به المجلس حتى بعث
اليه الرشيد مسرورا وقال له امض الى جعفر وائتني به الساعة وقل له وردت كتب من
خراسان فاذا دخل من الباب الاول اوقف الجند والثاني اوقف الغلمان والثالث
فلا تدع احدا يدخل معه من غلمانه بل يدخل وحده فاذا دخل في صحن الدار فمل به
الى القبة التركية التي امرتك بنصبها فاضرب عنقه وائتني براسه ولا تعلم احدا من خلق الله
على ما امرتك به ولا تراجعني في امره وان لم تفعل امرت من يضرب عنقك
ويأتيني براسك وراسه جملة وفي دون هذا كفاية وانت اعلم وتبادر قبل
ان يبلغه الخبر من غيرك فمضى مسرور واستأذن على جعفر فدخل اليه وقد نزع
ثيابه وطرح نفسه ليستريح فقال سيدي اجب امير المؤمنين قال فانزعج وارتاع
منه وقال ويلك يا مسرور انا في هذه الساعة خرجت من عنده فما الخبر قال
وردت كتب من خراسان يحتاج تقرأها فطابت نفسه ودعا بثيابه فلبسها
وتقلد بسيفه وذهب معه فلما دخل من الباب الاول وقف الجند وفي الثاني
اوقف الغلمان فلما دخل من الباب الثالث التفت فلم ير احدا من غلمانه ولا الخادم
الفرد فندم على ركوبه تلك الساعة ولم يمكنه الرجوع فلما صار بازاء تلك القبة
المضروبة في صحن الدار مال به اليها وانزله عن دابته ودخل القبة فلم ير فيها احدا
وفي رواية رأى فيها سيفا ونطعا فحس بالبلاء وقال لمسرور يا اخي ما الخبر
فقال له مسرور انا الساعة اخبرتك وفي منزلك تغنى اليك ويلك انت تدري ما القضية
وما كان الله ليهملك ولا ليخذل فقد امرني امير المؤمنين بضرب عنقك وحمل
راسك اليه الساعة فبكى جعفر وجعل يقبل يدي مسرور ورجليه ويقول يا اخي

یامسرور قد علمت کرامتی لك دون جمیع الغلمان والحاشیة وان حوائجك عندی مقضیة فی سائر الاوقات وانت تعرف موضعی ومحلی من امیر المؤمنین وما یوحیه الی من الاسرار ولعل ان یکونوا بلغوه عنی باطلا وهذه مائة الف دینار احضرلك بها الساعة قبل ان اقوم من موضعی هذا وخلنی اهیم علی وجهی فقال لاسبیل الی ذلك ابدا قال فاحملنی الیه واوقفنی بین یدیه فلعله اذا وقع نظره علی تدرکه الرحمة فیصفح عنی قال مالی سبیل الی ذلك ابدا ولا یمکننی مراجعته وقد علمت انه لاسبیل لی الحیاة ابدا قال فتوقف عنی ساعة وترجع علیه وتقول له قد فرغت مما امرتنی به واسمع ما یقول وعد فافعل ما ترید فان فعلت ذلك وحصلت لی السلامة فانی اشهد الله وملائکته انی اشاطرك فی نعمتی مما ملکته یدی واجعلك امیر الجیش واملکك امر الدنیا ولم یزل به وهو یبکی حتی طمع فی الحیاة قال له مسرور ربما یکون ذلك وحل سیفه ومنطقته واخذهما ووکل به اربعین غلاما من السودان یحفظونه ومضی مسرور ووقف بین یدی الرشید وهو جالس یقطر غضبا وفی یده القضیب لولعب ینکت به فی الارض فلما رآه قال له ثکلتك امك ما فعلت فی امر جعفر فقال یا امیر المؤمنین قد انفذت امرك فیه قال فاین رأسه قال فی القبة قال فأتنی برأسه الساعة فرجع مسرور وجعفر یصلی وقد رکع رکعة فلم یمهله ان یصلی الثانیة حتی سل سیفه الذی اخذه منه وضرب عنقه واخذ رأسه بلحیته فطرحها بین یدی امیر المؤمنین وهو یتخبب دما فتنفس الصعداء وبکی بکاء شدیدا وجعل ینکت فی الارض اثر کل کلمة ویقرع اسنانه بالقضیب ویخاطبه ویقول یا جعفر الم احلك محل نفسی یا جعفر ما کافأتنی ولا عرفت حقی ولا حفظت عهدی ولا ذکرت نعمتی ولا نظرت فی عواقب الامور ولا تفکرت فی صروف الدهر ولا حسبت تقلب الایام واختلاف احوالها یا جعفر خنتنی فی اهلی وفضحتنی بین العرب والعجم یا جعفر أسأت الی والی نفسك ولا تفکرت فی عاقبة امرك قال مسرور

وانا واقف بين يديه وهو ينكت فى الارض فى كل كلمة ولم يزل كذلك الى ان اذن لصلاة الظهر فدعا بماء فتوضأ للصلاة وخرج للجامع فصلى بالناس جماعة ثم الظهر وجهه لقصور جعفر ودوره وقبض على ابيه واخيه وجميع اولاد البرامكة و مواليهم وغلمانهم واستباح ما فيها ووجه مسرورا الى العسكر فاخذ جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك فلما اصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو الف انسان وترك من بقى منهم لا يرجع الى وطنه وشتت شملهم فى البلاد ولم يقدر واحد منهم على كسرة خبز وحبس اباه يحيى واخاه الفضل فى مطمورة وامر بجثة جعفر فصلبت على الجسر ببغداد ثم بعث الى خراسان ان يوطن بلادها وامر الناس فردوا مضاربهم ودخل العسكر واستقرت له الامور واحضر على بن عيسى بن ماهان فولاه خراسان ثم وجه الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فاتى بالصبيين ولدى جعفر من اخته ميمونة فادخلا عليه فى بيته فلما رآهما اعجب بهما وكانا فى نهاية من الحسن والجمال فاستنطقهما فوجد لغتهما مدنية وفصاحتهما هاشمية وفى الفاظهما عذوبة وبلاغة فقال لكبيرهما ما اسمك يا قرة عينى قال الحسن وقال للصغير ما اسمك يا حبيبى قال الحسين فنظر اليهما وبكى بكاء شديدا ثم قال يعز على حسنكما وجمالكما لا رحم الله من ظلمكما ولم يدر ما يراد بهما ثم قال يا مسرور ما فعل بالمفتاح الذى دفعته لك وامرتك بحفظه قال هو حاضر يا امير المؤمنين قال فأتنى به ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم وامرهم ان يحفروا فى البيت حفرة عميقا ودعا مسرورا وامره بقتلهما ودفنهما مع امهما فى تلك الحفرة رحمهم الله تعالى جميعا وهو مع ذلك يبكى بكاء شديدا حتى ظننت انه رحمهما ثم مسح عينيه من الدموع وامر ان لا تذكر البرامكة فى مجلس ولا يستعان بمن بقى منهم فى المدينة ابدا فخرجوا على وجوههم فى البلاد شاردين متنكرين وقطع الله دابرهم قال فلما كان بعد مدة من هلاك البرامكة وجد الرشيد رقعة تحت مصلاه

فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان صاحب السر علمها فبعث
اليه فسأله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا اعلم من طرحها
فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقي
من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في
الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد ان يهلكه وزاد في حديده
واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله ايضا
وكان قد نشأ في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد
يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم
الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين
من عبد اسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه
وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد
السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب بكاس الموت مترعه وافترش السخط
بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر
وليله دهر فقد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا امير المؤمنين قد
اصابتني مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك كان في يدي
عارية منك ولا بأس برد العواري الى اهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه جريرته
وعاقبته بما استخف من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحق واما الفقير فاذكر
يا امير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك فمن
مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد رجوت ان
افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وتلويح حجتي ففي
ذلك ما يكتفي به امير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه ويبلغ المراد منه ثم انشأ

يقول

قل للخليفة ذي الصنائع	والعطايا الفاشيه

وابن الخلائف من قريش … والملوك العاليه
راس الامور وخير من … ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذ … ين رموا لديك بداهيه
عمتهم لك سخطة … لم تبق منهم باقيه
فكانهم مما بهم … اعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم … خلع المذلة باديه
مستضعفون ومطرو … دون بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوزا … رة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها … فوق المنازل عاليه
اضحوا وجل مناهم … منك الرضا والعافيه
يا من يريد لي الردى … يكفيك ويحك ما بيه
يكفيك اني مستبا … ح لمعشر ونسائيه
يكفيك ما ابصرته … من ذلي وذل مكانيه
فلقد رايت الموت من … قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبيرة … والدموع الجاريه
ومقالها بتفجع … يا اسرتي وشقائيه
من لي وقد غلب الزمان … على جميع رجاليه
يا لهف نفسي لهفها … ما للزمان وماليه
او ما سمعت مقالتي … يا ذا الفروع الزاكيه
يا عطفة الملك الرضا … عودي علينا ثانيه

فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهرها هذه الابيات

يا آل برمك انكم … كنتم ملوكا عاتيه
فعصيتم وطغيتم … وكفرتم نعمائيه

هذی عقوبة من عصی		من فوقه وعصانیه
اجری القضاء علیکم		ما خنتموه علانیه
من ترک نصح امامکم		عند الامور البادیه

ثم اردفه بقوله تعالی (بسم الله الرحمن الرحیم) وضرب الله مثلا قریة کانت آمنة مطمئنة یأتیها رزقها رغدا من کل مکان فکفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما کانوا یصنعون فلما قراها یحیی وهو بالسجن اخذته الحمی لوقته وساعته وکان ینام علی التراب وایس من الحیاة وعلم انه لیس له مخلص مما هو فیه من السجن انتهی وقیل لیحیی ابن خالد بن برمک ایها الوزیر اخبرنا باحسن ما رایت فی ایام سعادتک قال رکبت یوما فی بعض الایام فی سفینة ارید التنزه فلما خرجت برجلی لاصعد فانکان علی لوح من الواحها وکان باصبعی خاتم فطار فصه من یدی وکان یاقوتا احمر قیمته الف مثقال من الذهب فتطیرت من ذلک ثم عدت الی منزلی واذا بالطباخ قد اتی بذلک الفص بعینه وقال ایها الوزیر لقیت هذا الفص فی بطن حوت وذلک لانی اشتریت حینا ما للمطبخ فشققت بطنها فرایت هذا الفص فقلت لا یصلح هذا الا للوزیر اعزه الله تعالی فقلت الحمد لله هذا بلوغ الغایة و قیل له اخبرنا ببعض ما لقیت من المحن قال اشتهیت لحما فی قدر طباخ وانا فی السجن فعزمت الف دینار فی شهوتی حتی اتیت بقدر ولحم مقطع فی قصبة فارسیة والخل وسائر حوائجها فی قصبة اخری وترکوا عندی ما احتاج الیه واتیت بنار فاوقدت تحت القدر ونفخت ولحیتی فی الارض حتی کادت روحی تخرج فلما نضجت ترکتها تفور وتغلی وفتیت الخبز وعمدت لانزلها فانفلتت من یدی وانکسر القدر علی الارض فبقیت التقط اللحم واصبح منها التراب واکله وذهب المرق الذی کنت اشتهیته وهذا اعظم ما مر بی انتهی ثم ان الرشید نذر الحج فخرج وخرج معه العسکر وکان خروجه فی رمضان فکانت

تضرب له السرادقات المكللة بالديباج مفروشة بالحرير يخرج من سرادق الى سرادق والناس محدقون به حتى وصل الى الحرم وحج فاتفق ان الوفاة دنت من يحيى وهو في السجن فكتب رقعة واوصى لولده الفضل ان يوصلها

(الى الرشيد وكتب فيها هذه الابيات)

ستعلم في الحساب اذا التقينا	غدا يوم القيام من الظلوم
وينقطع التلذذ عن اناس	من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا	تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد في دار المنايا	وكم قد رام غيرك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضي	وعند الله تجتمع الخصوم

قال فلما قدم الرشيد نفذها اليه الفضل فلما قرأها علم بموته فقال مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا فرجت عنه ثم امر باطلاق ابنه واستوزره مكان اخيه جعفر رحمة الله عليهم اجمعين قال بعضهم في

(البرامكة شعرا)

ان البرامكة الكرام تعلموا	فعل الكرام فعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا	لم يهدموا البنائهم اساسا
واذا هم صنعوا الصنائع في الورى	جعلوا لها طول البقاء لباسا
فعلام تسقيني وانت سقيتني	كاس المرارة من جنابك كاسا
أنستني متفضلا افلا ترى	ان القطيعة توحش الايناسا

وسئل اسحاق الموصلي عن سخاء اولاد يحيى بن خالد فقال اما الفضل فيفعله يرضيك

واما جعفر فيقول يرضيك	واما محمد فيفعل ما يجد

(وفي يحيى يقول القائل)

سالت الندا هل انت حر فقال لا	ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة	توارثها من والد بعد والد

وفي الفضل يقول القائل

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة	رايت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة	ولا بمكب في ثرى الارض ينكت

وفي محمد يقول القائل

سألت الندا والجود مالي اراكما	تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما	فقالا اصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته	وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا اقمنا كي نعزى بفقده	مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وذكر الحافظ السيوطي نفعنا الله به في رسالته منتهى العقول في منتهى النقول ان منتهى الكرم للوزراء البرامكة كادان لا يوجد احد من العلماء والحكماء والعظماء والندماء الا وللبرامكة عليه كرم نماء كنماء السماء وتكرم جعفر بخمسين الف دينار من الذهب تكرم منه كثيرا في ولايته كلها من غير من ولا اذى ولا لغرض ولا لمرض حتى صار يضرب بهم المثل الاكبر يقولون لهم تبرمك فلان ومن كرم جعفر انه تكرم في يوم على الف شاعر اعطى كل شاعر الف درهم والدرهم ثلاثة انصاف فضة ومن كرمه انه تكرم على من هجاه بخمسة الاف دينار وعفا عن تاديبه وتعذيبه ولما وقع بهم من الامر ما اوقع الرشيد صار امرهم الى ما سيوصف من الفقر والذل والاهانة فمن ذلك ما قاله محمد بن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيها قال دخلت على امي في يوم عيد اضحى فرايت عندها عجوزا في اطمار رثة واذا لها بيان ولسان فقلت لامي من هذه قالت هذه خالتك عتابة ام جعفر البرمكي ابن يحيى فسلمت عليها وقلت لها اصابك الدهر الى ما ارى قالت نعم يا بني ان الذي كنا فيه عارية ارتجعها الدهر منا قال فقلت حدثيني ببعض شانك قالت خذه جملة لقد مضى علي عيد اضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى راسي ربعمائة وصيفة وانا ازعم ان ابني عاق لي وقد جئتكم اليوم اطلب جلدي شاتين اجعل احدهما شعارا والاخر دثارا

قال فغمني ذلك وابكاني فوهبت لها بعض دنانير كانت عندي والله اعلم
ومن قول يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني ما دام قلمك يرعف فامطره معروفا
ومن كلام جعفر اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا
من غير سبب فتوق شره ٭ وقال يحيى بن سلام الابرش قال حدثني ابي قال
خرج الرشيد للصيد يوما بعدما اباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدران
بني برمك فرأى لوحا مكتوبا عليه هذه الابيات

يا منزلا لعب الزمان باهله	فاباد هم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم بك مرة	كان الزمان بهم يضر وينفع
اصبحت تفزع من رآك وطالما	كنا اليك من المهاول نفزع
ذهب الذين يعاش في اكنافهم	وبقي الذين حياتهم لا تنفع

قال فبكى الرشيد واقبل على الاصمعي وقال اتعرف شيئا من اخبار البرامكة
تحدثني به فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان فقال احدثك
بشئ شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى وذلك انه خرج يوما للصيد و
القنص وهو في موكبه اذا رأى اعرابيا على ناقة قد اقبل من صدر البرية
يركض في سيره قال هذا يقصدني فقلت ومن اعلمك قال لا يكلمه احد غيري
فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير الجم
الغفير وسمع الغوغاء والضجة ظن انه امير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم
اليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ٭ قال اخفض
عليك ما تقول فقال السلام عليك ايها الامير قال الآن قاربت اجلس فجلس
الاعرابي فقال له الفضل من اين اقبلت يا اخا العرب قال من قضاعة قال من ادناها
او من اقصاها قال من اقصاها قال الاصمعي فالتفت الى الفضل وقال كم من
العراق الى ارض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا اخا العرب مثلك من يقصد
من ثمانمائة فرسخ الى العراق لاي شئ قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين

قد اشتهر ميسرهم في البلاد قال من هم قال البرامكة قال الفضل يا اخا العرب
ان البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وخطير ولكل منهم خاصة وعامة فهل افردت
لنفسك منهم من اخترت لنفسك واتيته لحاجتك قال اجل قال اطولهم باعا
واسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا اخا العرب
ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا
العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم اعالم انت قال لا قال
افاديب قال لا قال افعارف انت بايام العرب واشعارها قال لا قال وردت على الفضل
بكتاب وسيلة قال لا فقال يا اخا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل
ابن يحيى وهو ما عرفتك عنه من الجلالة باى ذريعة او وسيلة تقدم عليه
قال والله يا امير ما قصدته الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف وبيتين من
الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا اخا العرب انشدني البيتين فان كانا يصلحان لان تلقاه بهما اشرت عليك بلقائه
وان كانا لا يصلحان لان تلقاه بهما بررتك بشيء من مالي ورجعت الى باديتك وان كنت لم تستحق
بشعرك شيئا قال افتفعل ايها الامير قال نعم قال فاني اقول

الم تر ان الجود من عهد آدم	تحدر حتى صار يمتطه الفضل
ولو ان اما مسها جوع طلفها	غذته باسم الفضل لاغتذى الطفل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر
واخذ الجائزة عليهما فانشدني غيرهما ما تقول قال اقول

قد كان آدم حين حان وفاته	اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم وترعيتهم	وكفيت آدم عولة الابناء

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل ممتحنا هذان البيتان اخذتهما
من افواه الناس فانشدني غيرهما ما تقول وقد مقتك الادباء بالابصار
وامتدت الاعناق اليك وتحتاج ان تناضل عن نفسك قال اذن اتوقف

ملكت جهابذ فضل وزن نائله	ومل كاتبه احصاه ما يهب

والله لولا انت لم يمدح بمكرمة	خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان ايضا اخذتهما من افواه الناس ما كنت قائلا قال اقول

وللفضل صولات على مال نفسه	يرى المال منه بالمذلة والعنا
ولو ان رب المال ابصر ماله	لصلى على مال الامير واذنا

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما ما تقول قال اذن اقول

ولو قيل للمعروف نادي اخا العلا	لنادى باعلى الصوت يا فضل يا فضل
ولو انفقت جدواك من بمل عاجل	لاصبح من جدواك قد نفد الوصل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقتا ايضا انشدني غيرهما ما تقول قال اقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل	واني لذاك الصب والباذل الفضل
على ان لي مثلا كما ذكر الورى	وليس لفضل في سماحته مثل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدني غيرهما ما تقول قال

اقول ايها الامير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد	فقامت به التقوى وقام به العدل
وقام به المعروف شرقا ومغربا	ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول انشدني بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول قال اذن اقول

الا يا ابا العباس يا واحد الورى	ويا ملكا خد الملوك له نعل
اليك الناس شرقا ومغربا	فرادى وازواجا كانهم نحل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدنا غير الاسم والكنية والقافية قال والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا لاقولن اربعة ابيات ما سبقني

اليهن عزنى ولا عجمى ولئن زادنى بعدها لاجمعن قوائم ناقتى هذه واجعلها
فى حرام الفضل وارجعن الى قضاعة خاسرا ولا ابالى فنكس الفضل رأسه وقال
للاعرابى يا اخا العرب سمعنى الابيات الاربعة قال افول

ولائمة لامتك يا فضل فى الندا	فقلت لها هل يقدح اللوم فى البحر
أتنهين فضلا عن عطاياه للغنى	فمن ذا الذى ينهى السحاب عن القطر
كان نوال الفضل فى كل بلدة	تحدرها هذا المزن فى مهمه قفر
كان وفود الناس فى كل وجهة	الى الفضل لاقوا عنده ليلة القدر

قال فاسلت الفضل عن فيه وسقط على وجهه ضاحكا ثم رفع رأسه وقال يا
اخا العرب انا والله الفضل بن يحيى سل ما شئت فقال سألتك بالله ايها
الامير انك لهو قال نعم قال له فاقلنى قال اقالك الله اذكر حاجتك قال عشرة
الآف درهم قال الفضل زدر بيت بنا وبنفسك يا اخا العرب نعطى عشرة الآف
درهم فى عشرة الآف وامر بدفع المال فلما صار المال لبيه حسده وزير الفضل
وقال يا مولاى هذا اسراف يأتيك جلف من اجلاف العرب بابيات استرقها
من اشعار العرب فتجز به بهذا المال فقال استحقه بحضوره الينا من ارض قضاعة
قال الوزير اقسمت عليك يا مولاى الا اخذت سهما من كنانتك وركبته فى كبد
قوسك واومات به الى الاعرابى فان رد عن نفسه ببيت من الشعر والا استعطف
مالك ويكون له فى بقصنه كفاية فاخذ الفضل سهما وركبه فى كبد قوسه وأوما
به الى الاعرابى وقال له رد سهمى ببيت من الشعر فانشا يقول

لقوسك قوس الجود والوتر الندا	وسهمك سهم العز فارم به فقرى

قال فضحك الفضل وانشا يقول

اذا ملكت كفى منالا ولم انل	فلا انبسطت كفى ولا نهضت رجلى
على الله اخلاف الذى قد بذلته	فلا مبق لى بخلى ولا متلفى بذلى
ارونى بخيلا نال مجدا ببخله	وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره اعط الاعرابي مائة الف درهم لقصيدته وشعره ومائة الف درهم لكفينا شر قوائم ناقته فاخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكاؤك يا اعرابي استقلالا بالمال الذي اعطيناك قال لا ولكني ابكي على مثلك يأكله التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال	ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر	يموت لموته خلق كثير

وتوجه الاعرابي بالمال مسرورا رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان الرشيد قال لابي نواس بعني ذقنك قال بكم قال بالف دينار قال بعتك فقال الرشيد لخازن داره ادفع له الف دينار فدفعها له فاخذها وربطها وقال يا امير المؤمنين خذ ما اشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة عندك قال فمضى ابو نواس واشتغل بامره ولهوه وهو خائف على ذقنه من امير المؤمنين قال فبينما هو متفكر في شئ يفعله اذ جاءه قاصد امير المؤمنين فلم يقدر ان يتكلم دون ان قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده في جمع كثير من خواص المملكة واعوان الدولة وكان من شانه ان يجلس بالقرب من امير المؤمنين فلما دار ثوا وتماجنوا فضرط ابو نواس ضرطة من عجيزة ان عجبت الحاضرين فضحكوا جميعا وضحك امير المؤمنين وقال له في ذقنك يا معرص فقال في الحال الله اعلم هي ذقن من فقال امير المؤمنين قد وهبتها لك يا ملعون فاخذها وانصرف وكسب الالف دينار بهذه الحيلة والله اعلم انتهى (وكان نصر بن مقبل) عاملا على الرقة فاتي برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة فقال له ما حملك على هذا فقال ايها الامير انها والله ملك يميني وقد قال الله تعالى او ما ملكت ايمانكم فاطلقه وامر ان تضرب الشاة الحد فان ماتت تصلب قالوا ايها الامير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالي انا فانتهى الى الرشيد خبره ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما حضر بين يديه قال من انت قال مولى لكلب فضحك منه ثم قال كيف بصرك بالحكم فقال يا امير المؤمنين

البهائم عندی والناس سواء ولو وجب حد علی بهيمة وكانت امی واختی لحدتهما ولم تأخذنی فی الله لومة لائم فامر الرشيد ان لا يستعان به علی عمل فلم يزل معطلا الی ان مات والله اعلم ويحكی ان هارون الرشيد امر بقتل ابی نواس فقال اتقتلنی شهوة لقتلی فقال لا بل انت مستحق للقتل قال فبم استحقيت القتل

قال بقولك

الا فاسقنی خمرا وقل لی هی الخمر	ولا تسقنی سرا اذا امكن الجهر

فقال له يا امير المؤمنين افتعلم انه سقانی وشربت فقال له امير المؤمنين اظن ذلك فقال يا امير المؤمنين افتقتلنی علی الظن وقد قال الله تعالی ان بعض الظن اثم فقال له الرشيد قد قلت ايضا ما تستحق به القتل فقال

ماهو فقال له قولك

ماجاءنا احد يخبر انه	فی جنة من مات او فی نار

فقال له يا امير المؤمنين هل جاءنا احد قال لا قال تقتلنی علی الصدق فقال له الرشيد اولست القائل

يا احمد المرتجی فی كل نائبة	قم سيدی نعص جبار السموات

فقال له يا امير المؤمنين اوصار القول فعلا قال لا اعلم قال افتقتلنی علی ما لا تعلم فقال له امير المؤمنين دع هذا كله فقد اعترفت فی مواضع كثيرة من شعرك بالزنا قال ابو نواس قد علم الله هذا قبل علم امير المؤمنين بقوله تعالی والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فی كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون فقال الرشيد خلوا عنه ومن هذا اخذ الصفی الحلی بقوله

لحن الذی جاء الكتاب مخبرا	بعفاف انفسنا وفسق الالسن

وعن محمد بن نافع قال رأيت ابا نواس فی النوم بعد موته فقلت يا ابا نواس فقال لات حين كنية فقلت الحسن بن هانی قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر الله لی بابيات قلتها فی علتی قبل موتی هی تحت الوسادة فسألت اهله

نقلت هل قال اخى شعرا قالو الانعلم الا انه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا
لاندرى ماهو وقد خلت ورفعت وسادته واذا انا برقعة مكتوب فيها

يارب ان عظمت ذنوبى كثرة	فلقد علمت بان عفوك اعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن	فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
مالى اليك وسيلة الا الرجا	وجميل عفوك ثم انى مسلم

(وهذه حكاية العجمى والكردى وماجرى بينهما على يد القاضى بسبب الجراب)

قيل ان الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة فاستدعى بوزيره جعفر البرمكى فلما حضر عنده قال له جعفر انى قلقت وضاق صدرى واريد منك شيئا يشرح خاطرى فقال له جعفر يا امير المؤمنين ان لى صديقا اسمه على العجمى وعنده من جميع الحكايات والاخبار فقال على به فقال سمعا وطاعة ثم ان جعفر اخرج من عند الخليفة فى طلب على العجمى فارسل خلفه فلما حضر قال اجب يا امير المومنين فقال سمعا وطاعة فاتى عند الخليفة فسلم وترحم فقال له الخليفة اجلس فجلس فقال له الخليفة اسمع يا على انى الليلة ضيق الصدر وقد سمعت عنك ان فى ذهنك حكايات واخبار اواريد منك ان تسمعنى مايزيل همى وفكرى فقال يا امير المؤمنين تريد ان احكى لك شيئا سمعته اورايته فقال ان كنت رايت شيئا فاحكه فقال سمعا وطاعة اعلم يا امير المؤمنين انى سافرت فى بعض السنين من بلدى الى هذه المدينة وهى بغداد وصحبتى غلام ظريف ومعه جراب نظيف فاودعنا اياه فبينما انا ابيع واشترى واذا انا برجل كردى ظالم معتد هجم على واخذ الجراب منى وقال هذا الجراب جرابى وكل مافيه قماشى وثيابى فقلت يا معشر الناس فداعنرانى الوسواس فقال الناس جميعا امضوا الى القاضى فمضينا الى القاضى وانا بحكمه راضى فدخلنا عليه وتمثلنا بين يديه فقال القاضى فى اى شئ جئتما فقال الكردى نحن خصمان قال ايكما المدعى فتقدم الكردى وقال ايد الله مولانا القاضى هذا الجراب جرابى وكل مافيه قماشى وثيابى وقد ضاع منى ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضى ومتى ضاع منك فقال الكردى

ضاع مني بالامس فقال القاضي ان كنت عرفته فصف لي ما فيه فقال الكردي ان
في جرابي هذا مرودين من لجين واكحالا للعينين ومنديلا لليدين وعشرتين
من هبنين وشمعدانين ومكنبين وطبقين وابريقين وصينية وطشتين و
قدرة ودستين ومغرفة ومعلقتين ومسلة ومرودين ومقلمة وعلبتين
وقعبا وقصعتين ومخدة ونطعين وجبة وفروتين وبقرة وعجلتين وعنزا و
شاتين ونعجة وخروفين وقطين ابلقين وجملا وناقتين وبقرة وثورين
ولبوة وسبعين ودبة وثعلبين ومرتبة وسريرين وطبقة وقاعتين ورواقا
ومقعدين ومطبخا ببابين وجماعة اكراد يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي
فما تقول انت يا علي فتقدمت يا امير المؤمنين وقد بهتني كلامه فقلت اعز
الله مولانا القاضي انا ما في جرابي الا دويرة خراب واخرى بلا باب ومقصورة
للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون بالكعاب وفيه عساكر و
اطناب ومدينة بصرى وبغداد وقصر كنعان بن شداد وكور وحداد وشبكة
صياد وعصا واوتاد وبنات واولاد والف قواد يشهدون ان الجراب جرابي
فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب وقال يا سيدنا القاضي جرابي هذا
معروف وكل ما فيه موصوف في جرابي هذا حصون وقلاع وقرى وضياع
وطابق للصراع وحوش وضباع ورجال يلعبون الطاب والرقاع وان في جرابي
هذا حجرة ومهرين وفحلا وحصانين ورمحين طويلين وسبعين وارنبين وسكينا
وخنجرين وحمارا وخليجين وكرما وجوخين وعشاري ومركبين وصاري وقرنين
وكوارا ودكانين ومنقلة ونردين وعجوزا وقحبتين وقوادا وشاطرين ومخنثا
وعلقين واعمى وبصيرين واعرج ومكسحين وعيارا وازعرين وجامعا ومدينتين
وديرا وكنيستين وقسيسا وشماسين وبتركا وراهبين وقاضيا وشاهدين
يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول انت يا علي فبادرت يا امير
المؤمنين وقد امتلأت غيظا وزدت في الحمق وقلت ايد الله مولانا القاضي ان في

جرابی هذا زرد خانات صفاح وخزائن سلاح والف کبش نطاح فی عشرین
مراح واربعین کلب نباح وبساتین وکروم عنب وتین وتفاح وصور واشباح
وقنانی واقداح وعرائس ملاح ومغانی وافراح وهرجا وصیاح وعبد فلاح
وانفاه نجاح ودبیقه صباح ومعهم سیوف ورماح وقسی ونشاب واصدقاء و
احباب وخلان واصحاب ومجلس للعتاب وندمان للشراب وطنبور مع رباب
ونایات وقنانی مصفوفات وصبیان ودایات واخثان معلمات وبنات مجلیات
وجواری مغنیات وجاریتان حبشیات وثلاثة هندیات واربعة بدویات و
خمسة رومیات وستة ترکیات وسبعة عجمیات وثمانیة قفجیات وتسعة
کرجیات وعشرة کلبیات والدجلة والفرات وشبکة وصیاد وقداحة وزناد
وارم ذات العماد والف جواد وقصر شداد بن عاد وخانات مع حمامات وقدوم
ونجار وخشبة مع مسمار وتاجر مع عطار ومزمار مع بیطار وعبد اسود بمزمار
ومقدم ورکبدار ومدن وامصار ومائة الف دینار وبواب وکسندار وامیر نوبة
وعلم دار والکوفة مع الانبار وعشرین صندوق ملأنة قماش ودکاکین نحاس و
حاصلات معاش وبرجان للحمام وغزة وعسقلان ومن دمیاط الی اسوان وفی ایوان
کسری وملک سلیمان ومن کوش نعمان الی ارض خراسان وبلخ واصبهان و
من الهند الی بلاد السودان وفیه اطال الله عمر مولانا القاضی قماش وغلائل
وعراضی وموسی یحد ماضی لیحلق ذقن مولانا القاضی ان حکم ان الجراب ما
هو جرابی فعند ذلک یا امیر المؤمنین حار القاضی مما سمع ثم قال اراکما الا شخصین
نحسین تلعبان بالقضاة والحکام لان ما وصفا لو اصفون ولا سمع السامعون
ما وصفتم فی هذا الجراب ما هذا الا بحر لیس له قرار ثم امر القاضی بفتح الجراب
ففتحه الکردی فاذا فیه خبز ولیمون وجبن وزیتون ثم انی رمیت الجراب قدام
القاضی والکردی ومضیت الی حال سبیلی فلما سمع امیر المؤمنین ذلک ضحک
حتی استلقی علی قفاه وقد زال همه وغمه واحسن جائزة علی العجمی وانصرف والله

اعلم (معن بن زائدة الشيباني) كان من الكرماء يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وكان عاملا بالبصرة فحضر على بابه شاعر واقام مدة يريد الدخول فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدام اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة اخذها وقرأها فاذا فيها

(هذا البيت مكتوب)

ايا جود معن ناج معنا لحاجتي	فليس الى معن سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشرة بدر فاخذها وانصرف فوضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط ينظر فيها ودعا بالرجل فامر له بمائة الف درهم فلما كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فتفكر الرجل وخاف ان يأخذ منه ما اعطاه فخرج من البلد بما كان معه فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد فقال معن والله هممت ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار الا

(اعطيته له وفيه يقول القائل)

يقولون معن لا زكاة لماله	وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم يجد في دياره	من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا	كانك تعطيه الذي انت سائله
هو البحر من اي النواحي أتيته	فلجته المعروف والبر ساحله
تعود بسط الكف حتى لو انه	اراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو ان ما في كفه غير نفسه	لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن دعني اهب الاموال حتى اعف الاكرمين عن اللئام ويروى أن معن بن زائدة خرج في جماعة يتصيدون فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصا مقبلا من البرية

علی حمار فرکب فرسہ فاستقبلہ فسلم علیہ وقال لہ من این اتیت قال اتیت من ارض قضاعۃ وان لی بہا ارضا لہا عدۃ سنین مجدبۃ وقد اخصبت فی ہذہ السنۃ فزرعتہا تشاء فطرحت فی غیر وقتہا فجمعت منہا ما استحسنتہ فقصدت الامیر معن بن زائدۃ لکرمہ المشہور ومعروفہ الماثور واحسانہ المذکور فقال لہ کم املت منہ قال الف دینار فقال لہ ان قال لک کثیر قال خمسمائۃ دینار قال ان قال لک کثیر قال ثلثمائۃ دینار قال فان قال لک کثیر قال مائتی دینار قال ان قال لک کثیر قال مائۃ دینار قال ان قال لک کثیر قال خمسین دینار قال ان قال لک کثیر قال فلا اقل من ثلاثین قال فان قال لک کثیر قال ادخل قوائم حماری فی حرامہ وارجع الی اہلی خائبا فضحک معن منہ وساق جوادہ حتی لحق بعسکرہ ونزل منزلہ وقال لحاجبہ اذا اتاک شیخ علی حمار بقثاء فادخل بہ علی فاتی بعد ساعۃ فلما دخل علی الامیر معن لم یعرفہ لہیبتہ وجلالتہ وکثرۃ خدمہ وحشمہ وہو متصدر فی دست مملکتہ والحفدۃ قیام عن یمینہ وشمالہ وبین یدیہ فلما سلم علیہ قال لہ الامیر معن ما الذی اتی بک یا اخا العرب قال املت الامیر واتیتہ بقثاء فی غیر اوانہا قال فکم املت فینا قال الف دینار قال کثیر قال خمسمائۃ دینار قال کثیر قال ثلثمائۃ دینار قال کثیر قال مائتی دینار قال کثیر قال مائۃ دینار قال کثیر قال واللہ لقد کان ذلک الرجل الذی قابلنی علی میشوم قال خمسین دینارا قال کثیر قال افلا اقل من ثلاثین قال فضحک معن وسکت فعلم الاعرابی انہ صاحبہ فقال یا سیدی ان لم تعطنی الثلاثین فالحمار مربوط بالباب ہا انا مع معن جالس فضحک معن حتی استلقی علی قفاہ ثم استدعی بوکیلہ وقال اعطہ الف دینار وخمسمائۃ دینار وثلثمائۃ دینار ومائتی دینار ومائۃ دینار وخمسین دینارا وثلاثین دینارا ودع الحمار مربوطا مکانہ فبہت الاعرابی وتسلم الفی دینار ومائۃ وثمانین دینارا رحمۃ اللہ علیہم اجمعین وقیل کان معن بن زائدۃ فی بعض صیودہ فعطش فلم یجد مع غلمانہ ماء فبینما ہو کذلک واذا بثلاث جوار قد اقبلن حاملات ثلاث قرب فسقینہ وطلب شیئا من المال مع غلمانہ فلم یجدہ فدفع لکل واحدۃ منہن عشرۃ اسہم من کنانتہ نصولہا من ذہب فقالت

احداهن ویلکن لم تکن هذه الشمایل الا لمعن بن زائدة فلتقل کل واحدة منکن شیئا من الابیات فقالت الاولی

یرکب فی السهام نصول تبر	ویرمی للعدا کرما وجودا
فللمرضی علاج من جراح	واکفان لمن سکن اللحودا

وقالت الثانیة

ومحارب من فرط جود بنانه	عمت مکارمه الاقارب والعدا
صیغت نصول سهامه من عسجد	کی لا یفوته التقارب والندا

وقالت الثالثة

ومن جوده یرمی العداة باسهم	من الذهب الابریز صیغت نصولها
لینفقها المجروح عند انقطاعه	ویشتری الاکفان منها قتیلها

وکان مع کرمه صاحب شهامة فمن ذلک انه سعی رجل فی افساد دولة المهدی وکان من الکوفة فعلم به فهدر دمه وجعل لمن دل علیه مائة الف درهم فاقام الرجل حینا مختفیا ثم ظهر فی مدینة السلام فبینما هو فی بعض الشوارع اذ رآه رجل من الکوفة فعرفه فاخذ بمجامع طوقه ونادی هذا طلبة امیر المؤمنین فبینما الرجل علی تلک الحالة وقد اجتمع حوله خلق کثیر اذ سمع وقع حوافر الخیل من ورائه فالتفت فاذا هو بمعن بن زائدة فقال یا ابا الولید اجرنی اجارک الله فوقف فقال للرجل الذی تعلق به ما ترید منه قال هذا طلبة امیر المؤمنین اهدر دمه وجعل لمن دل علیه مائة الف درهم فقال له معن دعه ثم قال یا غلام اردفه وکر راجعا الی داره فصاح الرجل معن حال بینی وبین من طلبه امیر المؤمنین ولم یزل صارخا الی ان اتی قصر المهدی فامر المهدی باحضار معن فاتته الرسل فدعا معن اولاده وممالیکه وقال لا تسلموا الرجل وواحد منکم بجیش ثم سار الی المهدی فدخل وسلم فلم یرد علیه ثم قال یا معن اتجیر علینا عدونا قال نعم یا امیر المؤمنین قال المهدی ونعم ایضا واشتد غضبه فقال معن یا امیر المؤمنین بالامس بعثتنی الی الیمن

مقدم الجيش فقتلت فی طاعتك فی يوم واحد عشرة الآف رجل ولی مثل هذا ايام كثيرة فما رايتمونی اهلا ان اجير رجلا واحدا استجار بی ودخل منزلی فسكن غضب المهدی وقال قد اجرنا من اجرت يا ابا الوليد قال معن فان رأی امير المؤمنين ان يصله بصلة يعلم منها موقع الرضی فان قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفا قال قد امرنا له بثلثين الف درهم قال يا امير المؤمنين ان صلات الخلفاء علی قدر جنايات الرعية قال قد امرنا له بمائة الف درهم قال عجلها يا امير المؤمنين فان خير البر عاجله فاحضر معن الرجل وقال له خذ صلة امير المؤمنين وقبل يده واياك ومخالفة خلفاء الله فی ارضه فما كل مرة تسلم الجرة فارسلها الناس مثلا واخذ الرجل المال واستغفر الله انتهی وكان معن لا يغيظ احدا ولا احد يغيظه فقال بعض الشعراء انا اغيظه لكم ولو كان قلبه من حجر فراهنوه علی مائة بعير ان اغاظه اخذها ولم يغظه دفع مثلها فعمد الرجل فذبح وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب يقع عليه ويفوح ولبس برجليه نعلين من جلد الجمل وجعل اللحم من خارج والشعر من ناحية رجليه وجلس بين يديه معن علی هذه الصورة المشروحة ومد رجليه فی وجهه وقال

انا والله لا ابدی سلاما	علی معن المسمی بالامير

فقال له معن السلام لله ان سلمت رددنا عليك وان لم تسلم ما عتبنا عليك فقال الشاعر

ولا انزل بلادا انت فيها	ولو خربت الشام مع الثغور

فقال له البلاد بلاد الله ان نزلت مرحبا بك وان رحلت كان الله فی عونك

فقال الشاعر

وارحل عن بلادك الف شهر	اجد السير فی اعلی القفور

فقال له مصحوبا بالسلامة فقال الشاعر

اتذكر اذ قميصك جلد شاة	واذ نعلاك من جلد البعير

فقال له اعرف ذلك ولا انكره فقال الشاعر

وتأوي كل مسطبة وسوق | بلا عبد لديك ولا وزير

(فقال له ما نسيت ذلك يا اخا العرب فقال الشاعر)

وتومك في الشتاء بلا رداء | واكلك دائما خبز الشعير

(فقال له الحمد لله على كل حال فقال الشاعر)

وفي يمناك عكاز قوي | تذود به الكلاب عن الهرير

(فقال له ما خفي عليك خبرها اذهي كعصا موسى فقال الشاعر)

فسبحان الذي اعطاك ملكا | وعلمك القعود على السرير

(فقال له بفضل الله لا بفضلك فقال الشاعر)

فعجل يا ابن ناقصة بمال | فاني قد عزمت على المسير

(فامر له بالف دينار فقال الشاعر)

قليل ما امرت به فاني | لأطمع منك بالشئ الكثير

(فامر له بالف دينار اخرى فقال الشاعر)

فثلث اذ ملكت الملك رزقا | بلا عقل ولا جاه خطير

(فامر له بثلثمائة دينار فقال الشاعر)

ولا ادب كسبت به المعالي | ولا خلق ولا رأي منير

(فامر له باربعمائة دينار فقال الشاعر)

فمنك الجود والافضال حقا | وفيض يديك كالبحر الغزير

فامر له بخمسمائة دينار ومازال يطلب منه الزيادة حتى استكمل الف دينار فاخذها وانصرف متعجبا من حلم معن وعما انتقاه منه ثم قال في نفسه مثل هذا لا ينبغي ان يهجى بل يمدح واغتسل ولبس ثيابه ورجع اليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له بان الحامل له على هجوه المائة بعير التي صار الرهن عليها في نظير اغاظته له فامر له بمائة بعير يدفعها في نظير الرهن وبمائة بعير اخرى لنفسه فاخذها

(وانصرف والله اعلم)

خلافة المأمون بن هارون الرشيد واسمه عبد الله

ومما وضع فى بطون الدفاتر * واستحسنته عيون البصائر * ونقلته الاصاغر عن الاكابر * ما رواه خادم امير المؤمنين * قال طلبني امير المؤمنين المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما لى احدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما اقول لك فانه بلغني ان شيخا يحضر ليلا الى آثار دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض انت وعلى ودينار حتى تردوا تلك الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتا فأتونى به قال فاخذتهما ومضينا حتى اتينا الخرابات فاذا نحن بغلام قد اتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب

ويقول هذه الابيات

ولما رأيت السيف جندل جعفرا	ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفى	عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له اجب امير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى اوصى بوصية فانى لا اوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى امير المؤمنين فقال حين رآه من انت وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله فى خرائب دورهم قال الخادم ونحن نستمع فقال يا امير المؤمنين ان للبرامكة ايادى خضرة عندى افتأذن لى احدثك بحالى معهم قال قل فقال يا امير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت الى بيع ما على رأسى ورؤس اهلى وبيتى الذى ولدت فيه اشاروا على بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى

دخلنا بغداد ونزلنا فى بعض المساجد ندعوت ببعض ثياب كنت اعددتها لاستتر بها فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لاشئ عندهم و دخلت شوارع بغداد سائلا عن البرامكة فاذا انا بمسجد مزخرف وفى جانبه شيخ باحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان وفى الجامع جماعة جلوس فطمعت فى القوم ودخلت المسجد وجلست بين ايديهم وانا اقدم رجلا واوخر اخرى والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى واذا الخادم قد اقبل ودعا القوم فقاموا وانا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد فدخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له وسط بستان فسلمنا وهو يعد نا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا بامرد نبت العذار فى خديه قد اقبل من بعض المقاصير وبين يديه مائة خادم متمنطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال مع كل خادم مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر وقد قرن به مثله من العنبر السلطانى فوضعوه بين يدى الغلام وجلس الى جنب يحيى ثم قال للقاضى تكلم وزوج ابنتى عائشة من ابن اخى هذا فخطب القاضى خطبة النكاح وزوجه وشهد اولئك الجماعة واقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا امير المؤمنين ملء كمى ونظرت واذا نحن فى المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر واذا بمائة واثنا عشر خادما قد اقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة على كل صينية الف دينار فوضعوا بين يدى كل رجل منا صينية فرايت القاضى والمشايخ يضعون الدنانير فى اكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم و يقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدى لا اجسر على اخذ الصينية فغمزنى الخادم فجسرت واخذتها وجعلت الذهب فى كمى والصينية فى يدى وقمت وجعلت التفت الى ورائى مخافة ان امنع من الذهاب فبينما انا كذلك الى ان وصلت الى صحن الدار ويحيى يلاحظنى فقال للخادم ائتنى بهذا الرجل فأتانى فقال ما لى اراك تتلفت يمينا وشمالا فقصصت عليه قصتى فقال للخادم ائتنى بولدى موسى فأتاه به فقال له يا بنى هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى ولده على يدى

وادخلني الى دار من دورہ فاكرمني غاية الاكرام واقمت عنده يومي وليلتي في اعظم سرور فلما اصبح دعا باخيه العباس وقال له الوزير امرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك واكرمني غاية الاكرام ثم لما كان من الغد تسلمني اخوه احمد ثم لم ازل في ايدي القوم يتداولوني على مدة عشرة ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني افي الاموات هم ام في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الى فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر الاخير رايت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الى مائة الف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق واقمت يا امير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس امن البرامكة انا ام رجل غريب فلما جاءتهم البلية ونزل بهم يا امير المؤمنين من الرشيد ما نزل اجحفني عمرو بن مسعدة والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل علي الدهر كنت في آخر الليل اقصد خرابات دورهم فاندبهم واذكر حسن صنعهم الي وابكي على احسانهم فقال المأمون علي بعمرو بن مسعدة فلما اتي به قال له تعرف هذا الرجل قال يا امير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم الزمته في ضيعته قال كذا وكذا فقال له رد اليه كل ما اخذته منه في مدته وافرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد احسنا اليك فما يبكيك قال يا امير المؤمنين وهذا ايضا من صنيع البرامكة لو لم آت خراباتهم فابكيهم واندبهم حتى اتصل خبري الى امير المؤمنين ففعل

بي ما فعل من اين كنت اصل الى امير المومنين قال ابراهيم بن ميمون فرايت
المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع
البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذكر انتهى قال اسحاق
دخلت يوما على المأمون في زمن الورد فقال لي يا اسحاق هل قلت شيئا في الورد
قلت اقول بسعادة امير المؤمنين وفكرت ساعة فلم تسمح قريحتي في ذلك الوقت
بشئ فخرجت من عنده وبقيت ليلتي ساهرا متفكرا فلم يفتح لي بشئ فلما اصبحت
غدوت الى دار الخلافة واذا غلام الفضل بن مروان على باب المأمون ومعه
سبع وردات على صينية فضة ينتظر الاذن في الدخول بها عليه فسألته المهلة
بها قليلا فامتنع فسألته ثانيا وقلت امهل قليلا ولك بكل وردة دينار فلجأته
الى ذلك فدفعت له سبعة دنانير واحببت ان لا يصل اليه الورد قبل وصول شعر
وخرجت اقصد الازقة لعلي اسمع شيئا من احد وينبعث خاطري ولو ببيت
واحد فبينما انا كذلك واذا انا برجل يغربل التراب وهو ينشد ويقول

اشرب على ورد الخدود فانه	اذهى واشهى فالصبوح يطيب
ما الورد احسن من تورد وجنة	حمراء جاد بها عليك حبيب
صبغ المدام بياضها فكأنه	ذهب بقالب فضة مضروب

فلما سمعته نزلت عن دابتي ودخلت مسجدا بالقرب منه وطلبته فلما اقبل سألته
ان يمليها علي فابى وقال ان اردت فاعطني بكل بيت عشرة دنانير فدفعتها
له واستمليتها منه ثم عدت انا وغلام الفضل بن مروان واذا بالمأمون يشرب
من وراء الستارة فلما جبيت العود قال لجواريه اسكتن فقد جاء اسحاق فقدم
ذلك الورد بين يديه وانشدت الابيات فسمعت الشهيق والنخير من وراء الستارة
ثم اخرج الى بدرة فيها عشرة آلاف درهم فاعدت الابيات فاخرج الى بدرة اخرى
فاعدت الثالثة فاخرج الي بدرة ثالثة فاخذت في غير الشعر فخرج الى خادم
قال يقول لك امير المؤمنين لو دمت على انشادك لدمنا على البدرة ولو الى الليل

انتهى من حلبة الكميت (وحكى) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال
دخلت الى مجلس امير المؤمنين ببغداد يوما وبين يديه رجل مكبل بالحديد
فقال لي يا عباس قلت لبيك يا امير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق
به واحتفظ عليه وبكر به الي في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت
جماعة حملوه ولم يقدر ان يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي اوصاني بها
امير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا ان يكون معي في بيتي فلما تركوه في
داري اخذت اسأله عن قضيته وحاله ومن هو فقال انا من دمشق فقلت جزى الله
دمشق واهلها خيرا فمن انت من اهلها فقال وعمن تسأل وقلت او تعرف
فلانا قال لي ومن اين تعرف ذلك الرجل فقلت له وقعت لي معه قضية فقال ما
كنت بالذي اعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض
الولاة بدمشق فنمت اهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالي خرج في زنبيل
من قصر الحجاج وهرب هو واصحابه وهربت في جملة القوم فبينما انا هارب
في بعض الدور واذا بجماعة يعدون فما زلت اعدو امامهم حتى تجاوزتهم
ومررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت يا هذا
اغثني اغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت لي زوجته ادخل
تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال
معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها حتى لم يبق سوى
تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا ها هو هنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا
وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وانا قائم ارجف ما تحملني رجلاي
من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم البث حتى
دخل الرجل فقال لا تخف فقد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة
ان شاء الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا فما زال يباشرني احسن معاشرة
واجملها وافرد لي مكانا من داره ولم يحوجني الى شيء ولم يفتر عن تفقد احوالي

فاقمت عنده اربعة اشهر في اتم عيش وارغده الى ان سكنت الفتنة وهدأت
وزال اثرها فقلت له اتأذن لي في خروج حتى اتفقد حال غلماني فلعلي اقف
منهم على خبر فاخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلماني فلم ار لهم اثرا
فرجعت اليه واعلمته بالخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يعرف من انا فقال لي
علام تعزم فقلت عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة ايام
تخرج فقلت له انك قد تفضلت علي هذه المدة ولك علي عهد الله انني لا انسى
لك هذا الفضل ولا وفينك مهما استطعت قال فدعا بغلام اسود وقال له انعل
الفرس الفلاني ثم جهز آلة السفر فقلت في نفسي ما اشك انه يريد ان يخرج الى
ضيعة له او ناحية من النواحي فاقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم
خروج القافلة جاء في السحر فقال يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة واكره ان تنفرد عنها
فقلت في نفسي كيف اصنع وليس معي ما اتزود به ولا ما اكري به مركبا ثم قمت
فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من افخر اللباس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءني
بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم لي غلاما وعلى كتفه صرتان وفوقهما
مرتبة السفر وسجادة من افخر ما يكون واعلمني بما في الصرتين انه خمسة آلاف
درهم وشد لي الفرس الذي نعله بسرجه ولجامه وقال لي اركب وهذا الغلام
الاسود يخدمك ويسوس مركوبك واقبل هو وامرأته يعتذران الي من التقصير
في امري وركب معي من يشيعني وانصرفت الى بغداد وانا اتوقع خبره لاني بعهدي له
في مجازاته ومكافاته واشتغلت مع امير المؤمنين فلم اقدر انفرغ الى ان ارسل
اليه من يكشف خبره فلهذا اسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال قد امكنك الله
من الوفاء له ومكافاته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة
تلزمك فقلت وكيف ذلك قال انا ذلك الرجل واما الضر الذي انا فيه فقد غير
عليك حالي وما كنت تعرفه مني ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الاسباب حتى اثبت
معرفته فما تمالكت ان قمت فقبلت رأسه ثم قلت له فما الذي صيرك الى ما أرى

قال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى بامك فنسبت الى و بعث
امير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد فاخذت انا وضربت الى ان اشرفت على
الموت وقيدت وبعث بى الى امير المؤمنين وامرى عنده عظيم وهو قاتلى لامحالة
وقد اخرجت من عند اهلى بلا وصية وقد تبعنى من ينصرف اليهم بخبرى وهو نازل
عند فلان فان رايت ان تجعل من مكافاتك لى ان ترسل من يحضره لى حتى اوصيه
بما اريد فان انت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافاة وقمت بوفاء عهدك
قال العباس فقلت يصنع الله خيرا ثم احضرحدادا فى الليل فك قيوده وازل ما كان
عليه من الانكال وادخله حمام داره والبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من
احضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال
على بفرس الفلانى والبغل الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة
من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا قال ذلك الرجل واحضر لى بدرة فيها عشرة
آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لعامله فى الشرطة خذ هذا الرجل
وشيعه الى حد الانبار فقال له ان ذنبى عظيم عند امير المؤمنين وخطبى جسيم
وان انت احتجبت بانى هربت بعث امير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فارد
واقتل فقال انج بنفسك ودعنى ادبر امرى فقال والله لا ابرح من بغداد حتى اعلم
ما يكون من خبرك فان احتجب لى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان
الامر على ما يقول فليكن فى موضع كذا وكذا فان انا سلمت فى غداة غد اعلمته وان
انا قتلت وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وانشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم
وتجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان
يثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم افرغ من صلاة
الصبح الا ورسل المامون فى طلبى يقولون يقول لك امير المؤمنين هات الرجل
معك وقم قال فتوجهت الى دار امير المؤمنين واذا هو جالس وعليه كآبة فقال
اين الرجل فسكت فقال ويحك اين الرجل فسكت فقال ويحك اين الرجل فقلت

يا امير المؤمنين اسمع مني ما اقول فقال لله علي عهد لئن ذكرت انه هرب لاضربن
عنقك فقلت لا والله يا امير المؤمنين انه ما هرب ولكن اسمع حديثي معه و
حديثه ثم شأنك وما تريد تفعله في امري قال قل فقلت يا امير المؤمنين
كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته اني
اريد ان افي له واكافئه على ما فعل معي وقلت انا وسيدي ومولاي امير
المؤمنين بين امرين اما ان يصفح عني وقد وفيت وكافأت واما ان يقتلني
فاقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا امير المؤمنين فلما سمع المامون الحديث
قال ويحك لا جزاك الله خيرا عن نفسك انه فعل بك ما فعل من غير معرفة
وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا الاغير لا عرفتني خبره فكنت اكافئه عنك
ولا اقصر بوفائي له فقلت يا امير المؤمنين انه هاهنا وقد حلف انه لا يبرح
حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون هذه منة
اعظم من الاولى اذهب الآن فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى اتولى مكافاته
عنك قال فاتيت اليه وقلت ليزل عنك حزنك ان امير المؤمنين قال كيت و
كيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء احد سواه ثم قام فصلى
ركعتين ثم اتيت به الى امير المؤمنين فلما مثل بين يديه اقبل عليه وادنى
مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء واكل معه وخلع عليه وعرض عليه اعمال دمشق
فاستعفى عنها فامر له المأمون بعشرة افراس بسروجها ولجمها وعشرة ابغال
بآلاتها وعشرة بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى
عامله بدمشق بالوصية به واطلق خراجه وامر بمكاتبته باحوال دمشق فصارت
كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي
يا عباس هذا كتاب صديقك والله اعلم (وحكى) عن اسحاق الموصلي انه قال
خرجت ليلة من عند المأمون متوجها الى بيتي فاحسست بالبول فعمدت
الى زقاق وقمت لئلا تمسح بالحيطان واذا بزنبيل كبير باربعة آذان ملبس دبياجا

فقلت ان لهذا سببا وبقيت متحيرا فى امره فحملنى السكر وقال لى اجلس فيه فجلست
فلما احس بى الذين كانوا يرقبونه جذبوه الى رأس الحائط فاذا انا باربع جوار
يقلن لى انزل بالرحب والسعة ومشت بين يدى جارية بشمعة حتى نزلت الى
دار ومجالس مفروشة لدار مثلها الا فى دار الخلافة فجلست فما شعرت بعد ساعة
الا بستور قد رفعت فى ناحية من الجدر واذا بوصائف يتمشين وفى ايديهن
الشمع وبعض مجامر يحرق فيهن العود بينهن جارية كأنها البدر الطالع فنهضت
وقالت مرحبا بك من زائر وجلست ثم سألتنى عن خبرى فقلت انصرفت من
عند بعض اخوانى وغرنى الوقت وحرقنى البول فعمدت الى هذا الزقاق فوجدت
زنبيلا معلقا فحملنى السكر على ان جلست فيه فان كان خطأ فالنبيذ اكسبنيه
قالت لا ضير وارجوا ان تحمد عاقبة امرك ثم قالت فما صناعتك قلت بزاز ببغداد
فقالت هل رويت من الاشعار شيئا قلت شيئا ضعيفا قالت فذاكرنا شيئا قلت ان للداخل
حشمة ولكن تبدئين انت قالت صدقت فانشدتنى شعر الجماعة من القدماء
والمحدثين من اجود اقاويلهم وانا مستمع لا ادرى م اعجب من حسنها ام من
حسن روايتها ثم قالت اذهب ما كان منك من الحصر قلت إى والله قالت
فان رايت ان تنشدنا فانشدتها شيئا للجماعة من القدماء مافيه مقنع فاستحسنت
ذلك ثم قالت والله ما ظننت ان يوجد فى ابناء السوقة هذا ثم امرت بالطعام
فاحضر فجعلت تقطع وتضع قدامى وفى المجلس من صنوف الرياحين وغريب
الفواكه ما لا يكون الا عند سلطان ودعت بالشراب فشربت قدحا ثم ناولتنى
قدحا ثم قالت هذا اوان المذاكرة والاخبار فاندفعت اذاكرها وقلت بلغنى ان كذا
وكذا وكان رجل يقال له كذا حتى اتيت على عدة اخبار حسان فسرت بذلك وقالت
كثر تعجبى ان يكون احد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هذه احاديث ملوك فقلت
كان لى جار يحادث الملوك وينادمهم واذا تعطل حضرت معه فربما حدثنى بما
سمعت فقالت لعمرى لقد احسنت الحفظ وما هذه الا قريحة جيدة واخذنا

فی المذاکرة اذا سکت ابتدأت انا حتی قطعنا اکثر اللیل و بخور العود یعبق و انا فی
حالة لو توهمها المامون لطار شوقا الیها فقالت انک من اظرف الرجال و ضوء الوجہ
بارع فی الادب و ما بقی الا شئ واحد قلت و ما ھو قالت لو کنت تترنم ببعض الاشعار
قلت و اللہ لقد بما کنت الفت بہ و لم ارزقہ و اعرضت عنہ و فی قلبی منہ حرارة و
کنت احب فی مثل ھذا المجلس شیئا منہ لتکمل لیلتی قالت کانک عرضت فقلت
و اللہ ما ھو تعریض قد بدأتی بالفضل و انت جدیر علی ذلک فامرت بعود فحضر
بصوت ما سمعت بحسنہ مع حسن ادبھا و جودة الضرب بالکمال الراجح ثم قالت
ھل تعرف ھذا الصوت و من غنی بہ قلت لا قالت الشعر لفلان و المغنی لاسحاق
ھذا جعلت فداک بھذہ الصفة قالت بخ بخ اسحاق بارع ھذا الشان فقلت سبحان
اللہ اعطی ھذا الرجل ما لم یعطہ احد قالت فکیف لو سمعت ھذا الصوت منہ ثم
لم نزل علی ذلک حتی اذا کان الفجر اقبلت عجوز کانھا دایة لھا فقالت ان الوقت قد
حضر فنھضت عند قولھا فقالت لتستر ما کنا فیہ فان المجلس فی الامانات قلت
جعلت فداک لم اکن احتاج الی وصیة فی ذلک فودعتھا و جاریة بین یدی الی باب
الدار ففتح لی فخرجت الی داری فصلیت الصبح و نمت فانتھی رسول المامون الی
فسرت الیہ و اقمت عندہ نھاری فلما کان العشاء تفکرت ما کنت فیہ البارحة و ھذا
شئ لا یصبر عنہ الا جاھل فخرجت و جئت الی الزنبیل فوجدتہ علی عادتہ فجلست
فیہ و رفعت الی موضع البارحة و اذا ھی قد طلعت فقالت لقد عاودت فقلت
و لا اظن الا اننی قد ثقلت و اخذ نا فی المحادثة مثل تلک اللیلة السالفة فی المذاکرة
و المناشدة و غریبا لغناء منھا الی الفجر فانصرفت الی منزلی فصلیت الصبح و
نمت فانتھی رسول امیر المؤمنین الی فمضیت الیہ و اقمت نھاری عندہ فلما کانت
العشیة توجہ الی خطایاہ و قال اقسمت علیک لتجلس حتی اجئ و احضر فما کان
حتی ان غاب و جالت وساوسی فلما تذکرت ما کنت فیہ ھان علی ما یحضی من
امیر المؤمنین فوثبت مبادرا و خرجت جاریا حتی اتیت الزنبیل فجلست فیہ

فرجعت الى مجلسى فقالت صديقنا قلت اى والله قالت اجعلها دار اقامة قلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاثة ايام فان رجعت بعد ذلك فانتم فى حل من دمى ثم جلسنا على ذلك الحال فلما قرب الوقت علمت بان المأمون لابد ان يسألنى فلا يقنع الا بشرح القصة فقلت لها اراك ممن يعجب بالغناء ولى ابن عم احسن منى وجها واظرف قدا واكثر ادبا واطيب ريحا وهو اعرف خلق الله بغناء اسحاق فقالت طفيلى وتقترح قلت لها انت المحكمة ثم قالت ان كان ابن عمك على ما تصف فما نكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت وذهبت فلم اصل الى دارى الا ورسل المأمون قد هجموا على وحملونى حملا عنيفا فوجدته قاعدا على كرسى وهو مغتاظ منى فقال يا اسحاق اخروجا عن الطاعة قلت لا والله قال فما قصتك اصدقنى قلت نعم فى خلوة فاومأ الى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له وعدتها بك قال احسنت فاطمأننا فى لذتنا ذلك اليوم والمأمون معلق القلب بها فما صدقنا ان جاء الوقت وسرنا وانا اوصيه واقول له تجنب واحذر ان تناديني باسمى قدامها او بحضرتها وغير ذلك وانا لك تبع وهو يقول نعم ثم سرنا الى عند الزنبيل فوجدناهما اثنين فقعدنا فيهما ورفعنا الى الموضع المعهود فحضرت واقبلت وسلمت فلما رآها المأمون بهت فى حسنها وجمالها واخذت تذاكره وتناشده الاشعار ثم احضرت النبيذ فشربنا وهى مقبلة عليه مسرورة به وهو اكثر فاخذت العود وغنت صوتا ثم قالت وابن عمك هذا من التجار واشارت الى قلت نعم قالت والله انكما لقريبان فلما شرب المأمون ثلاثة ارطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال يا اسحاق قلت لبيك يا امير المؤمنين قال غن هذا الصوت فلما علمت انه الخليفة نهضت الى مكان فدخلته فلما فرغت من الصوت قال انظر من رب هذه الدار فبادرت العجوز وقالت للحسن بن سهل فقال على به فغابت العجوز ساعة واذا الحسن قد حضر فقال له المأمون ألك ابنة قال نعم قال ما اسمها قال بوران قال أمتزوجة قال لا والله قال فانى اخطبها منك قال هى جاريتك وامرها اليك قال قد تزوجتها على نقد ثلاثين الفا

تحمل اليك صبيحة يومنا هذا فاذا اقبضت المال فاحملها الينا من ليلتنا قال نعم ثم
خرجنا فقال يا اسحاق لا توقف على هذا الحديث احدا فسترته الى ان مات المامون
فما اجتمع لاحد مثل ما اجتمع لي في تلك الاربعة ايام مجالسة المامون بالنهار وبوران
بالليل والله ما رايت احدا من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امراة تقارب
بوران فهما وعقلا والله تعالى اعلم اهـ من حلبة الكميت (وقيل كان المأمون
يوما ياكل مع ابيه الرشيد فلما فرغ جعلت جارية تصب الماء على يد الرشيد
فنظر اليها المامون واشار اليها كانه يقبلها فانكرت ذلك منه بعينها وابطأت في
الصب بقدر النظر الى المأمون فقال لها الرشيد لاي شيء صغى الابريق في يدك
فوالله لئن لم تصدقيني الحق لاضرب عنقك فقالت يا سيدي نظر الى عبد
الله المامون واشار الى كانه يقبلني فانكرت ذلك بعيني فنظر الرشيد الى المأمون
فسقط مغشيا عليه كانه ميت مما داخله من الخوف والفزع فاخذه وضمه
الى صدره وقال له يا عبد الله اتحبها قال اي والله يا امير المؤمنين فقال له هي
لك خذ بيدها وادخل بها الى هذه القبة قال ففعل فلما خرج الى الرشيد قال
له هل قلت في هذا شيئا قال نعم يا امير المؤمنين ثم انشد يقول

ظبي كنيت بطرفي	عن الضمير اليه
قبلته من بعيد	فاعتل من شفتيه
ورد اخبث رد	بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني	حتى قدرت عليه

(وعن ابي عبد الله التميمي) انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب
للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فاطلق
عنان فرسه وكان على سابق من الخيل فاشرف على نهر من ماء بحر الفرات
فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قائمة النهد كانها القمر ليلة تمامه وبيدها
قربة قد ملأتها من النهر ورفعتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل

وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا ابت ادرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها
قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية
من اي العرب انت فقالت انا من بني كلاب قال وما حملك ان تكوني من الكلاب
قالت والله لست من الكلاب وانما انا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون
بالسيف ثم قالت يا فتى من اي الناس انت قال اوعندك علم بالانساب قالت نعم
قال من مضر الحمراء قالت من اي مضر قال من اكرمها نسبا واعظمها حسبا وخيرها
اما وابا ممن تهابه مضر وتخشاه قالت اظنك من كنانة قال انا من كنانة قالت من اي كنانة قال
من اكرمها مولدا واشرفها محتدا واكرمها في المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخشاه
قالت والله انت من بني هاشم قال انا من هاشم قالت من اي هاشم قال من اعلاها
منزلة واشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخشاه قال فعند ذلك قبلت الارض و
قالت السلام عليك يا امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين قال فعجب
المأمون منها وطرب طربا شديدا ثم قال لاتزوجن بها لانها من اكبر الغنائم و
وقف حتى تلاحقته العسكر فنزل وارسل خلف ابيها وخطبها منه فزوجه بها وهي
والدة العباس والله اعلم (ومن محاسن الاخلاق) ما حكي عن القاضي يحيى بن
اكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع ان يصيح لغلام يسقيه
وانا نائم فينغص على نومي فرايته وقد قام يمشي على اطراف اصابعه حتى اتى موضع
الماء وكان بينه وبين الماء نحو ثلثمائة خطوة ثم رجع يمشي على اطراف اصابعه
حتى وصل الى الفراش الذي انا عليه فخطى خطوات لطيفة لئلا ينبهني حتى وصل
الى فراشه ثم رايته آخر الليل وقد قام يبول فقعد طويلا يحاول ان اتحرك فيصيح
للغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح بالغلام وتاهب للصلاة ثم جاءني وقال
كيف اصبحت يا ابا محمد وكيف مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك قال لقد
استيقظت للصلاة فكرهت ان اصيح للغلام فازعجك فقلت يا امير المؤمنين
لقد خصك الله باخلاق الانبياء عليهم السلام ووهب لك سيرتهم فهناك الله

بهذه النعمة وانما عليك فامر لي بالف دينار وانصرفت (وحدث سليمان الوراق) قال ما رايت اعظم حلما من المأمون دخلت عليه يوما وفي يده فص مستطيل من ياقوت احمر له شعاع قد اضاء له المجلس وهو يقلبه بيده ويستحسنه ثم دعا برجل صائغ وقال له اصنع بهذا الفص كذا وكذا واحلل فيه كذا وكذا وعرفه كيف يعمل به فاخذه الصائغ وانصرف ثم عدت الى المأمون بعد ثلاث فتذكره فاستدعى بالصائغ فاتى به وهو يرعد وقد انتقع لونه فقال المأمون ما فعلت بالفص فتلجلج الرجل ولم ينطق بكلام ففهم المأمون بالفراسة انه حصل فيه خلل فولى وجهه عنه حتى سكن جأشه ثم التفت اليه واعاد القول فقال الامان يا امير المؤمنين قال لك الامان فاخرج الفص اربع قطع وقال يا امير المؤمنين سقط من يدي على السندال فصار كما ترى فقال المأمون لا بأس عليك اصنع به اربع خواتم والطف له في الكلام حتى ظننت انه كان يشتهي الفص على اربع قطع فلما خرج الرجل من عنده قال اتدرون كم قيمة هذا الفص قلنا لا قال اشتراه الرشيد بمائة الف وعشرين الفا انتهى (ومن حلمه ايضا) قال يحيى كنت انا والمأمون يوما في بستان ند ورفيه فمشينا في البستان من اوله الى آخره وكنت مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني ان اكون في الظل وهو في الشمس فامتنع من ذلك حتى اذا رجعنا قال لي والله يا يحيى لتكونن في مكاني ولاكونن في مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس كما اخذت نصيبك منها فقلت والله يا امير المؤمنين لو قدرت ان اقيك من هول المطلع لفعلت ولم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت فانه لا خير في صحبة من لا ينصف (ومن حلمه ايضا) انه كان له خادم يسرق طاساته التي يتوضأ فيها فقال له المأمون اذا سرقت شيئا فأتني بما تسرقه فاشتريه منك فقال له الخادم اشتر مني هذه واشار الى التي بين يديه فقال بكم قال بدينارين قال على شرط

انك لا تسرقها قال نعم فاعطاه دينارين فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيئا لما رأى من حلمه والله اعلم (وروى) بعض اهل الادب ان فتى من اهل الكوفة قد فاق اهل زمانه فى الادب والبيان والفصاحة باللسان ناقدا فى صناعة حافظا للاقدار راويا للاشعار خبيرا بسير الملوك فى الايام السالفة بصيرا بالبحث عن امورهم فى الايام الآنفة حاذقا فى التصنيف فائقا فى التأليف صبيح الوجه مقبول المشاهد حلو الشمايل وكان مع ذلك لا يتوجه له وجه من العمل الا عارضه فيه عائق وحال دونه حائل وقدر سابق فبقى حينا من الدهر وقد برز فى القدر والمال والجاه من كان عنده فى الصناعة متاخر انضاق صدره وعيل صبره وضلت مقاليده فخرج الى بغداد واكترى فى بعض خاناتها منزلا واجمع رايه على ان يحمل نفسه على خطب هائل ليكون فيه هلكة او ملكة وتربص لذلك الى ان يرى وجها الى ان عزم امير المؤمنين المأمون ان يشرب يوما هو وصنوه المعتصم فامر المأمون بالاستعداد ليوم سماه ليخلو فيه مع الجوارى منفردين عن سائر الندماء فظهر خبرهما بذلك وعرف الناس ذلك اليوم الذى عزما عليه فعزم هذا الاديب المذكور على ان يتطفل فى ذلك على المأمون واخيه المعتصم فمضى الى اخوانه واصدقائه فاستعار من هذا قباء وجبة وزردية ومن آخر منطقة وخفا وسيفا ومن آخر برذونا ومن آخر ما يحتاج اليه من الطيب واستعد لذلك اليوم ودخل الحمام سحرا وتطيب ولبس وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عرف الامير انى رسول امير المؤمنين واستأذن لى عليه فسعى الحاجب عدوا حتى اخبر المعتصم فاذن له فلما دخل عليه وتمثل بين يديه قال له ياسيدى ان امير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك انسيت الوعد المتقدم اليك بالركوب لنخلو ونستريح يومنا هذا قال المعتصم لا والله ما نسيت ذلك ولكن تربصت ساعة ونمت نومة لاتقوى بذلك على انتصاب سائر النهار فقال الفتى فعجل الآن ايها الامير فانه امرنى ان لا افارقك حتى آتيه بك وامر المعتصم باسراج

مركوبه واسرع فى التأهب ولبس ثيابه وتطيب وركب وركب الفتى معه وللمعتصم لا ينكر
شيئا من كلام الفتى ويتأمل للطافته وهيئته ولم يتوهم الا انه من بعض خواص
المأمون واخذ الفتى يحدث المعتصم واقبل عليه بكليته ولم يتمكن من سؤاله
شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة فالقى الفتى نفسه عن دابته واخذ يمشي
بين يديه والحجاب لا ينكرون منه شيئا ويظنون انه من خدم المعتصم حتى نزل
المعتصم واخذ الفتى بركابه ودخل المجلس فلما استقر المعتصم فى مجلسه جلس الفتى
بين يديه وهو منهمك فى نوادره واخباره والمعتصم مصغ اليه تعجبا مما يسمع من
حسن كلامه واخبر المأمون ان المعتصم قد وصل ومعه رفيق لا يعرف من هو فقال
المأمون اخى قد عرف ان هذا المجلس اتفقنا عليه لا ينبغي ان يحضره احد من الناس
الا من هو عديل النفس وقد احسن اخى اذ جعل لنا ثالثا فان المجلس اذا لم يحضره
اكثر من اثنين تعطل لقيام احدهما الى الصلاة والى ما بد منه ثم خرج من ساعته
فرحا وليس له همة الا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قدره وعقله فلما
استقر على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع فى نفس المأمون نهض قائما فقبل
يد المأمون وعاد الى مجلسه واخذ فى نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن
اخباره وغرائب اشعاره كانه يغرف من بحر وهو مع ذلك يوهم المأمون انه من
خواص المعتصم فساعة يكنيه وساعة يسميه حتى غلب على قلب المأمون واظهر
الحسد لاخيه فى صحبة مثل هذا الغلام وكلامه وامر المأمون باحضار المائدة
فنصبت بانواع الطعام فاكلوا وغسلوا ايديهم ولمجلس الشراب انتقلوا وامر المأمون
باحضار الجوارى من غير ستارة فحضرن واخذن فى الغناء فما من صوت يمر الا و
الفتى عارف به وبالمغنى ومتى قيل وفيمن قيل فعز فى عين المأمون حتى
ملأ عينيه وتزايد حسده لاخيه فى صحبة مثل هذا الفتى بول ولم يجد للمدافعة
سبيلا فقام وهو متيقن انهما سيذكرانه وينواصفان امره وحاله اذ اخلا
المجلس فما هو الا ان غاب من بين ايديهما حتى قال المأمون لاخيه المعتصم يا ابا

اسحاق من صاحبك هذا فوالله ما رأيت رجلا قط اكثر منه ادبا ولا الطف هيئة ولا اشرف من شمايله فقال المعتصم والله ما اعلم من هو وانه جاء فی عسکر ابر سالة امیر المؤمنین فقال المامون سألتك بالله یا اخی اهو کذلك فقال ای والله الذی لا اله الا هو فقال المامون طفیلی ورب الکعبة وغضب وامر الجواری بالنهوض فنهضن واقبل الفتی راجعا فلما نظر الی خلو المجلس من الجواری والی تغیر وجه المامون وقف علی رأس المجلس واقبل بوجهه علی المعتصم وقال یا ابا اسحاق کانی بك قد اخذت فی نوع الزور والبهتان وهذا المجلس من المجالس التی لا تحمل المزاح وما هکذا وعدتنی ثم قال والله یا امیر المؤمنین ما بلیت من احد من الناس مثل ما بلیت من هذا الا انه دائما ابدا یعرضنی لمثل هذا واشباهه ویغری بی ویوقعنی فی کل ورطة ثم اقبل علی المعتصم وقال یا ابا اسحاق سألتك بالله امیر المؤمنین الا ما اعفیتنی من مداعباتك التی لا تحتمل وتؤدی الی مؤاخذة امیر المؤمنین ولم یزل یأتی بهذا وامثاله حتی شك المامون فی امره والتفت الی اخیه المعتصم وقال سألتك بالله یا اخی بحیاتی علیك الا ما اعلمتنی بحقیقة امره فقال المعتصم یا امیر المؤمنین برئت من ذمة الله ورسوله ومن حیاتك وولایتك ان کنت اعرفه او رأیته قط الا فی یومی هذا فقال الفتی کذب والله یا امیر المؤمنین لقد کنت معه دهری الاطول وفی موضع کذا وکذا وان هذا فعله معی ابدا فضحك المامون تعجبا وقال ادخل فدخل وامره بالجلوس فجلس ثم قال لك الامان ان صدقتنی فصدقه الحدیث علی وجهه فاعجب من حسن منطقه ولطف مدخله ودقیق نظره فامر باعادة الجواری الی مجلسهن فطربوا سائر یومهم فقال له المامون اخبرنی باعجب ما لحقك فی قدومك من الکوفة الی بغداد واجعله نظما ولا تکتم عنی شیئا فقال نعم

(شعر انشا بقول)

بینا انا راقد فی البیت مکتئبا	متفکر فی حصول الکد والقوت
ولیس فی البیت لی شیء الربه	وبی من الجوع ما یدنی الی الموت

اذا بصوت بباب الدار اسمعه	والاذن مصغية منى الى الصوت
ناديت من ذا الذى ارجوه لى فرجا	نادى انا فرج زن لى كرى البيت

فضحك المأمون حتى استلقى على فراشه ثم ضرب برجله الارض من شدة اعجابه
وقال ثم ماذا قال يا امير المؤمنين فخرجت فاذا هو صاحب الخان يطالبنى بالكراء
فوعدته بان يرجع الى مرة اخرى فمضى ومضيت على وجهى لا اعلم اين اتوجه فسألت
كل من لقيته من صديق لى كنت استأنس به فخطر على بالى بيتان من الشعر

في ذلك وهما

غريب الدار ليس له صديق	جميع سؤاله اين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شخص	كما يتعلق الرجل الغريق

فاشرفت يا امير المؤمنين على جارية كانها البدر ليلة كماله وهى تقول

ترفق يا غريب فكل حر	يمر بحالة سعة وضيق
وكل ملمة ان انت فيها	صبرت لها اتيح لها الطريق

ثم قالت خذ هذه فادفع بها فاقتك فوالله ما هى الا مواساة من قوت ورمت
الى صدرى بقرطاس واذا فيه عشرة دراهم فرجعت من فورى فوجدت
صاحب الكراء قائما على الباب فدفعت اليه خمسة دراهم واستعنت
بالباقى الى ان وقعت هذه القصة وهذا الامر الذى كلفنى وحملنى على

ما فعلت وانشا يقول

لم آت فعلا غير مستحسن	جهلا بفعل الاحسن الاملح
لكننى فى حالة اوجبت	ضرورة اتيان مستقبح

فاعجب المأمون امره واستحسنه وامر له بمائة الف درهم يصلح بها شأنه
والحقه بمراتب الخاصة ورفعت منزلته عنده وصار اقرب الناس اليه
وآخر خارج من عنده واول داخل اليه وسمى طفيلى المعتصم وانشد

للمأمون يوما يقول

كانت لقلبي اهواء مفرقة ... فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي
تركت للناس دنياهم و دينهم ... شغلا بذلك عن ديني و دنيائي
وصار يحسدني من كنت احسده ... وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

فاستحسن المامون الابيات وامر بكتبها على الستارة وصار الفتى اذ احضر يوم سرور المامون لم يكن للمأمون هم الا اقتراح هذه الابيات الى ان ينقضي المجلس ثم ان الفتى بعد ان حسنت حالته ارسل الى الدار التي اشرفت عليه منها الجارية فاذا هي لرجل من اهل بغداد من مباشريها وقد مات ولم يخلف ولدا سوى تلك الجارية وما مات حتى تضعضع حاله فاعلم المامون بذلك فامر بجلبها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى والجارية في نعمة عظيمة بقية عمرهما والله اعلم وسرق شاب سرقة فاتى به الى المامون فامر بقطع يده فتقدم لتقطع يده فانشد الشاب يقول

يدي يا امير المؤمنين اعيذها ... بعفوك ان تلقى نكالا يشينها
فلا خير في الدنيا ولا راحة بها ... اذا ما شمال فارقتها يمينها

وكانت ام الشاب واقفة على راسه فبكت وقالت امير المؤمنين انه ولدي و واحدي ناشدتك الله الا رحمتني و هديت لوعتي وجدت بالعفو عما استحق العقوبة فقال المأمون هذا احد من حدود الله تعالى فقالت يا امير المؤمنين اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التي تستغفر منها فرق لها المامون و عفا عنه وفي حياة الحيوان قال رايت في بعض المجاميع بخط بعض العلماء الاكابر ان المامون اشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما بيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المامون لبعض خدمه اذهب الى ذلك الرجل فانظر ما كتب واتني به فبادر الخادم الى الرجل مسرعا وقبض عليه وقال ما كتبت فاذا هو قد كتب هذين البيتين

يا قصر جمع فيك الشوم واللوم ... متى يعشش في اركانك البوم

يوما يعشش فيك البوم من فرحي	اكون اول من ينعاك مرغوما

ثم ان الخادم قال له اجب امير المؤمنين فقال الرجل سألتك بالله لا تذهب بي اليه فقال الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به فلما مثل بين يدي امير المؤمنين واعلم بما كتب فقال له المأمون ويلك ما حملك على هذا فقال يا امير المؤمنين انه لا يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الاموال والحلي والحلل والطعام والشراب والفرش والاواني والامتعة والجواري والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويعجز عنه فهمي واني يا امير المؤمنين قد مررت عليه الآن وانا في غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكرا في امري وقلت في نفسي هذا القصر عامر عال وانا جائع ولا فائدة لي فيه فلو كان خرابا ومررت به لم اعدم رخامة او خشبة او مسمارا ابيعه واتقوت بثمنه او ما علم امير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر

اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ	نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض له غير انه	يرجي سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون يا غلام اعطه الف درهم ثم قال هي لك في كل سنة ما دام قصرنا عامرا

(باهله مسرورا بدولته وانشدوا في معنى ذلك)

اذا كنت في امر فكن فيه محسنا	فعما قليل انت ماض وتاركه
فكم دحت الايام ارباب دولة	وقد ملكوا اضعاف ما انت مالكه

(ويحكى) انه تنبأ رجل في ايام المأمون فقال ليحيى بن اكثم القاضي يا يحيى امض بنا مستترين حتى ننظر الى هذا المتنبي والى دعواه فركبا في الليل مستترين ومعهما خادم حتى صارا الى بابه وكان مستترا بثوبه فاستأذنا عليه فخرج اليهما فقال من انتما فقالا رجلان يريدان ان يسلما على يديك قال ادخلا فدخلا وجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره فقال المأمون الى من بعثت قال الى الناس كافة قال أفيوحى اليك ام ترى في المنام ام ينفث في قلبك قال بل اناجى واكلم قال ومن يأتيك قال جبريل قال فمتى كان عندك قال الساعة قبل ان تأتياني بساعة

قال فما اوحى اليك قال وحى الى انه سيدخل عليك رجلان فيجلس احدهما عن يمينك والآخر عن يسارك والذى يجلس عن يسارك الوط خلق الله تعالى فقال له المأمون اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وكان يحيى يعزى الى ما قال عنه المتنبى انتهى ودخل ابو نواس على القاضى يحيى اكثم ودخل معه غلام جميل الوجه فقال الغلام هذا مر على وقبلنى كرها فافتتن به القاضى فانشد يقول

اذا كنت للتخميش والبوس كارها	فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا تظهر الاصداغ من تحت طرة	وتشهر منها فوق خديك عقربا

فلما سمع الغلام ذلك انشأ يقول

لقد كنت ارجو ان ارى العدل بيننا	فاعقبنى بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها	اذا كان قاضى المسلمين يلوط

ويحكى انه كان عند المأمون يوما فقال له المأمون وهو يعرض له

باللواط يا يحيى من ذا الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزناء ولا	يرى على من يلوط من باس

فقال له الذى يقول

ما ارى الجور ينقضى وعلى الامة وآل من بنى العباس

ويقال ان المأمون شرب يوما ومعه القاضى يحيى بن اكثم فمال الساقى على القاضى حتى وقع سكران فامر المأمون ان يلقى عليه الورد والرياحين حتى يدفن فيها كانه ميت وصنع بيتى شعر وقال للمغنية خذى العود وغنى

على رأسه فغنت وقالت

ناديته وهى حى لا حراك له	مزمل فى ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى	فقلت خذ قال كفى لا يواتينى

فاستيقظ يحيى لرنة العود والجارية تغنى البيتين فقام وقال

يا سيدى وامير الناس كلهم	قد جار فى حكمه من كان يسقينى

سقاني الراح لم يمزج سلافتها		حتى بقيت سليب العقل لا الدين

قال الواقدي كان ابراهيم بن مهدي ادعى لنفسه الخلافة بالري واقام مالكها سنة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وله اخبار كثيرة فمما حكاه قال لما دخل المأمون الري في طلبي اثقل على الطلب وجعل لمن دل علي واتاه بي مائة الف درهم فخفت على نفسي وتحيرت في امري فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما ادري اين اتوجه فدخلت بزقاق لا ينفذ فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون وخفت ان رجعت على اثري يعلموا بي فرأيت في صدر الزقاق عبدا اسود قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له اعندك موضع اقيم فيه ساعة من نهار قال نعم ففتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصير نظيفة وبسط ومخدات جلد ثم انه اغلق الباب علي ومضى فخفت ان يكون سمع الجعالة في حقي وانه عرفني ومضى ليدلهم علي فبقيت مثل الحبة في المقلاة ملتفا من الخوف فبينما انا كذلك اذ اقبل ومعه حمال حامل كل ما احتاج اليه من لحم وخبز وقدر جديدة وجرة وكيزان جدد ثم التفت الي وقال جعلني الله فداك انا رجل حجام وانا اعرف انك تنفر مني لما اتولاه من معيشتي فشانك بما لم تقع عليه يدي وكان لي حاجة الى الطعام فقمت وطبخت قدرا ما ظننت اني اكلت مثلها قط فلما قضيت اربي قال لي هل لك ان تشرب شيئا فانه يسلي الهم ويزيل الغم ويمهد للنفس الفرح قلت ما اكره ذلك رغبة في مؤانسته فاتى بقطرميز جديد واحضر لي نقلا وفاكهة في اواني جدد من فخار ثم قال بعد ذلك ان اذنت لي جعلت فداك ان اقعد بناحية منك وآتي بشراب فاشرب سرورا بك فقلت افعل ففعل وشرب ثلاثا ثم دخل الى خزانة له فاخرج عودا مصلحا ثم قال يا سيدي ليس من قدري ان اسألك ان تغني ولكن قد وجب على مروءتك حرمتي فان رأيت ان تشرف عبدك بان تغني لنفسك والعبد يسمع فافعل فقلت له ومن اين

لك انى احسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله انت اشهر من ذلك انت ابراهيم
ابن المهدى خليفتنا بالامس الذى جعل المأمون لمن يدل عليك مائة الف
درهم فلما قال ذلك عظمت مروته عندى و علمت ان نخوته اجل مما بذل فناولته

العود فاصلحته وقد مر بخاطرى ذكر اهلى و ولدى فقلت

وعسى الذى اهدى ليوسف اهله	واعزه فى السجن وهو غريب
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا	فالله رب العالمين قريب

فقال ياسيدى اجعل ما تغنيه مما اقتضيك اياه قلت نعم فقال غن لى

ان الذى عقد الذى انعقدت به	عقد المكاره فهو يملك حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة	فلعلها ان تنجلى فلعلها

فحسن عندى اقتراحه فشربت وشرب ثم قال غن لى

وراء مضيق الخوف متسع الامن	واول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا	خزائنه بعد الخلاص من السجن

ففرح وشرب وشربت وقال غن لى

اذا ما الحادثات بلغن النهى	وكان لهن تذوب المهج
وحل البلاء وقال العزا	ء فعند التناهى يكون الفرج

فغنيته وحسن فى نفسى اقتضاءه وانست به واستظرفته ثم قال ان رأيت
ياسيدى ان تأذن لى ان اغنى ما خطر ببالى وان كنت من غير اهل هذه
الصناعة فقلت يكون ذلك زيادة فى ادبك ومروتك فاخذ العود ثم قال

دستور ثم ضرب عليه وغنى يقول

شكونا الى احبابنا طول ليلنا	فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم	سريعا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى	جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما	نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فقلت والله ذهب عني كل ما كان عندي من الهلع وسألته يغني فغني يقول

تعيرنا انا قليل عدادنا	فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا	عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى الموت سبة	اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا	وتكرهه آجالهم فتطول

فوالله لقد اجاد وذهب عني كل ما كان من الفزع والجزع واستأنست به وداخلني من الطرب ما لا مزيد عليه وعاجلني النوم قبل اوانه فنمت ولم استيقظ الا بعد المغرب وجال نكري في هذا الحجام وادبه وظرفه وكيف غناؤه وادبه وارادته ان يسليني عما انا فيه اشارة الى تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره فقعدت وغسلت وجهي وايقظته واخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير ومصاغ لها قيمة فدفعتها اليه وقلت له انت في وداعة الله وحفظه فاني ماض عنك ان تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي اذا أمنت المزيد فاعادها على مبادرا وقال ياسيدي الصعلوك منا لا قيمة له عند اهل الرياسات ويظنون فيه الظنون الرديئة أفآخذ على ما وهبني الله من قربك وحلولك في منزلي ثمنا لا والله فالححت عليه فاخذ موسى له بيده وقال والله ان راجعتني لاجزن نفسي فخشيت عليه واخذت الخريطة واثقلني حملها فلما انتهيت الى باب الدار قال ياسيدي ان هذا الموضع اخفى لك من غيره وليس عندي في مؤنتك ثقلة فاقم عندي الى ان يفرج الله عنك فراجعته وسألته ان يكون منفقا من تلك الخريطة فلم يفعل وكان كل يوم يفعل بي مثل ما فعل في اليوم الاول فاقمت اياما في الطيب عيش واهناه ثم سئمت من الاقامة عنده وخشيت الثقل عليه فتركني ومضى يجدد لنا حالنا فلبست ثيابي وتزييت بزي النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف والفزع امر شديد ومشيت لاعبر الجسر واذا هو قد رش ورجل قائم فابصرني بعض من كان في خدمتي

من الجند فتعلق بي وقال طلبة امير المؤمنين فدفعته في صدره فوقع في الزلق و
صار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا
فوجدت بابا وامرأة واقفة بيه فقلت يا سيدة النساء احقني دمي فاني رجل خائف
فقالت ادخل فدخلت فاطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت
ليهدأ روعك فانه لا يعلم بك مخلوق ولو اقمت سنة ما عليك بأس واذا بالباب
يدق فخرجت وفتحت الباب فاذا هو صاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدوخ
الرأس ودمه يسيل على ثيابه فقالت له ما دهاك قال ان حديثي عجيب وامري
غريب ظفرت بالغني وانفلت من يدي قالت وكيف قال ابراهيم بن المهدي
لقيته فتعلقت به فدفعني فاصابني ما ترين من حالي ولو حملته الى امير المؤمنين
لاخذت منه مائة الف درهم قال فاخرجت له خرقا ودروا وفرشت له بعد
كبس جرحه فنام قليلا وطلعت وقالت لي اظنك صاحب القصة قلت نعم قالت لي
اني خائفة عليك ثم جددت لي الكرامة واقمت عندها ثلاثة ايام ثم قالت لي اني
خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على امرك فينم عليك فانج بنفسك فسألتها
امهالي الى الليل فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها واتيت
الى بيت مولاة فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتي وخرجت
كانها تريد كرامتي فتوجهت للسوق مظهرة الاهتمام للضيافة فظننت خيرا فلم
اشعر الا بابراهيم الموصلي بخيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني اليه فرأيت الموت
عيانا وحملت مثل ما انا الى امير المؤمنين فجلست مجلسا عاما وامر بادخالي عليه
فلما مثلت بين يديه سلمت عليه سلام الخلافة فقال لي لا سلمك الله ولا حفظك
ولا رعاك فقلت يا امير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى
ومن تناوله يد الاقتدار بما مد له من اسباب الرجاء صار من معه عادية الدهر
وقد جعلك الله فوق خلقه واصبح عفوك فوق كل ذي عفو فان تأخذ فبحقك

(وان تعف فبفضلك وانشدت اقول)

ذنبي اليك عظيم ... وانت اعظم منه
فخذ بحقك او لا ... فاصفح بحلمك عنه
ان لم اكن في فعالي ... من الكرام فكنه

قال فرفع راسه الي فقلت مستدرا

اتيت ذنبا عظيما ... وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن ... وان جزيت فعدل

قال فرق المأمون واسترجع فرايت روائح الرحمة في شمايله ثم اقبل على اخيه ابي اسحاق محمد المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته وقال ماترون في امره فاشار الكل بقتلي الا انهم اختلفوا في القتل فقال المأمون لاحمد بن ابي خالد ماتقول يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته فقد وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت لم نجد مثلك في العفو فنكس المأمون رأسه الى الارض وجعل يخط في الارض باصبعه ثم رفع رأسه وقال

قومي هم قتلوا اميم اخي ... فاذا رميت يصيبني سهمي

ثم قال المأمون لا بأس عليك يا عم فقلت ذنبي يا امير المؤمنين اعظم من ان انوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معه بشكر

ولكن اقول شعرا

ان الذي خلق المكارم حازها ... في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة ... وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدني ... اسبابها الا بنية طائع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله ... عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت اشبالا كافراخ القطا ... وحنين والده بقلب جازع

فقال المأمون لا تثريب اليوم عليك قد عفوت عنك ورددت عليك مالك

وضياعك فانشدت اقول

وقيل رد مالى قد حقنت دمى	رددت مالى ولم تبخل على به
نعم الحيا تان من موت ومن عدم	امنت منك وقد خولتنى نعما
والمال حتى اسل النعل من قدمى	فلو بذلت دمى ابغى رضاك به
انى الى اللوم اولى منك بالكرم	وان جحدتك ما اوليت من نعم

فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وامر لى بمالى وخلع على وقال يا عم ان ابا اسحاق والعباس اشارا بقتلك فقلت انهما نصحاك يا امير المؤمنين ولكن فعلت ما انت اهله ودفعت ما خفت انا بما رجوت فقال المأمون لقد مات حقدى بحياة عذرك وقد عفوت عنك ثم سجد المأمون طويلا ثم رفع رأسه ثم قال يا عم اتدرى لم سجدت قلت له شكرا لله تعالى على ما اوقع على وملكك اياى فى يدك تفعل بى ما تشاء فقال اخطأت ولكن شكرا لله تعالى على ما الهمنى من العفو عنك من قبل نفسى ثم قال واعظم من عفوى عنك انى لم اجرعك مرارة امتنان الشافعين فحدثنى بما كان من امرك فحدثته لما جرى لى مع الحجام والجندى وزوجته والمولاة التى سلمتنى فأمر المأمون باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزة فلما حضرت قال لها المأمون ما حملك على ما فعلت من تسليمك ابراهيم مع انعامه عليك قالت رغبة فى المال قال هل لك من ولد او زوج قالت لا فامر بضربها مائة سوط وامر بتخليدها فى السجن ثم احضر الجندى وامرأته والحجام فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل قال رغبة فى المال فقال انت اولى بان تكون حجاما من ان تكون خداما ووكل من يلزمه الجلوس فى مكان الحجام ليتعلم الحجامة واحسن الى امرأة الجندى وجعلها قهرمانة قصره وقال هذه امرأة اديبة تصلح للمهمات وسلم للحجام دار الجندى وما فيها وخلع عليه واثبته برزقه فى الديوان وزيادة الف دينار فى كل سنة ولم يزل كذلك الى ان مات والله اعلم (وعن محمد بن عبد الله التميمى) قال حدثنا احمد بن محمد

الحريرى قال كان لحمنة بنت عبد الرحمن الهاشمى من الاموال مالا يسعه
الديوان ولا تأكله النيران لكثرته وكانت ادب نساء بنى هاشم وافصحهن
لسانا وافولهن شعرا فدخلت على المأمون يوما وكانت تحبه غاية الحب
سرا وكان المأمون جالسا فى ايوان قد ابتدعه لم يبتدعه احد من الخلفاء
قبله وكان قد تنوق فى بنائه وكان فيه من كل صورة فى البر والبحر ممثلة
من الذهب والفضة وقد فرشه ببساط من الديباج الاصفر واسبل عليه
ستورا من الحرير الصينى وقد اقام فيه اربعمائة وصيفة بقراطق الحرير و
قلانس الوشى بطرر وشعور واصداغ وهن بقد واحد لا تزيد الواحدة منهن
على الاخرى اقام مائتين عن يمينه ومائتين عن يساره * فقال يا حمنة هل
كان لابيك اولبعلك او لاحد من الخلفاء مثل هذا الايوان مع فرشه و
مثل هؤلاء الجوارى مع زينتهن فقالت يا امير المؤمنين متعك الله وعمر
بك فلقد اوتيت ملكا عظيما لسنا أهله لنر فهك وشرفك فان اجبت خادمتك
حمنة اجلستك فى مجلس لم تجلس فى مثله قط واصادتك صيدا لم تصد مثله
قط واسقيتك شرابا لم تشرب مثله قط وكان عنده يحيى بن اكثم فقال
لها يا حمنة قد اجبتك الى ما سألتينى ولكن لا ينفعنى ولا يهنينى ذلك الا بمشهد
من يحيى بن اكثم فانه لا يطيب لى مجلس الا به فقالت نعم يا امير المؤمنين ثم ضربت
بيدها الى جيبها فاخرجت منه مخرنة من ذهب احمر محشوة مسكا اذفر ودفعتها
الى يحيى وقالت يا يحيى ان الاجير لا يعمل حتى يستوفى اجرته وهذه اجرتك منى
فكن مستحثا الى امير المؤمنين غدا عند الزوال فى المسير الى منزل خادمته
فقال حبا وكرامة ثم خرجت من عنده فهيأت ما تحتاج اليه للمأمون وغيره
فلما كان من الغد جلس المأمون فى مجلس السلام فلما زالت الشمس وصارت
فى كبد السماء قال يحيى يا امير المؤمنين الحاجة التى عرضت عليك بالامس ففطن
المأمون لذلك وقام من مجلسه ولبس ثياب التجار ولبس يحيى مثل ذلك وسرعا

بجاريتين مصريتين بغاشيتين وركباهما حتى اتيا دار حمزة فدقا الباب دقا خفيفا فسمعته فاقبلت بنفسها حتى فتحت الباب واقبلا يمشيان جميعا حتى انتهوا الى بيت في بستان قد حمل على اربعة اعمدة من الرخام الاحمر المنقوش واذا في صدر البيت ثلاثة اسطر منقوشة بالدر وصنوف الجوهر وهي

ماسرني ان فؤادي ولا	ان لساني يوما خلا
وان لي ملك بني هاشم	يجيء الى اوان اولا
ان لم ارا الدنيا مالكي	تاتي الى كن امقبلا
ياسائلي دوحي بلا علة	انت المعافى وانا المبتلا

فقال المأمون يا يحيى ما ملات احد من الخلفاء مثل هذا البيت واذا فرشه ارمني محفور منقوش باللآلى واذا فوق الارمني مطارح من الديباج الاخضر حشوها حواصل الوبش وفي البيت المسك والعنبر والكافور والصندل والزعفران والند والعود مصفوف في اواني الذهب والفضة وهي تلوح منه روائح لايدري ماهي من طيبها ثم اخرجتهما الى اربعة ميادين فيها انواع الرياحين حول البيت فقال ان هذا لاسحر يؤثر ثم دعت لهما بمائدة من الجزع اليماني قوائمها منها قطعة واحدة فوضعت وقدمت عليها الالوان الغريبة فقال المأمون ما طعمت مثل هذا الطعام قط ثم دعت بالطشت والابريق فغسلا ايديهما ثم امرت فقدما اليهما قناني الزجاج الشامية المرتفعة الصافية والبلور فيها شراب قد اتت عليه الايام والاعوام فهي تحكي الهوى لرقتها والياقوت لحمرتها والزنجبيل لحدتها ووضعت بين ايديهما مع اقداح وانطال تشاكل ذلك فقال المأمون والله ما رايت مثل هذا قط ثم اخرجت جاريتين عليهما جباب الوشي الكوفي المنسوج بالذهب ورؤسهما مقانع رشيدية وتيجان من الذهب مكللة بالجوهر فجلسا وفي حجريهما العيدان المبسوطة الموزونة فحركتا الاوتار وغنتا بصوت شجي مليح من انواع الاغاني

وغرائب الاصوات فقال المأمون هذه الجنة مما نرى فيها من غرائب الطيب والجوهر
فقال يحيى وقد بقي لنا يا امير المؤمنين شرط آخر فقال وما هو يا يحيى قال
الصيد يا امير المؤمنين قال صدقت يا يحيى ثم قال يا حمنة ما فعل الصيد فقالت
قوما اليه فقام المأمون ويحيى حتى دخلا بستانا لم ير مثله وقد كانت زينت
البستان باحسن ما تقدر عليه واتخذت فيه الوان الطيور من الفاختة والقمري
والهزار والطواويس فكانت الاطيار تغني من رؤس الاشجار وتغرد بالسرور
الاجهار وقد كانت زينت مائة جارية نواهد ابكار ابطر وشعور وخدود
ومباسم ساطعات الانوار ترى كل واحدة منهن ابهى من صاحبتها واحسن
وعليهن من الوان الثياب ما يعجز عنه الوصف وفي اوساطهن مناطق الذهب
الاحمر وتقدمت اليهن وقالت لهن اذا رأيتن المأمون ويحيى تعادين ما بين
الاشجار فلما دخل المأمون ويحيى البستان فعلن ما كانت امرتهن فتضاعف السرور
على المأمون واعجب المأمون بذلك عجبا شديدا ثم قال ليحيى هذا الصيد
فقال يا امير المؤمنين رايت فيه فقال المأمون لو كان لنا كلب لاصطدنا هؤلاء
فقال يحيى انا كلبك يا امير المؤمنين فعدا المأمون ويحيى فاصطادا منهن صبية فقالت
حمنة سألتك بحق اجدادك الا ما خليت عن الجواري لا انجلي الخجل بهن عليك وقد فهمت
المعنى فيه وقد كانت حمنة تغار على المأمون فخلى عن الجواري وقال ليحيى دونك
والصيد اذن انت محل فقال يحيى لو كان لي كلب لاصطدت من هؤلاء فقال المأمون
انا كلبك فضحك يحيى وضرب بقلنسوته الارض فعدا خلفهن فاخذ منهن خمسة
فقالت حمنة يا يحيى لك الخمسة ولا غيرة لي عليك وانما اغار على المأمون لحاجتي اليه
فقال يحيى والله يا امير المؤمنين لقد رايت الهوى الغالب في حماليق عينيها ولا تتم
لنا النعمة الا بتزويجك اياها ان رايت ذلك فقال المأمون انا بريء من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومتبرئ من جدنا العباس ان ذهبت من البستان ولم اتزوجها
ثم قال يا يحيى اخطب خطبة النكاح فخطب يحيى وامهرها المأمون الفا الف دينار

واقطعها مائة من منتخبات الضياع فحمدت حمدونة الله سرورا بما ظفرت من تزويج المأمون اياها وامرت ليحيى بعشرة الآف دينار ورجع المأمون الى منزله وزفت اليه فى تلك الليلة فواقعها فحملت بالعباس ابنه انتهى (وحكى) ان المأمون كان مشغوفا بحب جارية يقال لها نسيم وكانت ذات عقل وادب وفضل وكمال وكان لا يفارقها فى الحضر ولا فى السفر ثم بعد ذلك مال الى جارية اخرى احسن منها و اعرض عنها فاغتمت ولم تجد حيلة فى استعطافه وكانت ربت جارية رومية احسن منها فى العقل والادب وكتمت امرها عن المأمون فاتفق ان المأمون حصل له بعض ضعف ففصد فحصل له الشفاء فجعل الناس يدخلون اليه باصناف التحف والهدايا فاهدت اليه نسيم الجارية المذكورة ومعها جام بلور وغطته بمنديل دبيقى مكتوب عليه بالذهب هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغى صحة	البسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الجام ياسيدى	مستمتعا فى هذه الجاريه
واجعل لمن اهداكها زورة	تحظى بها فى الليلة الثانيه

فاعجب المأمون ما راى من الجام والجارية ثم بعث لها يقول نعم وفى هذه الليلة ثم رضى على نسيم ووصلها بعد ذلك (وحكى) ان المأمون مر يوما على زبيدة ام الامين فرآها تحرك شفتيها بشئ لا يفهمه فقال لها يا اماه اتدعين على لكونى قتلت ابنك وسلبته ملكه قالت لا والله يا امير المؤمنين قال فما الذى قلتيه قالت يعفينى امير المؤمنين فالح عليها وقال لابد ان تقوليه قالت له قلت قبح الله اللجاج قال وكيف ذلك قالت لانى لعبت يوما مع امير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضى فغلبنى فامرنى ان اتجرد من اثوابى واطوف القصر عريانة فاستعفيته وبذلت له اموالا لا تحصى فلم يعف عنى فتجردت من اثوابى وطفت القصر عريانة وانا حقدة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فامرته ان يذهب الى المطبخ فيطأ اقبح جارية واشوهها خلقة فاستعفانى عن ذلك فلم اعفه فنزل لى عن خراج مصر والعراق

فابيت وقلت والله لنطأنها فالححت عليه واخذت بيده وجئت به الى المطبخ
فلم ار جارية اقبح ولا اشوه خلقة من اهل مراحل فامرته ان يطأها فوطئها
فعلقت منه بك فكنت سببا لقتل ولدي وسلبه ملكه فولى المأمون وهو يقول
قاتل الله اللجاحة اى التى الح عليها حتى اخبرته بهذا الخبر انتهى (وأتى شاعر المأمون)
فقال لقد قلت فيك شعرا فقال انشدنيه فقال

حياك رب الناس حياكا	ان بجمال الوجه ردناكا
بغداد من نورك اشرقت	لما اورق العود بجدواكا

قال فاطرق المأمون ساعة وقال يا اعرابي وانا قد قلت فيك شعرا وانشد يقول

حياك رب الناس حياكا	ان الذى املت اخطاكا
اتيت شخصا قد خلا كيسه	ولو حوى شيئا لأعطاكا

فقال يا امير المؤمنين الشعر بالشعر حرام فاجعل بينهما شيئا يستطاب فضحك
المأمون وامر له بمال انتهى (وروى) ابن عامر الفهري عن اشياخه قال امر
المأمون ان يحمل اليه من اهل البصرة عشرة رجال كانوا قد رموا عنده بالزندقة
فحملوا اليه فرآهم طفيلي فرآهم مجتمعين فظن خيرا ومضى معهم الى الساحل وقال ما
اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل ودخل الزورق وقال لا شك انها نزهة فلم يكن
الا يسيرا وقد قيد والقوم وقيد معهم فعلم انه وقع فيما لا طاقة له به ورام الخلاص
فلم يقدر وساروا الى ان وصلوا الى بغداد ودخلوا على المأمون فاستدعى بهم
باسمائهم واحد بعد واحد وجعل يذكره بفعله ويقوله ويضرب عنقه حتى لم يبق
الا الطفيلي وفرغت العشرة فقال المأمون للموكل من هذا فقال لا اعلم يا امير
المؤمنين غير انا رأيناه معهم فجئنا به فقال يا امير المؤمنين امرأته طالق ان كان
يعرف من احوالهم شيئا ولا يعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رأيتهم مجتمعين
فظننت انها وليمة يدعون اليها فلحقت بهم فضحك المأمون وقال وقد بلغ من
شؤم التطفل ان يحل بصاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من القتل ولكن

يؤدب حتى لا يعود الى مثلها وكان ابراهيم بن المهدى حاضرا فقال يا امير
المؤمنين هبه لى وانا احدثك عن نفسى فيما وقع لى فى التطفل من العجب
فقال وهبته لك هات حديثك فقال يا امير المؤمنين خرجت متنكرا يوما
انظر الى سكك بغداد فاستهوى بى الطرب والتفرج فانتهى بى المسير الى موضع
شممت فيه رائحة طعام وابازير قد فاحت وهفت نفسى اليها ووقفت يا امير
المؤمنين لا اقدر على المشى فرفعت بصرى واذا بشباك خلفه كف بمعصم ما رايت
احسن منه فبقيت حائرا ونسيت رائحة الطعام بذلك الكف فاخذت فى عمل
الحيلة التى الى الوصول اليها فاذا بجانب المكان خياط فسلمت عليه فرد على السلام
فقلت يا سيدى لمن هذه الدار فقال لرجل من البزازين فقلت ما اسمه
فقال فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم واظن ان عنده اليوم اصحابه نجا
مثله فبينما نحن فى الكلام اذ اقبل رجلان فقال لى هؤلاء ندمائه فقلت له ما
اسماؤهما وما كناهما فقال لى فلان الفلانى وفلان الفلانى فحركت وراءهما رجلى
فلحقتهما فقلت جعلت فداكما استبطاكما فلان اعزه الله ولم ازل معهما حتى اتيت
البيت فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب البيت بينهما لم يشك الا انى معهما فرحب
بى واجلسنى فى افضل الاماكن ثم جئ بالمائدة ونقلت اليها الالوان فقلت فى نفسى
هذه الالوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها بقى الكف والمعصم ثم جئ بالماء
فغسلنا ايدينا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا شكل مليح ما رايت احسن منه
ولا اظرف ورايت صاحب المكان يتلطف بى ويقبل على لظنه انى ضيف لاضيافه
وهم على الحالة هذه الى ان شربنا اقداحا فخرجت علينا جارية كانها غصن بان
فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت من غير خجل ولا احتشام وجلست واتى بعود
فجسته احسن جسة واذا هى حاذقة فى الصناعة وغنت تقول

توهمها فكرى فاصبح خدها	وفيه مكان الوهم من نظرى اثر
وصافحها كفى فآلم كفها	فمن ضم كفى فى انا ملها عقر

فهيجت يا امير المؤمنين بلياليٰ فطربت لحسن شعرها وحذقها ثم غنت تقول

اشرت اليها هل عرفت مودتي	فردت بطرف العين اني على العهد
فحادت على الاظهار عمدا لسرها	وحادت عن الاظهار ايضا على عمد

فحسدتها يا امير المؤمنين على حذقها واصابتها معنى الشعر فضحكت لما اصابني من الطرب الذي لم املك نفسي معه ثم غنت تقول

اليس عجيبا ان بيتا يضمنا	واياك لا نلهو و لا نتكلم
سوى اعين تبدي سرائر انفس	وتقطيع انفاس على النار تضرم
اشارت افواه وغمز حواجب	وتكسير اجفان وكف يسلم

فزاد حسدي لها يا امير المؤمنين على حذقها واصابتها معنى الشعر لانها لم تخرج عن المعنى و قلت بقي عليك يا جارية شئ فرمت العود من يدها و قالت متى كنتم تحضرون البغضاء فندمت على ما كان مني ورايت القوم كانهم قد انكروا علي فقلت في نفسي فاتني جميع ما املت واحببت ان اتلافى قضيتي فقلت اثم عود غير هذا قالوا نعم فاحضروا عودا فاصلحت ما اردت اصلاحه ثم قلت

ما للمنازل لا تجيب حزينا	اصممن ام قدم البلاء بلينا

فما اتممت شعري حتى وثبت الجارية الي واكبت على يدي تقبلها و تقول المعذرة اليك يا سيدي والله ما علمت مكانك ولا سمعت بهذه الصناعة من احد ثم زادوا اكرامي وطربوا غاية الطرب فشربت عدة اقداح ثم غنيتهم ابياتا فرايت من طربهم شيئا عظيما حتى قلت ان ارواحهم فارقت ابدانهم فسكت عنهم ساعة حتى تراجعوا الى عقولهم فغنيتهم و قلت

هذا محبك مطويا على كمده	وجدا و ادمعه تجري على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته	مما به واليد الاخرى على كبده
يا من يرى كلفا في حبه دنفا	كانت منيته في عينه ويده

قال فجعلت الجارية تصيح و تقول هذا والله الغناء والذي كنا فيه ليس بشئ

وشربوا القوم فلما جاءهم البسط واخذ المجلس منتهاه امر صاحب البيت عبدين له ان يحفظا النديمين الى منزلهما وخلوت معه فقال والله ياسيدى ذهب ما مضى من عمرى باطلا الذى ما عرفتك قبل يومى هذا فبالله يا مولاى من انت فجعلت ارد عليه وهو يقول ويقسم على الى ان اعلمته من انا على الحقيقة فلما سمع ذلك قام على قدميه وقال عجبت ان تكون هذه المكارم الا لمثلك وقد اصابنى من الدهر نعم لا اقوم بشكرها ثم قال اترى هذا يقظة ام منام ما اتمنى الى لا ازال هذه الليلة قائما الى ان تاذن لى فانى احترم ان اجالس الملوك فاقسمت عليه بان يجلس ثم اخذ فى الكلام وجعل يعرض على السبب الذى اوجب حضورى عنده بالطف تعريض فاخبرته بامرى على الحقيقة ولم اخفه شيئا ثم قلت له الطعام قد نلت منه بغيتى وبقى الامر الاخر فوثب الى باب القاعة وقال كل منكن تلبس افخر ثيابها وتخرج علينا من المخدع ثم استدعى بهن وجعل يقول يا فلانة وهن يخرجن واحدة بعد واحدة وانا لا ارى صاحبة الكف والمعصم الى ان اتت اربعون امرأة فقال والله ما بقى الا اختى وها انا مخرجها اليك فقلت افعل فقال حبا وكرامة ثم استدعاها فنزلت فرايت يدها ومعصمها فاذا هى التى رايتها فقلت هذه الحاجة فامر غلمانه لوقته ان ياتوا بعشرة شهود ثم قام واخرج عشرين الف درهم والفا اخرى فلما حضروا قال لهم هذا سيدى ابراهيم بن المهدى يخطب اختى فلانة واشهدكم انى قد زوجتها له وامهرتها عنه عشرين الف درهم فقلت قبلت الزواج ثم دفع الالف التى كان اخرجها لهم نشكروا له ودعوا ثم انصرفوا ثم قال ياسيدى امهد لك بعض البيوت تنام مع اهلك فاحجبنى ما كان من كرمه واستحييت ان ادخل بها فى داره فقلت له بل اجعلها فى عمارية واحملها الى منزلى فوحقك يا امير المؤمنين لقد حمل معها من الفرش والاثاث ما ضاقت به بيوتنا فاولدتها هذا الغلام القائم بين يديك يا امير المؤمنين فتعجب المامون من كرم الرجل وقال لله دره ما اكرمه والله ما سمعت بمثله قط ثم اطلق الطفيلى

وامر باحضار الرجل واستنطقه فاعجبه حسن منطقه وعقله وادبه فصيره من جملة خواصه ومنادميه والله اعلم

ذكر خلافة ابراهيم المعتصم بن هارون الرشيد

هو ثامن خلفاء بنی العباس وكان شديد القوة ماكان فی بنی العباس مثله فی القوة والشجاعة والاقدام قيل انه اصبح ذات يوم وكان برده شديدا وثلجه عتيدا فلم يقدر واحد على اخراج يده ولا امساك قوسه فاوتر المعتصم فی ذلك اليوم اربعة "الآف قوس وكان يدعی المثمن وانشد ابو تمام حبيب بن

اوس الطائی يمدح المعتصم بن هارون الرشيد يقول

ان جرعودا رايت الخيل راقصة	كانها من سماع هزها نغم
او حركت يده اليمنى له وترا	على اعاديه غنى البوم والرخم

وكان يقول بخلق القرآن وضرب على ذلك احمد بن حنبل على ان يقول ذلك فلم يقل رضی الله عنه وله معه كلام طويل فانظره فی حياة الحيوان (ومن لطائف الحكايات) ماروی عن احمد بن ابی دواد القاضی انه قال جیٔ بتميم بن جميل الى المعتصم اسيرا وكان قد خرج عليه قال فما رأيت رجلا عرض عليه الموت فلم يكترث به سواه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه فاعجبه حسنه وقده ومشيه الى الموت غير مكترث فاطال الفكر فيه ثم كلمه لينظر این عقله ولسانه من جماله فقال يا تميم ان كان لك عذر فات به فقال اما اذا اذن امير المؤمنين فی الكلام فانی اقول الحمد لله الذی احسن كل شیٔ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا امير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين واخمد بك نار الباطل و انار بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنة وتصدع القلوب وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن الا فيك وهو اشبه بك واليق ثم انشد

اری الموت بین السیف والنطع کامنا	یلاحظنی من حیث لا اتلفت
واکبر ظنی انك الیوم قاتلی	وای امرئ عما قضی الله یفلت
ومن ذا الذی یأتی بعذر وحجة	وسیف المنایا بین عینیه مصلت
یعز علی الاوس بن تغلب موقف	یسل علی السیف فیه ویصلت
وما جزعی من اموت وانني	لاعلم ان الموت شئ موقت
ولکن خلفی صبیة قد ترکتهم	واکبادهم من حسرة تتفتت
کانی اراهم حین انعی الیهم	وقد لطموا احمر الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا فی سرور ونعمة	اذود الردی عنهم وان مت موتوا
فکم قائل لا ابعد الله داره	وآخر جذلان یسر ویشمت

قال فبکی المعتصم ثم قال ان من البیان لسحرا کما قال النبی صلی الله علیه وسلم یا تمیم کاد والله ان یسبق السیف العذل قد غفرت لك الصفوة و وهبتك للصبیة ثم عقد له ولایة علی عمله واعطاه خمسین الف دینار انتهی من زهر الکمام فی قصة یوسف علیه السلام (وذکر صاحب تاریخ بغداد عن مخارق المغنی) قال تطفلت تطفیلة قامت علی امیر المؤمنین المعتصم بتسعین الف درهم قیل له وکیف ذلك قال شربت معه لیلة الی الصبح فلما اصبحنا قلت له یا امیر المؤمنین ان رایت ان اخرج الی الرصافة فاتنسم الی وقت انتباه امیر المؤمنین قال نعم فامر البوابین ان یترکونی فخرجت امشی فی الرصافة واذا بجاریة کان الشمس تترق من جبینها فتبعتها ورایت معها زنبیلا فوقفت علی فاکهانی واشترت سفرجلة بدرهم وانصرفت فتبعتها فالتفتت فرأتنی فقالت یا ابن الفاعلة الی این قلت خلفك یا سیدتی فقالت ارجع یا ابن الزانیة لئلا یراك احد فیقتلك فتأخرت ومشیت ومشت امامی ثم التفتت فرأتنی فشتمتنی شتما قبیحا ثم جاءت الی دار کبیرة فدخلت فیها وجلست انا عند الباب وقد ذهب عقلی ونزلت علی الشمس وکان یوما حارا فلم البث ان جاء فتیان کانهما بدران علی حمارین فلما وصلا

الى الباب اذن لهما فدخلا و دخلت معهما فظنا ان صاحب المنزل قد دعانى وجئ بالطعام فأكلنا وغسلنا ايدينا فقال لنا صاحب المنزل هل لكم فى فلانة فقالوا ان تفضلت قال فاستدعى بتلك الجارية فخرجت فاذا هى صاحبتى ووراءها وصيفة تحمل عودها فوضعته فى حجرها فغنت فشربوا وطربوا وهو لحنى وتشك فى فقالوا لمن هذا الصوت فقالت لسيدى مخارق فلم البث ان قلت يا جارية شدى يدك فشدت اوتارها وخرجت عن ايقاعها الذى تقول عليه قال فاستدعيت بمدورة وقضيب وغنيت الصوت الذى قالته الجارية فقاموا الى وقبلوا رأسى قال وكان مخارق من احسن الناس صوتا وكان يوقع بالقضيب توقيعا عجيبا قال ثم غنيت الصوت الثانى والثالث فكادت عقولهم تطير فقالوا بالله من انت ياسيدى فقلت مخارق فقالوا وما سبب مجيئك قلت طفيلى اصلح الله شأنكم واخبرتهم بخبرى فقال صاحب البيت لصديقيه اما تعلمان انى اعطيت فى هذه الجارية ثلاثين الف درهم فامتنعت من بيعها قالا نعم قال هى له فقال صديقاه علينا عشرون الف درهم وعليك عشرة الآف قال مخارق فملكونى الجارية وجلست عندهم الى العصر وانصرفت بها وكلما مررت بالمواضع التى شتمتنى فيها اقول يامولاتى اعيدى كلامك فتستحى منى فاحلف عليها لتعيدنه فتعيده حتى وصلت الى امير المؤمنين فقيل لى انه انتبه فطلبك فى منازل ابناء القواد فلم يجدك وتغيظ غيظا شديدا فدخلت عليه ويدى فى يدها فلما رآنى سبنى وشتمنى فقلت يا امير المؤمنين لا تعجل و حدثته الحديث فضحك وقال نحن نكافئهم عنك فاحضرهم وامر لكل واحد منهم بثلاثين الف درهم والله اعلم انتهى (حكاية غريبة عن محلها) قال الاصمعى دعانى بعض العرب الكرام الى قراء الطعام فخرجت معنا الى البرية فأتوا بباطية وعليها السمن غارق فجلسنا للاكل واذا باعرابى ينسف الارض نسفا حتى جلس من غير نداء فجعل يأكل والسمن يسيل على كراعه فقلت لاضحك الحاضرين

عليه فقلت بيت

كانك اثلة فى ارض هش — اتاها وابل من بعد رش

فالتفت الى بعض بحلقة وقال لى الكلام انثى والجواب ذكر وانت

كانك بعرة فى است كبش — مدلاة وذالك الكبش يمشى

فقلت له هل تعرف شيئا من الشعر وترويه فقال كيف لا اقول الشعر وانا امه وابوه فقلت له ان عندى قافية تحتاج الى غطاء فقال هات ما عندك فنظرت فى بحور الاشعار فما وجدت قافية اصعب من الواو المجزومة فقلت

اقوم بنجد عهدناهم — سقاهم الله من النو

وقلت انه النو ماذا فقال

نو تلالا فى دجا ليلة — حالك مظلمة لو

فقلت له لو ماذا فقال

لو سار فيها فارس لانثنى — على بساط الارض منطو

فقلت له منطو ماذا فقال

منطوى الكشح هضيم الحشا — كالباز ينقض من الجو

فقلت له الجو ماذا فقال

جوى السما والريح تعلو به — اشتم ريح الارض فاعلو

فقلت له فاعلو ماذا فقال

فاعلو لما عيل من صبره — فصار نحو القوم ينعو

فقلت له ينعو ماذا فقال

ينعو رجالا للفنا شرعت — كفيت ما لاقوا ومايلقو

قال فعلمت انه لا شئ بعد الفناء ولكن اردت ان اثقل عليه فقلت له

ويلقو ماذا فقال

ان كنت ما تفهم ما قلته — فانت عندى رجل بو

(فقلت له البو ماذا فقال)

البق سلخ قد حشى جلده		باالف قرنان قنو مرا و	
فقلت له اوماذا فقال			
اواضرب الرأس بصوّانة		تقول فى ضربتها قو	

فخفت ان اقول له قوماذ افيضربنى و يكمل البيت فقلت له انت ضيفى الليلة فقال لا يأبى الكرامة الا الئيم فقلت لزوجتى اصنعى لنا دجاجة ففعلت فاتيته بها وجئته انا وزوجتى وابناى وبنتاى وقلت له فرق يابدوى فقال الرأس للرأس واعطانى الرأس وقال الولدان جناحان لهما الجناحان والبنتان لهما الرجلان والمرأة العجز لها العجز وانا زائر الزور واكل الدجاجة ونحن ننظر اليه وبتنا نتحدث فلما اصبحنا قلت لزوجتى اصنعى لنا خمس دجاجات ففعلت واتيته بالدجاج وقلت له اقسم يابدوى فقال تريد شفعا او وترا فقلت ان الله وتر يحب الوتر فقال كانك تريد بالفرد فقلت نعم فقال انت وزوجتك ودجاجة وابناك و دجاجة وابنتاك ودجاجة وانا و دجاجتان فقلت لا ارضى بهذه القسمة فقال كانك تريد شفعا فقلت نعم فقال انت وولداك ودجاجة وزوجتك وبنتاها و دجاجة وانا وثلاث دجاجات والله لا احول عن هذه القسمة قال الاصمعى فغلبنى مرتين مرة فى الشعر ومرة فى الدجاج ثم انصرف انتهى

(خلافة امير المؤمنين الواثق بالله)

قال ابنه محمد الذى يقال له المهدى بالله كان ابى الواثق بالله اذا اراد ان يقتل رجلا احضرنا فى ذلك المجلس فبينما نحن عنده ذات يوم اذ اتى بشيخ مقيد فقال ائذنوا لابى عبد الله يعنى ابن ابى دواد وادخل الشيخ فى مصلاه فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال لا سلم الله عليك فقال الشيخ يا امير المؤمنين بئس ما ادبك المؤدب قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وانت والله ما حييتنى بها ولا باحسن منها فقال ابن ابى دواد يا امير المؤمنين الرجل متكلم فقال الواثق كلمه فقال للشيخ ما تقول فى القرآن فقال الشيخ لم تنصفنى ولى

السؤال أسأله فقال له الامير سله فقال الشيخ لابن ابی دواد ما تقول فی القرآن فقال ابن ابی دواد مخلوق فقال الشیخ هذا شئ علمه النبی صلی الله علیه وابو بکر وعمر وعثمان وعلی رضی الله عنهم اجمعین والخلفاء الراشدون ام شئ لا یعلمونه فقال شئ لا یعلمونه فقال سبحان الله شئ لا یعلمه النبی صلی الله علیه وسلم ولا ابو بکر ولا عمر ولا عثمان ولا علی ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته انت قال فخجل وقال اقلنی قال قد فعلت والمسألة بحالها قال نعم قال ما تقول فی القرآن فقال مخلوق قال هذا شئ علمه النبی صلی الله علیه وسلم وابو بکر وعمر وعثمان وعلی رضی الله عنهم والخلفاء الراشدون ام لم یعلموه قال علموه ولم یدعوا الناس الیه قال افلا وسعك ما وسعهم قال ثم قام ابی فدخل مجلس الخلوة واستلقی علی قفاه ووضع احدی رجلیه علی الاخری وهو یقول هذا شئ لم یعلمه النبی صلی الله علیه وسلم ولا ابو بکر ولا عمر ولا عثمان ولا علی ولا الخلفا الراشدون وعلمته انت سبحان الله انتهی (وذکر الحافظ ابو نعیم فی حلیته) قال الحافظ ابو بکر الآجری بلغنی عن المهدی رحمة الله انه قال ما قطع ابی یعنی الواثق الا شیخ جیء به من المصیصة فمکث فی السجن مدة ثم ان ابی ذکره یوما فقال علی بالشیخ فأتی به مقیدا فلما وقف بین یدیه سلم علیه فلم یرد علیه السلام فقال له یا امیر المؤمنین ما سلکت بی ادب الله ولا ادب رسوله صلی الله علیه وسلم قال الله تعالی واذا حییتم بتحیة فحیوا باحسن منها او ردوها وامر النبی صلی الله علیه وسلم برد السلام فقال ابی وعلیك السلام ثم قال لابن ابی دواد سله فقال یا امیر المؤمنین انا محبوس مقید اصلی فی الحبس بتیمم منعت الماء فمر بقیودی تحل ومر بماء اتوضأ به اصلی ثم سلنی فامر به فحلت قیوده وامر له بماء فتوضأ وصلی ثم قال لابن ابی دواد سله فقال الشیخ المسألة لی فمره ان یجیبنی فقال سل فاقبل الشیخ علی ابن ابی دواد فقال له اخبرنی عن هذا الامر الذی تدعوا الناس الیه اشئ دعا الیه النبی صلی الله علیه وسلم قال لا قال افشئ دعا الیه ابو بکر الصدیق رضی الله عنه

بعده قال لا قال افشئ دعا اليه عمر بن الخطاب بعدهما قال لا قال افشئ دعا اليه
عثمان بن عفان بعدهم قال لا قال افشئ دعا اليه علي بن ابي طالب بعدهم
قال لا قال الشيخ افشئ لم يدع اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ابوبكر ولا
عمر ولا عثمان ولا علي تدعوا انت الناس اليه ليس يخلوان تقول علموه او جهلوه
فان قلت علموه وسكتوا عنه نوسعنا وسعنا واياك من السكوت ما وسع القوم فان
قلت جهلوه وعلمته انت فيا لكع ابن لكع شئ يجهله النبي صلى الله عليه وسلم و
الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وتعلمه انت واصحابك قال المهتدي فرايت
ابي وثب قائما ودخل الحجرة فجعل ثوبه في فيه وجعل يضحك ثم جعل يقول
صدق الشيخ الى آخر ما تقدم وقال المهتدي ما زلت اقول ان القرآن مخلوق صدرا
من خلافة الواثق حتى اقدم علينا احمد بن دواد شيخا من اهل الشام فادخل الشيخ
على الواثق مقيدا وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة فرايت الواثق قد
استحيا منه ورق له فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه فسلم عليه الشيخ فاحسن
السلام ودعا فابلغ واوجز فقال له الواثق اجلس ثم قال يا شيخ ناظر ابن ابي دواد
على ما يناظرك فقال الشيخ يا امير المؤمنين ابن ابي دواد يقل ويصغر ويضعف
عن المناظرة فغضب الواثق وعاد مكان الرقة له غضبا وقال ابو عبد الله بن ابي
دواد يقل ويصغر ويضعف عن مناظرتك انت قال الشيخ هون عليك يا امير
المؤمنين ما بك واذن لي في مناظرته فقال الواثق ما دعوتك الا للمناظرة فقال
الشيخ يا احمد يا ابن ابي دواد الام دعوت الناس ودعوتني اليه فقال ان تقول
القرآن مخلوق لان كل شئ دون الله مخلوق فقال الشيخ يا امير المؤمنين ان رايت ان تحفظ علي
وعليه ما تقول فقال افعل فقال الشيخ يا احمد اخبرني عن مقالتك هذه واجبة داخلة في
عقد الدين فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت قال نعم فقال الشيخ اخبرني عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعثه الله عز وجل الى عباده هل ستر شيئا مما امر الله به في دينه فقال لا قال
الشيخ افدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مقالتك هذه فسكت ابن ابي دواد

فقال الشيخ تكلم فسكت فالتفت الشيخ الى الواثق فقال يا امير المؤمنين قل واحدة
فقال الواثق واحدة فقال الشيخ يا احمد اخبرني عن الله عز وجل حين انزل
آخر القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا اكان الله صادقا في اكماله ام انت الصادق
في نقصانه فلا يكون كاملا حتى يقال فيه بمقالتك هذه فيكون كاملا فسكت
ابن ابي دواد فقال الشيخ اجب يا احمد فلم يجبه فقال الشيخ يا امير المؤمنين قل اثنتان
فقال اثنتان فقال الشيخ يا احمد اخبرني عن مقالتك هذه اعلمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ام جهلها فقال ابن ابي دواد علمها فقال فدعا الناس اليها
فسكت ابن ابي دواد فقال الشيخ يا امير المؤمنين قل ثلاثة فقال الواثق ثلاثة
فقال الشيخ يا احمد فاتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما زعمت ولم يطالب
امته بها قال نعم فقال الشيخ واتسع لابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن
عفان وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم فقال ابن ابي دواد نعم فاعرض الشيخ
عنه واقبل على الواثق فقال يا امير المؤمنين قد قدمت ان احمد يقل ويصغر و
يضعف عن المناظرة يا امير المؤمنين ان لم يتسع لك من الامساك عن هذه
المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر وعثمان وعلى
رضي الله عنهم فلا وسع الله على من يتسع له منا ما اتسع لهم من ذلك فقال الواثق
نعم ان لم يتسع لنا من الامساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولابي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم فلا وسع الله علينا ثم قال
اقطعوا قيد الشيخ فلما اقطع ضرب الشيخ بيده فاخذ القيد فوضعه في كمه فقال
الواثق لم فعلت هذا فقال الشيخ لاني نويت ان اقدم الى من اوصى اليه اذا مت
ان يجعله بيني وبين كفني حتى اخاصم به هذا الظالم عند الله عز وجل يوم
القيمة واقول يا رب سل عبدك هذا لم قيدني وروع اهلي وولدي و
اخواني بلا حق اوجب ذلك علي فبكى الشيخ وبكى الواثق وبكينا ثم ساله الواثق ان يجعله

فی حل وسعة مما نالہ منہ فقال الشیخ یا امیر المؤمنین لقد جعلتك فی حل
وسعة من اول یوم اکراما لرسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اذ انت رجل من
اهلہ فقال الواثق لی الیك حاجة فقال الشیخ ان كانت ممكنة فعلت فقال الواثق
تقیم عندنا تنتفع بك فتیاننا فقال الشیخ یا امیر المؤمنین ان ردك ایای الی
الموضع الذی اخرجنی منه هذا الظالم انفع لك من مقامی عندك فقال ولم ذلك
فقال لاسیر الی اهلی وولدی فاكف دعاءهم عنك فقد خلفتهم علی ذلك فقال
الواثق افتقبل منا صلة تستعین بها علی دهرك فقال الشیخ یا امیر المؤمنین انا غنی
وذو ثروة قال افتسألنا حاجة قال او تقضیها قال نعم قال تخلی سبیلی الی السفر
الساعة وتاذن لی قال اذنت لك فسلم علیه الشیخ وخرج قال صالح فقال المهتدی
باللہ فرجعت عن هذه المقالة من ذلك الیوم واللہ اعلم (فائدة) روی الدار
قطنی وشیخہ الحاكم وابن عدی عن عمر ان النبی صلی اللہ علیہ وسلم كان فی
محفل من اصحابہ اذ جاء اعرابی من بنی سلیم قد اصطاد ضبا وجعلہ فی كمہ لیذهب
بہ الی رحلہ فرای جماعة محتفین بالنبی صلی اللہ علیہ وسلم فقال علی من هؤلاء
قالوا علی هذا الذی یزعم انہ نبی فاتاه فقال یا احمد ما اشتملت النساء علی ذی لهجة
اكذب منك ولولا ان تسمینی العرب عجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس اجمعین
فقال عمر یا رسول اللہ دعنی اقتلہ فقال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اما علمت
ان الحلیم كاد ان یكون نبیا ثم اقبل الاعرابی علی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم
فقال واللات والعزی لا آمنت بك حتی یؤمن بك هذا الضب واخرج الضب من كمہ
وطرحہ بین یدیہ رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم فقال رسول اللہ صلی اللہ علیہ
وسلم یا ضب فتكلم الضب بلسان فصیح عربی صریح یفهمہ القوم جمیعا فقال
لبیك وسعدیك یا رسول رب العالمین فقال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم
من تعبد قال الذی فی السماء عرشہ وفی الارض سلطانہ وفی البحر سبیلہ وفی الجنة
رحمتہ وفی النار عذابہ قال فمن انا یا ضب قال انت رسول رب العالمین وخاتم

النبيين قد افلح من صدقك وخاب من كذبك فقال الاعرابی اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله حقا والله لقد اتيتك وما على وجه الارض احد وابغض منى اليك
والله لانت الساعة احب الى من نفسى ومن ولدى فقد آمن بك شعرى وبشرى و
داخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله
الذى هداك الى هذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله تعالى
الا بصلاة ولا يقبل الصلوة الا بقراءة قال فعلمنى فعلمه النبى صلى الله عليه وسلم
الحمد لله وقل هو الله احد فقال يا رسول الله ما سمعت فى البسيط ولا فى الوجيز
احسن من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا كلام رب العالمين
وليس بشعر اذا قرأت قل هو الله احد ثلاثا او قال ثلاث مرات فكانما قرأت القرآن
كله فقال الاعرابی ان الهنا يقبل اليسير ويعطى الكثير انتهى باختصار من حياة الحيوان
الكبرى ووقف رجل على الواثق فقال يا امير المؤمنين صل رحمك وارحم اتى ربك
وارحم رجلا من اهلك فقال الواثق من انت فانى لا اعرفك قبل اليوم قال ابن خليفة
آدم فقال يا غلام اعطه درهما فقال يا امير المؤمنين وما اصنع بالدرهم قال ارأيت
لو قسمت المال بين اخوتك اولاد جدى اكان ينوبك منه حبة فقال لله درك
ما اذكى فهمك فامر له بعطاء وانصرف مكرما

خلافة المتوكل على الله

(حكى عنه) انه قال ذات يوم لابى العيناء ما اشد ما مر عليك فى ذهاب عينيك
فقال فقد رؤيتك يا امير المؤمنين فاستحسن منه هذا الجواب وامر له بجائزة
نفيسة (ومما حكاه ابو القاسم على بن محمد الذهبى) عن ابى عبد الله الحنوى
قال الماجن محمد بن عبد الله بن طاهر راى فى الطواف جارية فى نهاية الحسن
فسأل عنها فقيل انها لرجل من الادباء قد رواها الاشعار والاخبار والنحو و
العروض وقد احسنت ضرب العود وطريق الغناء فاشتراها بمائة الف درهم
فلما قدم بها مدينة دار السلام شغف بها شغفا شديدا واخفى امرها وما

وما يجده منها لتخففا من امير المؤمنين المتوكل وكان من شدة وجده بها يحتبس عندها اياما لا يظهر للناس فيظنون انه زمن وامره معها مستور ففطن به سويد بن ابي العالية صاحب البريد وكان بينه وبين محمد منافرة فلم يجد سويد ما يكيده به الا ان كتب الى المتوكل وهو نازل على اربعة فراسخ من بغداد كتابا نسخته (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد يا امير المؤمنين فان محمد بن عبد الله اشترى جارية بثمانية الف درهم فهو يصطبح معها ويغتبق زمانه كله معها وقد اشتغل بها عن النظر في امور المسلمين وعن التوقيع في قصص المظلومين ولا يأمن امير المؤمنين ان تخرب عليه بغداد مع كثرة ما فيها من الغوغاء فيتعب امير المؤمنين في اصلاحها وقد انهى المملوك ذلك امير المؤمنين ايده الله وهو اعلى رأيا والسلام عليه ورحمة الله وبركاته) قال فلما قرأ المتوكل الكتاب رفع راسه الى نرجس الخادم وقال له امض الساعة الى محمد بن عبد الله بن طاهر وادخل عليه داره بغتة من غير اذن وانظر الى ما يصنع ثم خذ منه جاريته فلانة وأتني بها من غير تأخير فمضى نرجس من ساعته وكان محمد قد اصطبح معها في ذلك اليوم فدخل عليهما نرجس من غير استئذان فلم يشعر محمد الا وهو واقف عليه فتغير وجهه وانتقع لونه وفاضت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه ان نرجسا ما دخل عليه من غير اذن الا وقد اضمر له السوء فقال له يا نرجس ما الذي اقدمك قال امير المؤمنين امرني ان آخذ جاريتك هذه قال يا نرجس هذا يوم قد حضر شره وغاب خيره وقد ترى ما نحن فيه وانا لا اخالف ما امر به امير المؤمنين ثم امر الخادم بكرسي فجلس عليه بعد ان امتنع ساعة وقال ان مثلي لا يجلس مع مثلك ثم ان محمدا نظر الى الجارية وبكى بكاء شديدا وقال لها غني لا تزود منك فاخذت العود وغنت بصوت حزين تقول:

لله من لعذ بين وما هما	بثمانة العذال والحساد
اما الرحيل فحين جد تحملت	مهج النفوس به من الاجساد

من لم يبت والبين يصدع شمله ... لم يدر كيف تفتت الاكباد

ثم انهما اعلنا بالبكاء والنحيب والشهيق فرحمهما الخادم ورق لهما حين عاين ما حل
بهما فقال ايها الاميران رايتما ان امضى وادعكما على ما انتما عليه واتعلل عنكما لامير
المؤمنين فعلت فقال يا نرجس من خلفه مثل ابى سويد كيف يمكنه التعلل ولكن ارفق
بنا فقالت الجارية والله يا سيدى لا ملكني غيرك ابدا ولئن دفعتني اليه لاقتلن نفسى
فقال لها محمد لو كان غير امير المؤمنين لكان لى فى ذلك اوسع حيلة ولقد وددت
ان ياخذ منى يا امير المؤمنين جميع ما املك ويعزلني عن عملى ويبقيك على ولكن
هذا قضاء الله وقدره ثم التفت الى نرجس وقال لقد شاهدت منى ومن هذه
الجارية ما شهد قلبك علينا بالمحبة والمودة والالفة وليس يخفى عن علمك ان صنائع
المعروف تقى مصارع السوء ومثلك من يصنع المعروف مع مثلى فخذها وامض
بها الى امير المؤمنين وقل ما شئت مما يليق بمروتك ثم التفت اليها وقبلها وبكى
وبكت وبكى نرجس ثم اخذها وخرج وهى تبكى وتخمش خدها ووجهها ثم حملها
نرجس على بغلة امير المؤمنين وسار حتى دخل على المتوكل فلما رآه قال ما وراءك
يا نرجس فقال وراءى يا امير المؤمنين كل بلية ثم انه جلس بين يديه وقص عليه حالهما
ولم يخف منه شيئا فقال المتوكل وكل هذا الوجد يجد محمد من هذه الجارية فقال
يا امير المؤمنين والذى خفى اكثر مما ظهر وما اظنه يعيش بعدها فرق عليه قلب
المتوكل وقال يا نرجس ارجع بها اليه الساعة من وقتك هذا وادركه قبل ان
تزهق روحه وقد امرت له بمائة الف درهم ولها مع ذلك مثله وجعلت امر ابى
سويد اليه يصنع به ما يشاء ثم كتب له توقيعا بذلك ودفعه الى نرجس فرجع الخادم
بالجارية والتوقيع ولم يتمهل حتى دخل عليه فوجده عريانا يتقلب على حصر سامان
من شدة الكرب والوجد وقد احدقت به الجوارى يروحنه بالمراوح فقال
ابشر يا محمد ان امير المؤمنين قد رد جاريتك عليك من غير ان يقع نظره عليها
وقد حكمك فى ابى سويد ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه فوثب

الى هذا اذ ليس فيه الا الخير والخيرة فاخذ الشهود كل واحد مائة وشهدوا ان
اباها زوجها على صداق مبلغه كذا لو رفعوا فى الصداق الى غاية ما ترفع اليه صداقات
الملوك فلما علم ابوها بذلك زاد نفارا واباء ممتنع الوزير فدلت القائد الى القاضى
وقال انى تزوجت فلانة بنت فلان على هذا الصداق وهؤلاء شهدوا عليه ثم
قد ناكرنى وانكر الشهود وقد اردت ان ادفع له حق ابنته واخذها فامر القاضى
باحضار الشهود فشهدوا عنده واحضر المال النقد بين يدى القاضى والرجل على
انكاره متماديا فامر القاضى بامضاء الحكم عليه وان تؤخذ ابنته منه احب او كره
وامر بحمل المال اليه فلما حصلت الجارية عند الوزير لم يزل ابوها يروم الوصول
الى المعتصم وكان المعتصم غليظ الحجاب لا يصل اليه احد من غير الخاصة فقيل للرجل
انه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان له يبصره فان استطعت ان تكون
مع جملة رجال الخدمة تصل اليه وتكلمه بما اردت ففعل الرجل ذلك وغير شكله
ودخل فى جملة رجال الخدمة للبناء فلما كان فى ذلك الوقت الذى كانت عادة
امير المؤمنين المعتصم يقف على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى الى الارض
وجعل يحثوا التراب على راسه ويستغيث فسأله عن شأنه فقص عليه القصة فارسل
المعتصم فى ذلك المقام خلف ذلك القائد واغلظ عليه فى القول فحملته هيبته له
وقلة اقدامه على الكذب لدان وصف له الصورة على ما كانت عليه وهو يطمع ان
يعذره فى ذلك اذ قد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها وامر
باحضار الشهود فصنعوا امثل صنيع صاحبهم وذلك كله رهبة له واجلالا ان
يخاطبوه بكذب مع تخيلهم انه يصفح لهم عن هذه الزلة اذ قد ارادوا احياء نفس
ذلك الوزير وايضا فقد دفع له بين يدى القاضى نقدا لا يكون الا فى صداقات الملوك
وقد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها فكانه قد اخذها بحقها او باكثر
من حقها فلما تحققت عنده جلية الخبر امر ان يصلب كل شاهد منهم على باب داره
وان يوضع ذلك الوزير فى جلد ثور طرى السلخ ويضرب بالمرازب حتى يختلط عظمه

ولحمه ودمه ثم امر به لما صنع به ذلك ان يفرغ بين يدي تنور كانت عنده فلما
لعقت تلك التنور ذلك الدم امر الرجل صاحب البنت ان يأخذ ابنته ويأخذ كل ما
ذكروا لهما على ذلك الوزير فی صداقهما من عقار وعدد وقال ثم مات المعتصم وولی
ابنه المقتدر وكان صبيا صغير السن فعادت الاتراك الى ما كانت عليه من ذلك
والله تعالى اعلم (ويقرب من شبهاته هذا المثال) ما ذكره فی حياة الحيوان فی ترجمة
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب البلاد والمغرب من انه وقع بينه وبين
الاذفونش نصرانی طليطلة مكاتبات قال بعث الاذفونش الى الامير يعقوب
يتوعده ويتهدده ويطلب منه بعض حصون وكتب له رسالة من انشاء وزيره
ابن الفخار وهي (باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله
وكلمته الفصيح اما بعد فانه لا يخفى على ذی ذهن ثاقب ولا ذی عقل لازب انك امير الملة الحنيفية كما انی امير
الملة النصرانية وقد علمت ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والكسل والتكاسل واهمالهم امر الرعية
واخلادهم الى الراحة والامنية وانا اسومهم بحكم القهر واخلاء الديار وسبي الذراری
وامثل بالرجال واذيقهم عذاب الهوان وشديد النكال ولا عذر لك فی التخلف
عن نصرتهم اذا امكنتك القدرة وساعدك من عساكرك وجنودك كل ذی رای وخبرة
وانتم تزعمون ان الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا رحمة منه ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا
تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا ولقد حكى عنك انك اخذت فی الاحتفال واشرفت
على ربوة القتال وتماطل نفسك سنة بعد اخرى تقدم رجلا وتؤخر اخرى فلا
ادری اكان الجبن ابطأك ام التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لی انك لا تجد الى الجواز
سبيلا ولعله لا يسوغ لك التقحم فيه ميلا وها انا اقول لك ما فيه الراحة واعتذر
عنك ولك على ان نفی بالعهود والمواثيق والاستكثار من البرهان والاجئت
بجملتی اليك واقاتلك فی اعز الاماكن عليك فان كانت النصرة لك كانت غنيمة كبيرة
جاءت اليك وان كانت لی كانت يدی العليا عليك والله الموفق للشقاق لا رب غيره

ولا خبر الاخبر قال ثم رق يعقوب الكتاب وكتب على قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع واستشهد ببيت المتنبي

ولا كتب الا المشرفية عنده	ولا رسله الا الخميس العرمرم

ثم امر بكتب الاستنفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب السرادقات من يومه بظاهر البلد وصار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه الى الاندلس ودخل الى بلاد الافرنج فكسرهم كسرة شنيعة وعاد بغنائمهم والله اعلم (ومن غرائب المنقول وعجائبه) عن الامير بدر الدين ابى المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب انه قال حكى لى الامير محمد شجاع الدين الشيرازى متولى القاهرة فى ايام الكامل سنة ثلاثين وستمائة قال بتنا عند رجل بالصعيد فاكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له اولاد بيض الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء اولادك قال نعم ثم قال كانكم انكرتم على بياضهم وسوادى قلنا نعم فقال هؤلاء كانت امهم افرنجية اخذتها ايام الملك الناصر صلاح الدين وانا شاب فقلنا وكيف اخذتها قال حديثى فيها عجيب وامرى غريب فقلنا اتحفنا به فقال زرعت كتانا فى هذه البلدة وقلعته ونفضته فصرفت عليه خمسمائة دينار ثم لم يبلغ الثمن اكثر من ذلك فحملته للقاهرة فلم يصل اكثر من ذلك فاشير على بحمله الى الشام فحملته فلم يزد على تلك القيمة شيئا فوصلت به الى عكا فبعت بعضه لاجل والبعض تركته واكتريت حانوتا لابيع على مهل الى ان تنقضى المدة فبينما انا ابيع اذ مرت بى امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشون فى الاسواق بلا نقاب فاتت تشترى منى كتانا فرايت من جمالها ما ابهرنى فبعتها وسامحتها ثم انصرفت واتت لى بعد ايام فبعتها وسامحتها اكثر من المرة الاولى فتكررت الى وعلمت انى احبها فقلت للعجوز التى كانت معها انى قد تلفت بحبها واريد منك الحيلة فقالت لها العجوز ذلك فقالت تروح ارواحنا الثلاثة انا وانت وهو نعارت

على الجواب فقلت لها اما انا فقد سمحت بروحى فى حبها واتفق الحال على ان ادفع لها خمسين دينارا فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك قال فمضيت ما جهزت ما قدرت عليه من ماكول ومشروب وشمع وحلوى فجاءت الافرنجية فاكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت فى نفسى اما تستحى من الله وانت غريب تعصى الله مع نصرانية اللهم انى اشهدك انى قد عففت عنها فى هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت الى الصبح فقامت من السحر وهى غضبانة و مضت ومضيت الى حانوتى فجلست فيه فاذا هى قد عبرت على والعجوز وهى مغضبة وكانها القمر فهلكت وقلت فى نفسى ومن هو انت حتى تترك هذه البارعة فى حسنها ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعى فقالت وحق المسيح ما ارجع لك الا بمائة دينار فقلت نعم بسم الله فمضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندى لحقتنى الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت و مضيت الى موضعى ثم عبرت على بعد ذلك وقالت وحق المسيح ما عدت تفرح بى عندك الا بخمسمائة دينار او تموت كمدا فارتعت لذلك وعزمت على انى اصرف ثمن الكتان جميعه فبينما انا كذلك والمنادى ينادى معاشر المسلمين ان الهدنة التى كانت بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة فانقطعت عنى واخذت فى تحصيل ثمن الكتان الذى لى والمصالحة على ما بقى منه واخذت معى بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفى قلبى من الافرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة بأوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله على بكسب وافر واخذت اتجر فى الجوارى لعل يذهب ما بقلبى من الافرنجية فمضت ثلاث سنين وجرى للملك الناصر ما جرى من وقعة حطين واخذ جميع الملوك وفتح بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب منى جارية للملك الناصر فاحضرت له جارية حسناء فاشتراها منى بمائة دينار فاوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت العشرة دنانير عنده فلم يجدها فى خزانة الملك فى ذلك اليوم لانه انفق جميع الاموال

فلما حضرت الغنيمة جاء الملك فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخيمة التى فيها السبى من نساء الافرنج فخيروه فى واحدة منهن ياخذها بالعشرة دنانير التى بقيت له فاتيت الخيمة فعرفت غريمتى فقلت اعطونى هذه الجارية فاخذتها ومضيت الى خيمتى وخلوت بها وقلت لها اتعرفينى قالت لا فقلت لها انا صاحبك التاجر الذى جرى لى معك ما جرى واخذتِ منى الذهب وقلت ما عدت ترانى عندك الا بخمسمائة دينار وقد اخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بامر القاضى فتوجهت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى فتعجب وعقد لى عليها وباتت تلك الليلة عندى فحملت منى ثم رحل العسكر واتينا دمشق فبعد مدة يسيرة ارسل الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان اسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التى عندى فطلبت منى فحضرت وقد تغير لونى فاحضرتها بين يدى الملك الناصر والرسول فقلت هذه اسلمت وصارت امراتى فقال الملك الناصر بحضرة الرسول اترجعين الى بلادك او الى زوجك فقد فككنا اسرك واسر غيرك فقالت يا مولانا السلطان انا قد اسلمت وحملت وها بطنى كما ترونه ولم يبق لى رغبة فى الرجوع الى بلادى ومالى رغبة الا فى الاسلام وزوجى فقال لها الرسول ايما احب اليك هذا المسلم او زوجك الافرنجى فاعادت عبارتها الاولى فقال الرسول لمن معه من الافرنج اسمعوا كلامها ثم قال لى الرسول خذ زوجتك وتوجه فولت بها فطلبنى ثانيا وقال ان امها ارسلت معى كسوة وقالت ان ابنتى اسيرة واشتهى ان توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت الى الدار ففتحت القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها امها ووجدت من داخله الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هى بربطتى لم تتغير وهؤلاء الاولاد منها وهى التى صنعت لكم هذا الطعام والله اعلم (ويحكى ان بعض الملوك

ارسل رجلا من بطانته الى بعض الجهات ليعرف خبر عاملها ويطالعه باخبار الرعية فلما وصل الرجل فطن له العامل فارسل اليه بمال وتحف ثم قال عرفت ما جئت له وانا ارغب اليك فى كتاب تكتبه الى الملك تذكر فيه انى حسن السيرة وسالك طريق العدل فان انت فعلت ذلك فلك منى ما تنتهى رغبتك اليه من الخير والعطاء وان ابيت ذلك امرت الشرطيين ان ينهوا الى من امرك فى الملاء ما يوجب قتلك اما حدا وا ما سياسة فاقتلك بمحضر من قاضى البلد ووجوه الناس فذهب كامس الماضى فلما لم يجد الرجل بدا من موافقته ولم يكن ليعون مرسله كتب بحضرته كتابا الى الملك اما بعد اعز الله الملك واكرمه فانى قدمت الى مدينة كذا وكذا فوجدت العامل فلانا آخذا بالحزم عاملا بالحزم قد ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى اقضيته وارضى بعضهم عن بعض وجعل طاعته عليهم فرضا وان لهم منزلة الاولاد و اذهب ما بينهم من الاحقاد واراحهم من السعى فى الدنيا وفرغهم للعمل فى الآخرى اغنى القاصد وارضى الوارد فجميع اهل عمله داعون للملك يودون النظر الى وجهه الكريم والسلام) فلما وصل الكتاب منه الى الملك فكر فيه وقال لوزيره ان فلانا لم يكن عندى بمنهم فان كتابه هذا يدل على ظلم العامل فالتمس لى رجلا يصلح لعمله فانى قد عزلته فقال الوزير اصلح الله الملك وكيف ذلك قال لان قوله آخذا بالحزم عاملا بالعزم اى انه خائف منى لما اعتمده فى الولاية واما قوله ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى اقضيته فمعناه انه لم يخص احدا بظلمه بل الجميع سواء وقوله وارضى بعضهم عن بعض اى ذهبت احقادهم لان الشدائد تذهب الاحقاد وقوله ان لهم منزلة الاولاد معناه اخذ اموالهم ورأى انها له اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله واراحهم من السعى فى الدنيا معناه انه اخذ اموالهم ولم يترك لهم ما يسعون به ولا ما به يتجرون وقوله فرغهم للشغل فى الاخرى معناه انهم لزموا المساجد والعبادة لفقرهم وقوله اغنى الوارد وارضى القاصد فانه يعنى نفسه اى انه اعطاه مالا ليكتب الى بذلك واما قوله

جميع اهل عمله داعون لنا معناه ان يبصرنا الله بامرهم ونطلع على ما هم فيه وقوله يودون النظر لوجهنا اى يشكون الينا ما القوه منه ويستغيثون بنا ثم ان الملك طلب العامل واحضره الى بابه وانصف الناس منه ومرد عليهم ما كان العامل ظلمهم فيه واقتص منه فيما وجب عليه فيه القصاص وقابله على افعاله والله اعلم

وهذه قصيدة الزينبية

صرمت حبالك بعد وصلك زينب ... والدهر فيه تصرم وتقلب
نشرت ذوائبها التى تزهو بها ... سوداء ورأسك كالثغامة اشيب
واستنفرت لما رأتك وطالما ... كانت تحن الى لقاك وترغب
وكذاك وصل الغانيات فانه ... آل ببلقعة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه ... وازهد فعمرك مرمنه الاطيب
ذهب الشباب فما له من عودة ... وأتى المشيب فاين منه المهرب
دع عنك ما قد كان فى زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واذكر مناقشة الحساب فانه ... لابد يحصى ما جنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته ... بل اثبتاه وانت لاه تلعب
والروح فيك وديعة او دعتها ... ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التى تسعى لها ... دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما ... انفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ما خلفته وجمعته ... حقا يقينا بعد موتك ينهب
تبا لدار لا يدوم نعيمها ... ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصيحة اولاكها ... بر نصوح للانام مجرب
صحب الزمان واهله مستبصرا ... ورأى الامور بما تؤوب وتعقب
لا تامن الدهر الخؤن فانه ... ما زال قدما للرجال يؤدب
وعواقب الايام فى غصاتها ... غصص يذل لها الاعز الانجب

فعليك بتقوى الله فالزمها تفز ... ان التقى هو البهى الاهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... ان المطيع له لديه مقرب
فاقنع ففى بعض القناعة راحة ... واليأس عما فات فهو المطلب
فاذا طمعت كسيت ثوب مذلة ... فلقد كسى ثوب المذلة اشعب
وتوق من غدر النساء خيانة ... فجميعهن مكايد لك تنصب
لا تأمن الانثى حياتك انها ... كالافعوان يراع منه الانيب
لا تأمن الانثى زمانك كله ... يوما ولو حلفت يمينا تكذب
تغرى بلين حديثها وكلامها ... واذا سطت فهى الصقيل الاشطب
وابدأ عدوك بالتحية ولتكن ... منه زمانك خائفا تترقب
واحذره ان لاقيته متبسما ... فالليث يبدو نابه اذ يغضب
ان العدو وان تقادم عهده ... فالحقد باق فى الصدور مغيب
واذا الصديق رأيته متملقا ... فهو العدو وحقه يتجنب
لا خير فى ود امرئ متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف انه بك واثق ... واذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب
وصل الكرام وان جفوك بهفوة ... فالصفح عنهم بالتجاوز اصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخرا ... ان القرين الى المقارن ينسب
ان الغنى من الرجال مكرم ... وتراه يرجى ما لديه ويرغب
ويبش بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويقرب
والفقر شين للرجال فانه ... حقا يهون به الشريف الانسب
واخفض جناحك للاقارب كلهم ... بتذلل واسمح لهم ان اذنبوا
ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا ... ان الكذوب يشين حرا يصحب
وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة فى كل ناد تخطب

واحفظ لسانك واحترز من لفظه — فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به — ان الزجاجة كسرها لا يشعب
وكذاك سر المرء ان لم يطوه — نشرته السنة تزيد وتكذب
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد — في الرزق بل يشقي الحريص ويتعب
ويظل ملهوفا يروم تحيلا — والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز في الناس ياتي رزقه — رغدا ويحرم كيس ويخيب
وارع الامانة والخيانة فاجتنب — واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
واذا اصابك نكبة فاصبر لها — من ذا رايت مسلما لا ينكب
واذا رميت من الزمان بريبة — او نالك الامر الاشق الاصعب
فاضرع لربك انه ادنى لمن — يدعوه من حبل الوريد واقرب
كن ما استطعت عن الانام بمعزل — ان الكثير من الورى لا يصحب
واحذر مصاحبة اللئيم فانه — يعدي كما يعدي السليم الاجرب
واحذر من المظلوم سهما صائبا — واعلم بان دعاءه لا يحجب
واذا رايت الرزق عز ببلدة — وخشيت فيها ان يضيق المذهب
فارحل فارض الله واسعة الفضا — طولا وعرضا شرقها والمغرب
ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي — فالنصح اغلى ما يباع ويوهب

انتهى من حياة الحيوان وما احسن قول صالح بن عبد القدوس

المرء يجمع والزمان يفرق — ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولان يعادي عاقلا خير له — من ان يكون له صديق احمق
فارغب بنفسك ان تصادق احمقا — ان الصديق على الصديق مصدق
وزن الكلام اذا نطقت فانما — يبدي عقول ذوي العقول المنطق
ومن الرجال اذا استوت احلامهم — من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجيل بكل واد قلبه — فيرى ويعرف ما يقول وينطق

لا الفينك ثاويا فى غربة ... ان الغريب بكل سهم يرشق
ما الناس الا عاملان فعامل ... قد مات من عطش وآخر يغرق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم ... الفيت اكثر ما ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم ... هذا عليه موسع ومضيق
واذا الجنازة والعروس تلاقيا ... ورايت دمع نوائح يترقرق
سكت الذى تبع العروس مبهتا ... ورايت من تبع الجنازة ينطق
واذا امرؤ لسعته افعى مرة ... تركته حين يجر حبل يفرق
بقى الذين اذا يقولوا يكذبوا ... ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا

(وذكر ابن الجوزى فى الاذكياء وغيره) ان عمران بن حطان كان احد الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنهما الله تعالى على قتل الامام (على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه)

يا ضربة من تقى ما اراد بها ... الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فاحسبه ... اوفى البرية عند الله ميزانا
اكرم بقوم بطون الارض اقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضى ابا الطيب الطبرى رحمه الله هذه الابيات فقال مجيبا له

انى لابرا مما انت قائله ... عن ابن ملجم الملعون بهتانا
انى لاذكره يوما فالعنه ... دينا والعن عمران بن حطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلا ... لعائن الله اسرارا واعلانا
فانتم من كلاب النار جاء لنا ... نص الشريعة برهانا وتبيانا

اشار ابو الطيب رحمه الله تعالى الى قوله صلى الله عليه وسلم الخوارج كلاب النار انتهى من حياة الحيوان ومنه ما روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فشهد عليه انه سرق جملا لهم فامر به النبى صلى الله عليه وسلم ان يقطع فولى الرجل وهو يقول اللهم صل على محمد

حتى لا يبقى من صلاتك شيء وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء وسلم على محمد حتى لا يبقى من السلام شيء فتكلم الجمل وقال يا محمد انه بريء من سرقتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يأتيني بالرجل فابتدره سبعون من اهل بدر فجاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا هذا ما قلت آنفا فاخبره بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك نظرت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لتردن على الصراط ووجهك اضوء من القمر ليلة البدر انتهى

(وهذه القصيدة يقال انها لامير المؤمنين الراضي بالله)

زيادة المرء في دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظ لا ثبات له ... فان معناه في التحقيق فقدان
يا عامرا لخراب العمر مجتهدا ... بالله هل لخراب الدهر عمران
ويا حريصا على الاموال يجمعها ... انسيت ان سرور المال احزان
دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدر والوصل هجران
احسن الى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الانسان احسان
وكن على الدهر معوانا لذي امل ... يرجو نداك فان الحر معوان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... اليه والمال للانسان فتان
من كان للخير مناعا فليس له ... عند الخليقة اخدان واخوان
لا تخدشن بمطل وجه عارفة ... فالبر يخدشه مطل وليان
حسب الفتى عقله خلا يعاشره ... اذا تحاماه اخوان وخلان
لا تستشر غير شخص حازم فطن ... قد استوت منه اسرار واعلان
فللتدابير فرسان اذا ركضوا ... فيها ابروا كما للحرب فرسان
ورافق الرفق في كل الامور فلم ... يندم رفيق ولم يذممه انسان
ولا تكن عجلا في الامر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران
هما رضيعا لبان حكمة وتقى ... وساكنا وطن مال وطغيان

من مدّ طرفا بفرط الجهل نحو هوى ‏ ‏ اغضى عن الحق یوما وهو خزیان

من استشار صروف الدهر قام له ‏ ‏ علی حقیقة طبع الدهر برهان

من عاشر الناس لاقی منهم نصبا ‏ ‏ لان طبعهم بغی وعدوان

ومن یفتش عن الاخوان مجتهدا ‏ ‏ فجل اخوان هذا الدهر خوان

من یزرع الشر یحصد فی عواقبه ‏ ‏ ندامة ولحصد الزرع ابان

من استنام الی الاشرار نام وفی ‏ ‏ قمیصه منهم صل وثعبان

من سالم الناس یسلم من غوائلهم ‏ ‏ وعاش وهو قریر العین جذلان

وان اساء مسیئ فلیکن لك فی ‏ ‏ عروض زلته صفح وغفران

اذا نبا بکریم موطن فله ‏ ‏ وراءه فی بسیط الارض اوطان

لا تحسبن سرورا دائما ابدا ‏ ‏ من سره زمن ساءته ازمان

یا ظالما فرحا بالعز ساعده ‏ ‏ ان کنت فی سنة فالدهر یقظان

یا ایها العالم المرضی سیرته ‏ ‏ ابشر فانت بغیر الماء ریان

دع التکاسل فی الخیرات تطلبها ‏ ‏ فلیس یسعد بالخیرات کسلان

صن حر وجهك لا تهتك غلالته ‏ ‏ فکل حر لحر الوجه صوان

لا تحسب الناس طبعا واحدا فلهم ‏ ‏ غرائز لیس یحصیهن انسان

من استعان بغیر الله فی طلب ‏ ‏ فان ناصره عجز وخذلان

واشدد یدیك بحبل الله معتصما ‏ ‏ فانه الرکن ان خانتك ارکان

لا ظل للمرء یعری عن تقی ورضی ‏ ‏ وان اظلته اوراق وافنان

یا رافلا فی ثیاب لمال منتشیا ‏ ‏ من کاسه فاقد للرشد نشوان

لا تغترر بشباب ناعم خضل ‏ ‏ فکم تقدم قبل الشیب شبان

ویا اخا الشیب لو ناصحت نفسك لم ‏ ‏ یکن لمثلك فی الاسراف امعان

هب الشبیبة تبدی عذر صاحبها ‏ ‏ ما بال شیبك یستهویه شیطان

کل الذنوب فان الله یغفرها ‏ ‏ ان شیع المرء اخلاص وایمان

وكل كسر فان الله يجبره	وما لكسر قناة الدين جبران
خذها سوائر امثال مهذبة	فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائغها	ان لم يصغها قريح الشعر حسان

وذيل عليها بعضهم فقال

وكن لسنة خير الخلق متبعا	فانها لنجاة العبد عنوان
فهو الذي شملت للخلق انعمه	وعمهم منه في الدارين احسان
ومذ أتى ابصرت عمى القلوب به	سبل الهدى ووعت للحق آذان
جبينه قمر قد زانه خفر	وثغره در ثغر ومرجان
فالبدر يخجل من انوار بهجته	والشمس من حسنه الوضاح تزدان
به توسلنا في محو زلتنا	لربنا انه ذو الجود منان
يارب صل عليه ما همى مطر	فاينعت منه اوراق واغصان
وابعث اليه سلاما زاكيا عطرا	والآل والصحب لا تفنيه ازمان

وعن حماد الراوية قال كنت محبا للوليد بن عبد الملك فلما ولى اخوه يزيد الخلافة هربت الى الكوفة فبينما انا في المسجد الاعظم اذ اتاني رسول محمد بن يوسف الثقفي وقال اجب الامير فدخلت عليه فقال ورد كتاب امير المؤمنين على بحملك اليه وبالباب نجيبان فاركب احدهما ودفع اليه كيسا فيه الف دينار وقال هذه نفقة لمنزلك فدخلت دمشق في اليوم الثامن واستأذن لي الرسول فدخلت عليه فاذا هو جالس في دار مبطلة بالرخام الاحمر وفيها سرادق خز احمر في وسط قبة حمراء من خز فرشها وكل ما فيها احمر وعلى رأسه جاريتان عليهما ثياب حمر بيد واحدة منهما ابريق وفي احدى يدي الاخرى نبيذ احمر وفي اليد الاخرى نبيذ ابيض فلما واجهته سلمت عليه بالخلافة فرد على السلام وقال ادن يا حماد اتدري فيم بعثت اليك قلت لا يا امير المؤمنين قال في بيت شعر ذهب عني ولا قلت من اي عروض وقافية قال لا ادري الا انه بيت فيه ابريق فقلت في نفسي ان لم

تغن الرواية يوما فالآن فتفكرت ساعة ثم قلت نعم يا امير المؤمنين لعله قول

البنع اليمانى او عدى بن زيد العبادى

بكر العاذلون فى وضح الصبح	يقولون لى اما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق	
لست ادرى اذا اكثر العذل فيها	اعدو يلومنى ام صديق
ودعوا بالصبوح يوما فجاءت	قينة فى يمينها ابريق

نصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينه وشرب وقال يا جارية اسقيه فسقتنى كاسا اذهبت ثلث عقلى ثم استعاد الشعر وشرب وقال اسقيه فسقتنى فقلت يا امير المؤمنين ذهب ثلثا عقلى فقال سل حاجتك قبل ان يذهب الثلث الاخير فقلت احدى هاتين الجاريتين فقال هما لك بما لهما وما عليهما ومائة الف تحسن بها سيرك ثم ناولتنى الجارية كاسا فشربتها وانصرفت ونهضت وقد ذهب عقلى فعدل بى الى دار الضيافة فانتبهت آخر الليل واذا بشمع يوقد والجاريتان يرصان الامتعة والبغال تحمل مالهما من اثاث وغيره واصبحت قبضت المال وانصرفت وانا ايسر اهل الكوفة انتهى ولما وقف الشيخ تقى الدين بن حجة رحمه الله على هذه الحكاية قال انظر ايها المتادب الى نفاق عظيم الادب فى ذلك الاوان وبشهادة الدنيا البيت الذى طلب حماد الراوية بسببه من العراق الى دمشق واجيز عليه بالجاريتين والمائة الف تانفت نفسى ان انظم فى سلك قصيدة من قصائدى

وهو هذا البيت

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت	قينة فى يمينها ابريق

وكنت اريد ان اكون فى ذلك العصر ويسمع يزيد بن عبد الملك من نظمى

فى هذا الباب قولى

فى ليلة رقم البدر المنير لها	طار له بعصا الجوزاء نقرات
وبان لى من لماها حين تبسم لى	فوق اللثا درّ وعبقات

والراح دبت علی فہمی قصورہا	لکن لہا ضاع فی الکاسات نفحات
کانت علامات تحقیقی فقائمی	ھی المنازل لی فیہا علامات
مذ انشأنا سجعنا فی محاسنہا	مخردین وللانشاء شجعات
ھذا وافواہ کاسانی قد ابتسمت	لما حبتہا ثغور لؤلؤیات
ومن یقل حرکات الدہر ماسکنت	فللحباب علی التسکین جزمات

والطف من ذلک ماحکاہ محمد بن یزید المبرد قال کان ابو عثمان المازنی قد جاء الیہ یہودی وسألہ ان یقرئہ کتاب سیبویہ وبذل لہ مائۃ دینار فامتنع ابو عثمان من ذلک فقلت لہ سبحان اللہ ترد مائۃ دینار مع فاقتک وحاجتک الی درہم واحد فقال نعم یا ابا العباس اعلم ان کتاب سیبویہ یشتمل علی ثلثمائۃ آیۃ من کتاب اللہ ولا اری ان امکن منہا کافرا فسکت ولم یتکلم قال المبرد فما مضت الا ایام حتی جلس الواثق یوما للشرب وحضر ندماؤہ فغنت جاریۃ

فی المجلس ھذا الشعر

اظلوم ان مصابکم رجلا	اھدی السلام تحیۃ ظلم

فنصبت رجلا فلحنہا بعض الحاضرین من الندماء وقال الصواب الرفع لانہ خبر ان فقالت الجاریۃ ما حفظتہ من معلمی الا ھکذا ثم وقع النزاع بین الجماعۃ فمن القائل الصواب معہ ومن القائل الصواب معہا فقال الواثق من بالعراق من اھل العربیۃ ممن یرجع الیہ فقالوا بالبصرۃ ابو عثمان المازنی و ھو الیوم واحد عصرہ فی ھذا العلم فقال الواثق اکتبوا الی والینا بالبصرۃ یسیرہ الینا معظما مبجلا فما کان الا ایام حتی وصل الکتاب الی البصرۃ فامر الوالی بابی عثمان بالتوجہ وسیرہ علی بغال البرید فلما وصل دخل علی الواثق فرفع مجلسہ وزاد فی اکرامہ وعرض علیہ البیت فقال الصواب مع الجاریۃ ولا یجوز فی رجل غیر النصب لان مصاب مصدر بمعنی الاصابۃ ورجل منصوب بہ والمعنی ان اصابتکم رجلا اھدی السلام تحیۃ ظلم فظلم خبر ان ولا یتم الکلام الا بہ ففہم

الواثق كلام ابی عثمان وعام ان اعق ما قالته واعجب به وانقطع الرجل الذی
تکرعلی الجاریة ثم امر الواثق لابی عثمان المازنی بالف دینار واتحفه بتحف وهدایا
کثیرة لاهله ووهبت له الجاریة جملة اخری ثم سیره الی بلده مکرما فلما وصل جاء
المبرد فقال له ابو عثمان کیف رایت یا ابا العباس ترکت لله مائة فعوضنی الفا
فقال المبرد من ترک شیئا لله عوضه الله خیرا منه انتهی وعن انس رضی الله عنه
قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم سالت الله الاسم الاعظم فجاءنی جبرئیل
به مختوما وهو اللهم انی اسالک بالاسم المخزون المکنون الطهر الطاهر المطهر
المقدس المبارک الحی القیوم قالت عائشة بابی وامی علمنیه فقال یا عائشة
نهینا عن تعلیمه النساء والصبیان والسفهاء اھ فائدة کان ابو محمد عبد الله
بن یحیی الصنعی من اصحاب الشافعی وکان اماما صالحا عالما من اهل الیمن
من اقران صاحب البیان من تصنیفه احترازات المهذب والتعریف فی الفقه
وروی ان ناسا ضربوه بالسیوف فلم تقطع سیوفهم فیه فسئل عن ذلک فقال
کنت اقرا ولا یؤده حفظهما وهو العلی العظیم فالله خیر حافظا وهو ارحم الراحمین
له معقبات من بین یدیه ومن خلفه یحفظونه من امر الله انا نحن نزلنا الذکر
وانا له لحافظون وحفظناها من کل شیطان رجیم وحفظا من کل شیطان مارد
وحفظا ذلک تقدیر العزیز العلیم ان کل نفس لما علیها حافظ ان بطش ربک لشدید
الی آخر السورة وینبغی ان یزاد فیها ان ربی علی کل شیء حفیظ ثم قال کنت خرجت یوما
مع جماعة فرایت ذئبا یلاعب شاة عجفاء ولا یضرها بشیء فادنونا منه نفرضها الذئب
فوجدنا فی عنق الشاة کتابا مربوطا فیه هذه الآیات المتقدمة انتهی فائدة
قال معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلی الله علیه وسلم ذات غداة عن
صلاة الصبح حتی کدنا نتراءی عین الشمس فخرج سریعا فثوب بالصلاة فصلی
وتجوز فی صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا مصافکم کما انتم ثم انفتل الینا
فقال اما انی ساحدثکم ما حبسنی عنکم الغداة انی قمت من اللیل فتوضأت وصلیت

ماقدر لی فنعست فی صلاتی حتی استثقلت فاذا انا بربی تعالی فی احسن صورۃ فقال یا محمد فقلت لبیک یا رب قال فیم یختصم الملاء الاعلی قلت رب لا ادری قال تعالی فی الکفارات والدرجات وفی روایۃ قلت فی الکفارات والدرجات قال فما هن قلت مشی الاقدام الی الجماعات والجلوس فی المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء علی المکروهات قال فیم قلت اطعام الطعام ولین الکلام والصلوۃ باللیل والناس نیام قال سل قلت اللهم انی اسألک فعل الخیرات وترک المنکرات وحب المساکین ان تغفر لی وترحمنی واذا اردت بعبادک فتنۃ فاقبضنی الیک غیر مفتون اسألک حبک وحب من یحبک وحب کل عمل یقربنی الی حبک فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم انها حق فادرسوها ثم تعلموها قال ابو عیسی هذا حدیث حسن صحیح انتهی من حیاۃ الحیوان فی حرف النون وقال ذکر لرسول الله صلی الله علیه وسلم الشرک فقال هو اخفی فیکم من دبیب النمل وسادلک علی شیٔ اذا فعلته اذهب الله عنک صغار الشرک وکباره تقول اللهم انی اعوذ بک ان اشرک بک شیئا وانا اعلم واستغفرک لما لا اعلم انک انت علام الغیوب تقولها ثلاث مرات انتهی

فائدۃ اذا علقت عین الهدهد علی صاحب النسیان ذکر ما نسیه ودمه اذا قطر فی البیاض العارض فی العین اذهبه وروی احمد والبزار ورجال احمد ثقات من حدیث ابی هریرۃ ان رسول الله صلی الله علیه وسلم رأی رجلا یشرب قائما فقال له ایسرک ان یشرب معک الهر قال لا قال فقد شرب معک الشیطان وفی تاریخ ابن النجار فی ترجمۃ محمد بن عمر الحنبلی عن انس بن مالک قال کنت جالسا عند عائشۃ رضی الله عنها ابشرها بالبراءۃ فقالت والله لقد هجرنی القریب والبعید حتی هجرتنی الهرۃ وما عرض علی طعام ولا شراب فکنت ارقد وانا جائعۃ فرایت فی منامی فتی فقال مالک حزینۃ فقلت مما ذکر الناس فقال ادعی بهذه یفرج الله عنک فقلت وما هی قال قولی دعاء الفرج یا سابغ النعم ویا دافع النقم ویا فارج الغمم ویا کاشف الظلم ویا اعدل من حکم ویا حسیب من ظلم ویا ولی من

ظلم ویا اول بلا بدایۃ ویا آخر بلا نہایۃ ویامن لہ اسم بلا کنیۃ اجعل لی من امری فرجا ومخرجا قالت فانتبهت وانا ریانۃ شبعانۃ وقد انزل اللہ براءتی وجاءنی الفرج انتہی من حیاۃ الحیوان وھذا الدعاء روی الطبرانی باسناد صحیح قطعۃ منہ عن انس ان النبی صلی اللہ علیہ وسلم مر باعرابی وھو یدعو فی صلاتہ یقول یا من لا تراہ العیون ولا تخالطہ الظنون ولا یصفہ الواصفون ولا تغیرہ الحوادث ولا یخشی الدوائر یعلم مثاقیل الجبال ومکاییل البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وعدد ما اظلم علیہ اللیل واشرق علیہ النہار ولا تواری منہ سماء سماء ولا ارض ارضا ولا بحر الا ویعلم ما فی قعرہ ولا جبل الا یعلم ما فی وعرہ اجعل اللہم خیر عمری آخرہ وخیر عملی خواتیمہ وخیر ایامی یوم لقائک فوکل النبی صلی اللہ علیہ وسلم بالاعرابی رجلا فقال اذا صلی فاتنی بہ فلما صلی اتاہ بہ وقد کان اھدی للنبی صلی اللہ علیہ وسلم ذھب من بعض المعادن فلما اتی الاعرابی وھب لہ الذھب وقال ممن انت ایہا الاعرابی قال من بنی عامر بن صعصعۃ فقال صلی اللہ علیہ وسلم ھل تدری لم وھبت لک ھذا الذھب قال للرحم التی بیننا وبینک یا رسول اللہ قال صلی اللہ علیہ وسلم ان للرحم حقا ولکن وھبت لک الذھب لحسن ثنائک علی اللہ عز وجل انتہی من حرف الطاء وفی کتاب ثمار القلوب للثعالبی فی الباب الثالث عشر منہ ان الملک بہرام جور لم یکن فی العجم ارمی منہ ومن غریب ما اتفق لہ انہ خرج یوما یتصید علی جمل وقد اردف جاریۃ یعشقہا فعرضت لہ ظباء فقال للجاریۃ فی ای موضع تریدین ان اضع ھذا السہم من ھذہ الظباء قالت ارید ان تشبہ ذکرانہا باناثہا واناثہا بذکرانہا فرمی ظبیا ذکرا بنشابۃ ذات شعبتین فاقتلع قرنیہ ورمی ظبیۃ بنشابتین اثبتہما فی موضع القرنین ثم سألتہ ان یجمع ظلف الظبی واذنہ بنشابۃ واحدۃ فرمی اذن الظبی ببندقۃ فلما اھوی بیدہ الی اذنہ لیحک رماہ بنشابۃ فوصل اذنہ بظلفہ ثم اھوی الی الجاریۃ مع ھواہ بہا فرمی بہا الی الارض واوطاہا الجمل بسبب ما اشترطت علیہ

وقال ما اردت الاظهار عجزي فلم تلبث الايسيرا وماتت انتهى حكاية في القطا يقال نزل عمرو بن امامة على قوم من مراد فطرقوه ليلا فاثاروا القطا من اماكنها فرأتها امرأة يقال لها حذام فلما رأت القطا طار ليلا نبهت زوجها مع رجال من قومها فقالت لهم لو ترك القطا ليلا لنام فلم يلتفتوا الى قولها واخلدوا الى مضاجعهم

(فقام رجل منهم وقال)

فان القول ما قالت حذام	اذا قالت حذام فصدقوها

فنفر القوم والتجوا الى واد قريب منهم واعتصموا به حتى اصبحوا وامتنعوا من عدوهم فضرب به المثل انتهى بتقديم وتأخير وعن ابي جعفر الخالدي قال ودعت ابا الحسن الصغير المدني فقلت له زودني شيئا فقال اذا ضاع منك شئ واردت ان يجمع الله بينك وبين ذلك الشئ او ذلك الانسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد اجمع بيني وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشئ او ذلك الانسان انتهى من حرف الالف وهذه ابيات

وصيد الاسد في البر	لصيد اللخم في البحر
ونقل الصخر في الحر	وقضم الثلج في القر
وتحويل الى القبر	واقدام على موت
ف ممن عاش في الفقر	لاشهى من طلاب العر

قوله اللخم بضم اللام واسكان الخاء المعجمة ضرب من السمك ضخم يقال له الكوسج وهو القرش انتهى من حياة الحيوان في حرف اللام وذكر بعض اهل التواريخ ان ملكا من الملوك خرج يدور في ملكه فوصل الى قرية عظيمة فدخلها منفردا فاشتد العطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امرأة جميلة بكوز ماء وناولته اياه فلما نظر لها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فعلمت انها لا تقدر على الامتناع منه فدخلت واخرجت له كتابا وقالت له انظر في هذا الكتاب الى ان اصلح من امري ما احب واعود فاخذ الملك الكتاب

برکهما عندهم حين يريد السفر رواه الطبراني وقال في تتمة اخرى قال الشيخ قطب الدين القسطلاني مما حفظت من والدتي ام محمد آمنة وكانت وفاتها في صفر سنة ست وخمسين وستمائة اللهم بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك من اعدائي احتجبت و بسطوة الجبروت ممن يكيدني استترت وبطول حول حجب عرشك من اعدائي احتجبت وبشديد قوتك من كل سلطان تحصنت وبديموم قيوم دوام ابديتك من كل شيطان استعذت وبمكنون السر من سر سرك من كل هم وغم تخلصت ياحامل العرش عن حملة العرش ياشديد البطش ياحابس الطير والوحش احبس عني من ظلمني واغلب من غلبني كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز انتهى وقال الشيخ قطب الدين ومما حفظته من دعاء والدتي من الادعية التي تنفع في الحجب عن الاعداء اللهم بسر الذات وبذات السر هو انت انت هو لا اله الا انت احتجبت بنور الله وبنور عرش الله وبكل اسم لله من عدوي وعدو الله بالف الف لا حول ولا قوة الا بالله ختمت على نفسي وديني واهلي ومالي وولدي وجميع ما اعطاني ربي بخاتم الله القدوس المنيع الذي ختم به اقطار السموات والارض حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل وقال الكسائي دخلت على الوليد ذات يوم وهو في ايوانه وبين يديه مال كثير قد امر بتفرقته على خدمه الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتامله وكان كثيرا ما يحدثني فقال هل علمت اول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة قلت هو يا سيدي عبد الملك بن مروان قال فما كان السبب في ذلك قلت لا اعلم غير انه اول من احدث هذه الكتابة قال ساخبرك كانت القراطيس للروم وكان اكثر من بمصر نصرانيا على دين ملك الروم وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها ابا وابنا وروحا وبينا فلم يزل كذلك صدر الاسلام كله ونظر فيه واذا فيه الزجر عن الزنا وما اعد الله تعالى لفاعله من العذاب الاليم فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح بالمراة واعطاها الكتاب وردها ذاهبا وكان زوج المراة غائبا فلما حضر اخبرته الخبر

فتحير في نفسه وخاف ان يكون قد وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فاعلمت المرأة اقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما مثل بين يدي الملك قال اقارب المرأة اعز الله مولانا الملك ان هذا الرجل قد استاجر منا ارضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنؤجرها لمن هو يزرعها وقد حصل الضرر للارض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذ لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من زرع ارضك فقال اعز الله مولانا الملك انه قد بلغني ان الاسد قد دخل ارضي وقد هبته ولم اقدر على الدنو منها لعلمي انه لا طاقة لي بالاسد ففهم الملك القصة فقال له يا هذا ان ارضك طيبة صالحة للزراعة فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد لن يعود اليها ثم امر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفه انتهى من حرف الالف (فائدة) الفرزدق اسمه همام بن غالب والفرزدق لقب غلب عليه والفرزدق قطع العجين الواحدة فرزدقة ولقب به لغلظه وقصره انتهى (فائدة عظيمة) قال الاطباء اذا اردت ان تعرف ان المرأة عقيم ام لا فمرها ان تحمل بثومة في قطنة وتمكث سبع ساعات فان فاح من فمها رائحة الثوم فعالجها بالادوية فانها تحمل باذن الله تعالى والا فلا وهي مجربة والله اعلم (فائدة) قال شيخ الاسلام محيي الدين النووي في اذكاره في باب اذكار المسافر عند ارادته الخروج من بيته يستحب له عند ارادة الخروج ان يصلي ركعتين لحديث المطعم بن المقداد الصحابي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما خلف احد عند اهله افضل من ركعتين يصلي على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك فتنبه له وكان فطنا فبينما هو ذات يوم جالس اذ مر به قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يترجم بالعربية ففعل ذلك فانكره وقال ما اغلظ هذا في دين الاسلام ان يكون طراز القراطيس هكذا وهي تعمل في الاواني والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر

بابطال ذلك الطراز الذی یعمل علی الثیاب والقراطیس والستور وغیر ذلك وان
تعمل صناع القراطیس سورة التوحید وشهد الله انه لا اله الا هو وهذا طراز القراطیس
خاصة الی هذا الوقت ولم ینقص ولم یزد ولم یتغیر وکتب الی عمال الآفاق جمیعا
بابطال ما فی اعمالهم من القراطیس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده
بعد هذا النهی شئ منه بالضرب الوجیع والحبس الطویل بعد ما اثبت القراطیس
بالطراز المحدث بالتوحید وحمل الی بلاد الروم منها وانتشر خبرها ووصل
الی ملکهم فترجم له ذلك الطراز فانکره وعظم علیه واستشاط غیظا فکتب الی عبد
الملك ان اعمل القراطیس بمصر وسائر ما یطرز هناك للروم ولم تزل تطرز بطراز
الروم الی ان ابطلته فان کان من تقدمك من الخلفاء قد اصاب فقد اخطأت و
ان کنت قد اصبت فقد اخطأوا فاختر من هاتین الخلتین ایهما شئت واحببت وقد
بعثت الیك بهدیة تلیق بمحلك واحببت ان تجعل رد طراز تلك القراطیس الی ما کان
علیه وجمیع ما کان یطرز اولا لاشکرك علیها وتأمر بقبض الهدیة وکانت عظیمة
القدر فلما قرأ عبد الملك کتابه رد الرسول واعلمه انه لا جواب له ورد الهدیة فانصرف
بها الی صاحبه فلما وافاه اضعف الهدیة ورد الرسول الی عبد الملك وقال انی ظننت
انك استقللت الهدیة فلم تقبلها ولم تجبنی الی کتابی فاضعفت الهدیة وانا ارغب
الیك الی مثل ما رغبت فیه اولا من رد الطراز الی ما کان علیه اولا فقرأ عبد الملك الکتاب
ولم یجبه ورد الهدیة فکتب الیه ملك الروم کتابا یقتضی اجوبة کتبه ویقول انك
قد استخففت بجوابی وهدیتی ولم تسعفنی بحاجتی فتوهمتك استقللت الهدیة
فاضعفتها فجریت علی سبیلك الاول وقد اضعفتها لك ثالثا وانا احلف بالمسیح
لتأمرن برد الطراز الی ما کان علیه اولا لآمرن بنقش الدراهم والدنانیر فانك تعلم
انه لا ینقش شئ منها الا ما ینقش فی بلادی ولم ترا الدراهم والدنانیر نقشت
فی بلاد الاسلام فتنقش علیها شتم نبیك فاذا قرأته ارفض جبینك عرقا فاحب
ان تقبل هدیتی وترد الطراز الی ما کان علیه اول الامر وکانت هدیة بر بتنی بها

ويبقى الامر بيني وبينك فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه وعظم وضاقت به
الارض وقال احسبني اشأم مولود ولد في الاسلام لاني جنيت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من شتم هذا الكافر ما يبقى الى ابد الدهر ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب
اذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم فجمع اهل الاسلام
واستشارهم فلم يجد عندهم رأيا يعمل به فقال له روح بن زنباع انك لتعلم المخرج
من هذا الامر ولكنك تتعمد تركه فقال ويحك من قال عليك بالباقر من آل بيت
النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقت ويكنه يا روح الرأي فيه قال نعم نكتب الى
عامله بالمدينة ان ارسل الى محمد بن علي بن الحسين مكرما ومتعه بمائة الف درهم
لجهازه وثلثمائة درهم لنفقته وارح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه من اصحابه
وحبس الرسول قبله الى موافاة محمد بن علي فلما وافاه اخبره الخبر فقال له محمد رضي الله عنه
لا يعظم هذا عليك فانه ليس بشيء من جهتين احداهما ان الله عز وجل لم يكن ليطلق
ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية تدعو
في هذا الوقت بصناع يضربون سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش
عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما في وجه الدرهم
والدينار والاخر في الوجه الثاني وتجعل في مدار الدرهم او الدينار ذكر البلد الذي
يضرب فيه والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد الى وزن ثلاثين
درهما عددا من الثلاثة اصناف التي العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة
منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون اوزانها جميعا
احدا وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فيصير العدة من الجميع وزن سبعة
مثاقيل وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان فتضرب
الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهم
في ذلك الوقت انما هي الكسروية التي يقال لها اليوم البغلية لان رأس البغل
ضربها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكة كسروية في الاسلام مكتوب عليها

صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية (نوش خور) اى كل هنيئا وكان وزن الدرهم منها قبل الاسلام مثقالا والدراهم التى كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هى السمرية الخفاف والثقال ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وامره محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه ان يكتب السكة فى جميع بلدان الاسلام وان يتقدم الى الناس فى التعامل بها وان يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرهما وان تبطل وترد الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكة الاسلامية ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم اليه بذلك ويقول ان الله عز وجل مانعك مما قد اردت ان تفعل وقد تقدمت الى عمالى فى اقطار البلاد بكذا وكذا وبابطال السكك وطراز الرومية فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهددت به ملك العرب فقال انما اردت ان اغيظه بما كتبت اليه لانى كنت قادرا عليه بالمال وغيره برسوم الروم فاما الآن فلا افعل لان ذلك لا يتعامل به اهل الاسلام وامتنع من الذى قال وثبت ما اشار به محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم الى اليوم ثم رمى يحيى الرشيد بالدرهم الى بعض الخدم انتهى من حياة الحيوان وقال نصر الله بن مجلى وكان من الثقات واهل السنة رايت على بن ابى طالب رضى الله عنه فى المنام فقلت يا امير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين ما تم فقال اما سمعت ابيات ابن الصيفى فى هذا قلت لا فقال اسمعها منه ثم انتبهت فبادرت الى دار حيص بيص فذكرت له الرؤيا فشهق وبكى وحلف بالله انها لم تخرج من فيه او خطه لاحد وما نظمها الا فى ليلة ثم انشدنى

ملكنا فكان العفو منا سجية	فلما ملكتم سال بالدم ابطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما	غدونا عن الاسراء نعفو ونصفح

واسم حيص بيص سعيد بن محمد ابو الفوارس التميمى الشاعر المشهور ويعرف بابن

الصيفي ولقب بحيص بيص لانه رأى الناس يوما في حركة مزعجة وامر شديد فقال ما للناس في حيص بيص فبقي هذا اللقب عليه ومن محاسن شعره

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهدا	اقصر عناك فان الرزق مقسوم
الرزق ياتي الى من ليس يطلبه	وطالب الرزق يسعى وهو محروم

وله ايضا

يا طالب الطب من داء اصيب به	ان الطبيب الذي ابلاك بالداء
هو الطبيب الذي يرجى لعافية	لا من يذيب لك الترياق في الماء

وله ايضا

اله عما استأثر الله به	ايها القلب ودع عنك الحرق
فقضاء الله ليس يدفعه	حول محتال اذا الامر سبق

وله ايضا

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت	على العباد من الرحمن ارزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية	ولا يضر مع الاقبال انفاق

(ومما جاء في الذكاء والفهم) ما حكي عن المأمون انه غضب على عبد الله بن طاهر وشاور اصحابه في الايقاع به وكان قد حضر في ذلك المجلس صديق له فكتب اليه كتابا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى) فلما فضه ووجد ذلك تعجب وجعل يطيل النظر اليه ولا يفهم معناه وكانت له جارية واقفة على راسه فقالت له يا سيدي اني افهم معنى هذا فقال وما هو قالت انه اراد قوله تعالى يا موسى ان الملأ ياتمرون بك ليقتلوك وكان قد عزم على الحضور الى المأمون فثنى العزم عن ذلك واعتذر المأمون في عدم الحضور فكان سبب سلامته واحترز من ذلك ما ذكره ابن خلكان قال ان بعض الملوك غضب على بعض عماله فامر وزيره ان يكتب له كتابا يشخصه به وكان للوزير بالعامل عناية فكتب اليه كتابا وكتب في آخره ان شاء الله تعالى وجعل في صدر النون شدة فتعجب العامل كيف وقعت و

هذه الحركة من الوزير اذ من عادة الكتاب ان لا يشكلوا كتبهم ففكر فی ذلك فظهر له انه اراد ان الملاء یأتمرون بك لیقتلوك نكشط الشدة وجعل مكانها الفا وختم الكتاب واعاده فلما وقف علیه لوزیر سر بذلك وفهم انه اراد انا لن ندخلها ابدا مادا موا فیها انتهی وفی تاریخ بغداد ووفیات الاعیان ان اباحنیفة رضی الله عنه كان له جار اسكافی یعمل نهاره فاذا رجع الی منزله لیلا تعشی ثم شرب فاذا دب الشراب فیه غنی وقال

اضاعونی وای فتی اضاعوا		لیوم كریهة وسداد ثغر	

ولا یزال یشرب ویردد هذا البیت حتی یاخذه النوم وابوحنیفة یسمع صوته كل لیلة وكان ابوحنیفة یصلی اللیل كله ففقد ابوحنیفة صوته فسأل عنه فقیل اخذه العسس منذ لیال فصلی ابوحنیفة الفجر من غده ثم ركب بغلته واتی الی دار الامیر فاستأذن علیه فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا ولا تدعوه ینزل حتی یطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الامیر من مجلسه وقال له ما حاجتك قال اشفع فی جاری فقال الامیر اطلقوه وكل من اخذ فی تلك اللیلة فخلوهم ایضا وذهبوا وركب ابوحنیفة بغلته وخرج والاسكافی یمشی وراءه فقال له ابوحنیفة یا فتی هل اضعناك فقال بل حفظت ورعیت فجزاك الله خیرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم یعد الی ما كان یفعل وقال الشافعی قلت لمالك هل رایت اباحنیفة قال نعم رایت رجلا لو كلمك فی هذه الساریة ان یجعلها ذهبا لقام بحجته (فائدة) اذا عسر علی المرأة ولادتها فلیكتب لها بسم الله الرحمن الرحیم لا اله الا الله الحلیم الكریم سبحان الله رب العرش العظیم الحمد لله رب العالمین كانهم یوم یرون ما یوعدون لم یلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل یهلك الا القوم الفاسقون (فائدة اخری للصداع) ذكر فی حیاة الحیوان ان مسلمة بن عبد الملك لما حاصر عموریة حصل له صداع فلم یركب فی الحرب فقال اهل عموریة للمسلمین ما لامیركم لا یركب فقالوا اعرض له صداع فامر لنا برنسا وقالوا البسوه له یزول عنه ما یجد فلبسه فشفی ففتشوا فیه فلم یجدوا فیه شیئا غیر بطاقة مكتوب فیها هذه الآیات بسم الله الرحمن الرحیم ذلك تخفیف من

ربکم رحمۃ بسم اللہ الرحمن الرحیم یرید اللہ ان یخفف عنکم وخلق الانسان ضعیفا بسم اللہ الرحمن الرحیم الآن خفف
اللہ عنکم وعلم ان فیکم ضعفا بسم اللہ الرحمن الرحیم کھیعص بسم اللہ الرحمن الرحیم حمعسق بسم اللہ الرحمن الرحیم
واذا سألك عبادی عنی فانی قریب اجیب دعوۃ الداع اذا دعان بسم اللہ الرحمن الرحیم
الم تر الی ربك كیف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا بسم اللہ الرحمن الرحیم وله ما سكن فی
اللیل والنهار وهو السمیع العلیم) فقال المسلمون من این لكم هذا انما انزل علی
نبینا محمد صلی اللہ علیه وسلم قالوا وجدنا هذا محفوظا فی حجر فی كنیستنا قبل ان
یبعث نبیكم بسبعمائة عام انتهی قال الحافظ ابن عساكر ویكتب للصداع ایضا
(بسم اللہ الرحمن الرحیم كهیعص ذكر رحمة ربك عبده زكریا اذ نادی ربه نداء خفیا
الم تر الی ربك كیف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا كهیعص حمعسق كم للہ من نعمة
علی عبد شاكر وغیر شاكر وكم للہ من نعمة فی قلب خاشع وغیر خاشع وكم للہ من
نعمة فی كل عرق ساكن وغیر ساكن اذهب ایها الصداع بعز عز اللہ بنور وجه اللہ
وله ما سكن فی اللیل والنهار وهو السمیع العلیم ولا حول ولا قوة الا باللہ العلی
العظیم وصلی اللہ علی سیدنا محمد خاتم النبیین وعلی آله وصحبه اجمعین) فانه نافع
وعن ابی الدرداء قال صلی بنا رسول اللہ صلی اللہ علیه وسلم فمر بنا كلب فما بلغت رجله
یده حتی مات فلما فرغ صلی اللہ علیه وسلم قال من الداعی علی هذا الكلب آنفا
فقال رجل من القوم انا یا رسول اللہ قال فما قلت قال قلت اللهم انی اسألك بان
لك الحمد لا اله الا انت الحنان المنان بدیع السموات والارض ذو الجلال والاكرام
اكفنا هذا الكلب بما شئت فقال صلی اللہ علیه وسلم لقد دعا اللہ بالاسم الاعظم
اذا دعی به اجاب واذا سئل به اعطی وهذا الحدیث فی السنن الاربعة ومسند
احمد وكتابی الحاكم وابن الحبان قیل وكانت صلوٰة العصر یوم الجمعة وان الرجل
الداعی سعد بن ابی وقاص انتهی من حیاة الحیوان (فائدة منه ایضا) تكتب
هؤلاء الكلمات وتجعل فی انبوبة وتدفن فی الزرع والكرم فانه لا یؤذیه الجراد
باذن اللہ تعالی وهی بسم اللہ الرحمن الرحیم اللهم صل علی سیدنا محمد وعلی آله وصحبه

وسلم اللهم اهلك صغارهم واقتل كبارهم وافسد بيضهم وخذ بافواههم عن معايشنا وارزاقنا انك سميع الدعاء انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دآبة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واستجب منا يا ارحم الراحمين وهو عجيب مجرب فائدة قال القرافى اتفق الناس على تكفير ابليس بقضيته مع آدم عليه السلام وليس مدرك الكفر فيها الامتناع من السجود والا لكان كل من امر بالسجود وامتنع منه كان كافرا وليس كذلك ولا كان كفره بكونه حسد آدم عليه السلام على منزلته من الله تعالى والا لكان كل حاسد كافرا ولا كان كفره بعصيانه وفسوقه والا لكان كل عاص وفاسق كافرا وقد اشكل ذلك جماعة من الفقهاء وينبغى انه انما كفر بنسبة الحق جل جلاله الى الجور والتصرف الذى ليس بمرضى ويظهر ذلك من فحوى قوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ومراده ان الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله تعالى وقد اجمع المسلمون على ان من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر انتهى من حياة الحيوان ومنه قول الشاعر

خليلى ان قالت بثينة ماله	اتانا بلا وعد فقولا لها لها
اتى وهو مشغول بعظم الذى به	ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى	اذا برزت لم يبق يوما بها بها
لها مقلة كحلاء وخد مورد	كان اباها الظبى او امها مها
دهتنى بود قاتل وهو متلفى	وكم قتلت بالمزج من ودها دها

هى من مزج النغف بنون وغين معجمة مفتوحتين ثم فاء دود يكون فى انف الابل والغنم الواحدة نغفة انتهى عن الاصمعى وقال ابو عبيدة هو الدود الابيض يكون فى النوى وما سوى ذلك الدود ليس بنغف وروى مسلم عن النواس بن سمعان فى حديثه الذى رواه فى الدجال ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ومعنى قوله

فهي قتلى وقيل للواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها

حكاية الهامة

روى ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال كنت عند كعب الاحبار وهو عند عمر ابن الخطاب فقال كعب الاحبار يا امير المومنين الا اخبرك باغرب شيء قرأته في كتب الانبياء ان هامة جاءت الى سليمان بن داؤد عليهما السلام فقالت السلام عليك يا نبي الله فقال وعليك السلام يا هامة اخبريني كيف لا تأكلين من الزرع قالت يا نبي الله ان آدم اخرج من الجنة بسببه قال فكيف لا تشربين الماء قالت لانه غرق فيه قوم نوح فمن اجل ذلك لا اشربه فقال لها كيف تركت العمران وسكنت الخراب قالت لان الخراب ميراث الله تعالى فانا اسكن ميراث الله قال الله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان فما تقولين اذا جلست فوق خربة قالت اقول اين الذين كانوا يتنعمون فيها قال سليمان فما صياحك في الدور اذا مررت عليها قالت اقول ويل لبني آدم كيف ينامون وامامهم الشدائد قال سليمان عليه السلام فما لك لا تخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلم بني آدم لانفسهم قال فاخبريني ما تقولين في صياحك قالت اقول تزودوا يا غافلين وتهيؤا لسفركم سبحان خالق النور فقال سليمان ليس في الطيور طير انصح لابن آدم ولا اشفق عليه من الهامة وما في قلوب الجهال ابغض منها والهامة بتخفيف الميم على المشهور طير الماء انتهى من حياة الحيوان وفي كتاب فردوس الحكم قال آية من كتاب الله تعالى من قرأها يأمن من الهوام اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فائدة اليحمور حمار الوحش وفي كتاب العرائس لابي الفرج بن الجوزي ان بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرافقه شخص في الطريق فلما كان قريبا من المدينة التي قصدها قال له ذلك الشخص قد صار لي عليك حق وذمة وانا رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وما هي

قال اذا اتيت مكان كذا وكذا فانك تجد فيه دجاجات بينهن ديك ابيض فاسأل عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتي اليك قال فقلت له يا اخي وانا ايضا اسألك حاجة قال وماهي قلت اذا كان للانسان مارد لا تعمل فيه العزائم وألح بالآدمي ماداوه قال يؤخذ له وترقدر شبر من جلد اليحمور ويشد به ابهاما المصاب من يده شدا وثيقا ثم يؤخذ له من دهن السداب البري ويقطر في انفه الايمن اربعا وفي الايسر ثلاثا فان الماسك به يموت ولا يعود الى احد بعده قال فلما دخلت المدينة اتيت الى ذلك المكان فوجدت الديك لعجوز فسألتها بيعه فابت فاشتريته منها باضعاف ثمنه فلما اشتريته وملكته تمثل لي من بعيد وقال لي بالاشارة اذبحه فذبحته فخرج علي عند ذلك رجال ونساء فجعلوا يضربونني ويقولون يا ساحر فقلت لست بساحر فقالوا انك منذ ذبحت الديك اصيبت شابة عندنا بجني وانه منذ مسكها لم يفارقها فطلبت منهم وترا قدر شبر من جلد يحمور وشيئا من دهن السداب البري فأتوا بهما فشددت ابهامي يدي الشابة شدا وثيقا فلما فعلت بها ذلك صاح وقال انا علمتك على نفسي ثم قطرت من الدهن في انفها الايمن اربعا وفي الايسر ثلاثا فخر من وقته ميتا وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعده شيطان (فائدة) دم اليربوع يؤخذ ويطلى به الشعر الذي ينبت في الجفن بعد ان ينتف يذهب باذن الله تعالى (فائدة) عين الهدهد اذا علقت صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب على خصمه وقضيت حوائجه وظفر بما يريد ولحمه اذا اكل مطبوخا نفع من القولنج ودمه اذا قطر في البياض العارض في العين اذهبه وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه والله اعلم وحكى القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار في ترجمة الحاكم بامر الله ابي علي منصور قال فبينما هو في موكبه قبلي بركة الحبش اذ مر برجل على بستان له وحوله عبيده فاستسقاه ماء فسقاه ثم قال يا امير المؤمنين قد اطمعتني في السؤال فان رأى امير المؤمنين ان يكرمني بنزوله لاحظى بتمام السعد

فاجابه لذلك فنزل بجيشه فاخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية سكرية فبهت الحاكم وقال لها الرجل خبرك عجيب هل علمت بنا فاعددت هذا قال لا والله يا امير المؤمنين وانما انا تاجر من رعيتك لي مائة محظية فلما اكرمتني بالنزول عندي اخذت من كل واحدة شيئا من فرشها وزائد اكلها وشربها فان لكل واحدة في كل يوم طبق طعام وطبق فاكهة وجام حلوى وزبدية شراب فسجد امير المؤمنين شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذي جعل في رعايانا من يسع حاله هذا ثم امر بما في بيت المال من الدراهم المضروبة في تلك السنة فكانت ثلاثة آلاف الف وسبعمائة الف ولم يركب حتى احضرها واعطاها للرجل وقال له استعن بهذا على حالك ومروتك ثم ركب وانصرف وحكى اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال دعاني يحيى بن خالد فدخلت عليه فوجدت الفضل وجعفرا ولديه جالسين بين يديه فقال لي يا ابا اسحاق اصبحت اليوم مهموما فاردت الصبوح لا تسلي فغنني صوتا لعلي ارتاح له فغنيته

اذا نزلوا ابطحاء مكة اشرقت	بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الا لجود اكفهم	وما خلقوا الا لاعواد منبر

فسر وارتاح وامر لي بمائة الف وامر لي كل واحد من ولديه بمائة الف فحمل المال جميعه بين يديه فاخذته وانصرفت وحكي عن مخارق قال اصبحت السماء مغيمة واصبح الرشيد مع حرمه فامرنا بالانصراف واذن لنا ان نقيم في منازلنا ثلاثة ايام فمضى الجلساء اجمعون الى منازلهم فقلت والله لاذهبن الى استاذي ابراهيم الموصلي فاعرف خبره ثم اعود وامرت من عندي ان يهيئوا الى مجلسا الى وقت رجوعي فجئت الى دار ابراهيم وقلت للبواب اخبر استاذك فاخبره فقال لي ادخل فدخلت فاذا هو جالس في رواق وبين يديه قدر تغرغر واباريق تزهر وستارة منصوبة والجواري خلفها فقلت ما بال الستارة لا اسمع من ورائها صوتا فقال اقعد

ويحك انى اصبحت على ما ترى فاتانى خبر ضيعة بجوارى وقد كنت طلبتها زمانا
وتمنيتها فلم املكها وقد اعطى فيها الآن مائة الف فقلت وما يمنعك منها وقد
اعطاك اضعاف هذا المال قال صدقت ولكن نفسى غير طيبة باخراج هذا
المال وقال خذ هذا القضيب ونقر بقضيب فى يده على مدورة والقى عليه

نام الخليون من وهم ومن سقم · وبت من كثرة الاحزان لم انم
يا طالب الجود والمعروف مجتهدا · اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال فاخذته واحكمته ثم قال امض الساعة الى باب الوزير يحيى بن خالد وادخل
عليه وحدثه بما رايت واذكر الضيعة وعرفه انى صنعت له هذا الصوت فاعجبنى
ولم اجد من يستحقه الا جاريته فلانة وانى القيته عليك لتلقيه عليها وائتنى بما
يكون من الخبر قال فجئت الى الباب واستاذنت واعلمته فامر بنصب الستارة
والقيت الصوت على الجارية مرارا حتى احكمته فقال لى تقيم عندنا او تنصرف
قلت انصرف اطال الله بقاء مولانا الوزير فقال يا غلام احمل معه عشرة آلاف
واحمل الى ابراهيم مائة الف فحملت مالى واتيت الى منزلى فنثرت على من عندى
من الجوارى دراهم من تلك البدرة اكلت وشربت بقية يومى فلما اصبحت قلت و
الله لاذهبن الى استاذى واعرف خبره واتيت ودخلت فوجدته على مثل ما كان
بالامس فقلت له ما الخبر الم يأتك المال قال نعم غير انه لما دخل منزلى بخلت نفسى
باخراجه والقى على صوتا آخر اتيت به الفضل بن يحيى وحدثته بما كان من ابيه
بالامس فامر ان يحمل معى عشرون الفا ولابراهيم مائتا الف وفعلت مثل ما فعلت
بالامس وغدوت اليه لما اصبحت فوجدته على مثل حاله بمثل عذره والقى على صوتا
غيره اتيت به جعفر بن يحيى واخبرته بما كان من ابيه واخيه فامر ان يحمل معى ثلاثون
الفا والى ابراهيم ثلثمائة الف فحملت معى اليه فبكى ابراهيم وقال وصلت الى ستمائة
الف وانا جالس فى مجلسى لم ابرح منه فعلى مثل هؤلاء يبكى فرحم الله اروا حهم
اجمعين وقال اسحاق غدوت يوما وانا منحصر من ملازمة امير المؤمنين

تعرضت نفسي على ان الطوف في الصحراء والفرج وقلت لغلماني اذا جاء رسول الخليفة او غيره فلا تعرفوه مكاني فطفت وعدت وقد حمي النهار فوقفت في فناء استريح فلم البث ان جاء خادم يقود حمارا فارها وعليه جارية راكبة عليها فاخر الثياب ورايت لها قواما حسنا وظرفا فائقا فحدثت نفسي انها مغنية ثم دخلت الدار التي انا واقف عليها ثم لم البث ان جاء شابان جميلان واستأذنا فاذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا ان صاحب الدار دعاني وظن صاحب البيت انني معهما وجلسنا فاتى بالطعام فاكلنا وبالشراب فوضع ودخلت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا فسألهما صاحب المنزل عني فاخبراه انهما لا يعرفاني فقالوا هذا طفيلي لكنه ظريف فاجملوا عشرتي فشربنا ودار الكاس فغنت

(الجارية تقول)

ذكرتك اذ مرت بنا ام شادن	امام المطايا وهي بالشرب تسنح
من المولعات الرمل قد ابدت نحوها	شعاع الضحى من وجهها يتوضح

فادته اداء حسنا ثم غنت اصواتا من القديم والحديث تقول

قل لمن صد عاتبا	ونأى عني جانبا
قد بلغت الذي اردـ	ـت وان كنت لاعبا

فاستعدته منها لاصحح عليها فاقبل علي احد الرجلين يشتمني ويقول ما راينا طفيليا اصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا غاية المثل طفيلي ويقترح فاطرقت وجعل صاحبه يكفه وهو لا يلتفت ثم قاموا الى الصلاة وتأخرت بعدهم قليلا واخذت عود الجارية وشددت طبقته واصلحته اصلاحا محكما وعدت الى موضعي وعادوا واخذ ذلك الرجل في عربدته علي وانا صامت واخذت الجارية العود وجسته فانكرت حاله وقالت من جس عودي قالوا ما جسه احد قالت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته واصلحه اصلاح متمكن من الصناعة قلت لها انا فقالت بالله خذ واضرب فاخذته وضربت

ضربا عجيبا فيه نقرات محركة فما بقى منهم احد الا وثب وجلس بين يدى وقال صاحب المجلس اقسم بالله ان لك فى هذه الصناعة اصواتا غريبة فبالله عليك الا عرفت بنفسك فقلت انا اسحاق الموصلى ووالله انى لاتيه على الخليفة اذا طلبت وانتم تروّن صاحبكم هذا يسمعنى ما اكره لكونى تادبت معكم وجلست عندكم والله لا نطقت بحرف ولا جلست حتى تخرجوا هذا المقوت فقال لصاحبه من مثل هذا خفت عليك واخذوا بيده وسحبوه واخرجوه وعادوا فبادرت وغنيت الاصوات التى غنتها الجارية من صنعتى فقال لى الرجل لك فى خصلة قلت ماهى تقيم عندنا اسبوعا والمكافاة الجارية والجهاز لك قلت نعم افعل واقمت عنده اسبوعا لا يعرف احد اين انا والمامون يطلبنى فى كل حين وكل موضع ولم يقع احد على خبرى فلما انقضت الايام تسلمت الجارية والجهاز والخادم وجئت بذلك الى منزلى وركبت من وقتى الى المامون فلما رآنى قال يا ابا اسحاق ويحك اين كنت فاخبرته الخبر فقال على بالرجل الساعة ندللتهم على موضعه فاحضره وسأله المأمون فاخبره القصة فقال انت ذو مروءة وسبيلك ان تعان عليها وامر له بمائة الف وقال له لا تعاشر ذلك النذل المعربد انتهى ومن كلام الاحوص فى حضرة يزيد غنته جارية بين يديه

اذا رمت عنها سلوة قال شافع		من الحب ميعاد السلو المقابر	
ستبقى لها فى مضمر القلب والحشا		سريرة ود يوم تبلى السرائر	

فطرب يزيد وقال لمن الشعر قالت لا ادرى قال ابعثوا الى الزهرى وكان قد ذهب من الليل شطره فأتى به فلما صعد اليه قال لا بأس عليك لن ندعوك الا لخير فجلس وسأله عن قائل هذا الشعر فقال الاحوص قال ما فعل به قال قد طال حبسه فامر بتخلية سبيله وان يدفع له اربعمائة دينار ثم قدم عليه بعد ذلك فاجازه واحسن اليه احسانا جزيلا وكانت المغنية جارية يزيد بن عبد الملك انتهى وحكى مسرور الخادم ان الرشيد قصد الركوب فى غير عادته فقلت له اين تريد يا امير المؤمنين فى هذا الوقت قال الى منزل ابراهيم الموصلى قال فمضى حتى انتهى الى منزل ابراهيم

الموصلی فخرج وتلقاه وقبل حافر حماره وقال یا امیر المؤمنین فی مثل هذه الساعة تظهر قال نعم شوق طرق بی الیک ثم نزل وجلس فی طرف الایوان واجلس ابراهیم فقال له ابراهیم یا سیدی استنبط شیئاً تأکله قبل الشراب قال نعم فجاءه بطعام کانما کان معداً له فاصاب منه یسیراً ثم عاد بشراب حمل معه فقال له الموصلی یا سیدی اغنیک ام تغنیک اماؤک قال بل الجواری فخرجت جواری ابراهیم فاخذن صدر الایوان وجانبیه فقال ابراهیم ایضربن کلهن ام واحدة واحدة فقال بل یضربن اثنتان اثنتان و واحدة تغنی قال فضربت اثنتان و

غنت واحدة منهن فقالت

اذا دعا باسمها داع یحدثنی	کادت لها مهجتی من حرها تقع
لو ان لی صبرها او عندها جزعی	لکنت اعقل ما آتی وما ادع
لا احمل اللوم فیها والغرام بها	ما کلف الله نفساً غیر ما تسع

ثم غنت اخری فقالت

طرقتك زائرة فحیی خیالها	بیضاء تخلط بالجمال دلالها
هل یطمسون من السماء نجومها	باکفهم او یطمسون هلالها
شهدت من الانفال آخر آیة	فاردتموا بجهالکم ابطالها

ثم غنت اخری فقالت

شطت سعاد واضحی البین قد بکی	واورثتك سقاماً تصدع الکبدا
فما احتیالك اذ جد الرحیل بهم	وخلفوك غداة البین منفردا
لا استطیع لهم صبراً ولا جلدا	ولا تزال احادیثی بهم جددا

قال فقام حتی وصل صدر الایوان واخذ بجانبیه والرشید یسمع ولا ینصب لشیء من غنائهن الی ان غنت صبیة من صدر الایوان من حاشیة الصفة

هذین البیتین لابی نواس

یا موسر الود قد عیت قوادحه	اقبس بما شئت من قلبی بمقباس

ما افتح الناس فى عينى واسمجهم	اذا نظرت فلم انظرك فى الناس

فطرب الرشيد لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب ارطالا وسال الجارية عن صانعه فامسكت فاستدناها فتقاعست فامر بها فاقبلت بين يديه فاخبرته بشئ اسرته اليه فدعا بحماره فركبه ثم التفت الى ابراهيم الموصلى فقال له ما ضرك ان تكون خليفة فكادت روحه تخرج حتى دعاء بعد ذلك وادناه قال وكان الذى اخبرته به سران الصنعة فى الصوت لاخته عليه بنت المهدى وكانت الجارية لها فوجهتها الى ابراهيم الموصلى يطارحها ومن قول

(ابى نواس)

دع عنك لومى فان اللوم اغراء	وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها	لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حرفى ذى ذكر	لها محبان لوّاط وزناء
قامت بابريقها والليل معتكر	فلاح من وجهها فى البيت لالاء
فارسلت من فم الابريق صافية	كانما اخذها للعقل اخفاء
رقت على الماء حتى لا يلائمها	لطافة وخفى من شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها	حتى تولد انوار واضواء
دارت على فتية ذل الزمان لهم	فما يصيبهم الا بما شاؤا
فقل لمن يدعى فى العلم توسعة	حفظت شيئا وغابت عنك اشياء

(وقال الشاعر)

كعصفورة فى كف طفل يهينها	تذوق مرار الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها	ولا الطير مطلوق الجناحين يهرب

وروى البيهقى فى الشعب عن مالك بن دينار قال مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فدنا الى الفخ وقال مالك متغيبا فى التراب فقال للتواضع قال لم حنيت قال من طول العبادة قال فما هذه الحبة

التى فى فيلت قال اعددتها للصائمين فلما امسى تناول الفخ فى عنقه فقال العصفور ان كان العباد يخنقون خنقتك فلا خير فى هذه العبادة اليوم انتهى قال الشافعى رضى الله عنه اربعة اشياء تزيد فى الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل واكل الفستق واكل الجرجير واربعة اشياء تزيد فى العقل ترك الفضول من الكلام والسواك و مجالسة الصالحين والعمل بالعلم واربعة تقوى البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم و كثرة شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة انتهى من حرف العين ودخل ابن الخياط المكى على المهدى ومدحه فامر له بخمسين الف درهم فسأله ان يأذن له فى تقبيل يده فاذن له فقبلها وخرج فما انتهى الى الباب حتى فرقها جميعا فعوتب فى ذلك

وانشد يقول

لمست بكفى كفه ابتغى الغنى	ولم ادر ان الجود من كفه يعدى
فلا انا منه ما افاد ذو الغنى	افدت واعدانى فاتلف ما عندى

فغنى بها المهدى فامر له بخمسين الف دينار انتهى

اقول لمقلتيه حين نامت	وسحر النوم فى الاجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل	ويعلم ما جرحتم بالنهار

الامام احمد بن حنبل ومناقبه رضى الله عنه

مات سنة مائتين واحدى واربعين وحرر من حضر فى جنازته فكانوا ثمانمائة الف ومن النساء ستين الفا واسلم يوم موته رضى الله عنه عشرون الفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى وقال الامام النووى فى تهذيب الاسما واللغات ان المتوكل امران يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة على الامام احمد فبلغ مقام الفى الف وخمسمائة وقد حزر عليه رضى الله تعالى عنه المسلمون و اليهود والنصارى والمجوس وقال محمد بن خزيمة لما بلغنى موت الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه اغتممت غما شديدا فرأيته فى المنام وهو يتبختر فى مشيته فقلت يا

اباعبدالله ما هذه المشية فقال مشية الخدام فی دار السلام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لی وتوجنی والبسنی نعلین من ذهب وقال یا احمد هذا بقولك القرآن کلامی غیر مخلوق ثم قال الله تعالی یا احمد ادعنی بتلك الدعوات التی بلغتك عن سفیان التی کنت تدعو بهن فی دار الدنیا فقلت یا رب اسألك بقدرتك علی کل شیٔ ان تسألنی عن شیٔ واغفر لی کل شیٔ فقال جل وعلا یا احمد هذه الجنة فادخل فیها وانشد بعضهم فی تاریخ موت الائمة الاربعة ومولدهم الامام ابی حنیفة والامام مالك والامام الشافعی والامام احمد بن حنبل رضی الله عنهم اجمعین

تاریخ نعمان یکن سیف سطا	ومالك فی قطع جوف ضبطا
والشافعی صین ببرند	واحمد بسبق امر جعد
فخذ علی ترتیب نظم الشعر	میلادهم فموتهم فالعمر

وکذا فی تاریخ الائمة الخمسة الحدثین الامام الترمذی وابوداود والامام المسلم والنسائی والامام البخاری وقد جمع ذلك بعضهم فی بیت واحد فقال

اذا رمت الحدیث فلا تجس	تکن مثل المشافة فی الحیاة
تعطر درعه مارص تبح	بنور للمحدث للوفاة

بیان ذلك التاء اشارة للترمذی والدال اشارة لابی داود والمیم اشارة للامام مسلم والنون للنسائی والبا للبخاری والله اعلم ویحکی انه اتی برجل مدنی سکران الی بعض الولاة فامر باقامة الحد علیه وکان الرجل طویلا والجلاد قصیرا فلم یتمکن من ضربه فقال الجلاد للمدنی تقاصر لیینالك الضرب فقال ویلك الی اکل الفالوذج تدعونی والله لوددت انی اکون اطول من عوج بن عوق وانت اقصر من یاجوج وماجوج فاستظرفه الامیر وخلی سبیله

(انتهی من خطبة الکمیت ومن قول ابن المعتز)

وجاءنی فی قمیص اللیل مستترا	یستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء صباح کاد یفضحنا	مثل القلامة قد قدت من الظفر

وكان ما كان مما لست اذكره — فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

ولبعضهم عفا الله عنه

جرى دمعي من الحال الذي بي — كجرى الماء فى اول ابيب
ومع هذا فلا اقطع رجائي — لان الله الطف من ابي بي

ومن كلام الشافعي رضي الله عنه

لم يبق طعم الفقر من هو في غنى — ومصحح الاعضاء ليس بمبتلى
كم فاقة مستورة بمروءة — وضرورة قد غطيت بتجمل
وتبسم من تحته قلب شجي — قد صاد منه غمة لا تنجلي
والناس جمعا عند كل كفوءة — والهم مفترق وما احد خلي
لو سود الهم الملابس لم تجد — بيض الثياب على امرئ في محفل
واذا اراد المرء يجلو همه — عن نفسه من نفسه لا ينجلي

ومن كلام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحيم البرعي رحمه الله
في ارض اليمن

رياض نجد بكم جنان — فضيه نورها حسان
وترب واديكم بنجد — مسك وحصباؤها جمان
والروض من شعبكم عبير — والزهر ورد وزعفران
والجار في ربعكم عزيز — والحر في ارضكم يصان
فكم سفكتم دمي ودمعي — اما على القاتل الضمان
وربمت اخفي الهوى ودمعي — من شدة الوجد ترجمان
يا لائمون اقصروا ملامي — رفقا بمن قلبه مسلان
لا تذكروا الظاعنين عندي — فلي وللظاعنين شان
قالوا اهواهم عليك حتم — فقلت عهد الهوى يصان
قالوا فكم تكتم التصابي — قلت المعنى بهم معان

قالوا فقد فار فوادی ربعا ... قلت هم الناس حیث کانوا
قالوا فدعهم فقلت کلا ... لعل دهرا قضی یدان
لیت الصبا الحاجری یدنی ... عن جیرة البان یوم بانوا
هل عهدهم عهدهم بنجد ... باق ام استنوا منوا فخانوا
یا محسنا بالزمان ظنا ... هل تدری ما یفعل الزمان
لا تتبع النفس فی هواها ... ان اتباع الهوی هوان
واخجلتی من عتاب ربی ... ان قیل اسرفت یا فلان
الی متی انت فی الملاهی ... تصبر مرخی لک العنان
لو خوفتک الجحیم بطشی ... وشوقت قلبک الجنان
عندی لک الصفح وهو بری ... وعندک السیف والسنان
ما تستحی کاتبا کریما ... یحصی به الفعل واللسان
وتستحی شیبة تراها ... فی النار مسجونة تهان
انت شجاع علی المعاصی ... وانت عن طاعتی جبان
لم ینهک الشیب عن حدودی ... ولا رسولی ولا القران
ترضی بان تنقضی اللیالی ... وما انقضی حربک العوان
ای اوان تتوب فیه ... هل بعد قطع الرجا اوان
اثر عیری علی لکن ... کما یدین الفتی یدان
یا سیدی هذه عیوبی ... وانت فی الخطب مستعان
یا من له فی العصاة شان ... البر والعطف والحنان
یا من ملا بره النواحی ... لم یخل من بره مکان
عفوا فانی رهین ذنب ... حاشاک ان یغلق الرهان
فاغفر لعبد الرحیم والطف ... بخائف ما له امان
وسامح الکل من ذنوب ... عذابها یشهد البنان

وصل ياذا العلا وسلم	على من اخلاقه حسان

وهذه قصيدة الامام الولى العارف بالله تعالى ابى محمد بن ابى عمران البشكرى نفعنا الله به قال العلامة بدر الدين بن فرحون احد اصحاب ناظمها ان بعض الصالحين رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام قال البدر واشك هل كان هو الشيخ او غيره وانشد هذه القصيدة فلما بلغ آخرها قال النبى صلى الله عليه وسلم رضيناها

(رضيناها وهى هذه)

دار الحبيب احق من تهواها	وتحن من طرب الى ذكراها
وعلى الجفون اذا هممت بزورة	يا ابن الكرام عليك ان تغشاها
فلأنت انت اذا حللت بطيبة	وظللت ترتع فى ظلال رباها
مغنى الجمال من الخواطر والتى	سلبت قلوب العاشقين حلاها
لا تحسب المسك الذكى كتربها	هيهات اين المسك من رياها
طابت فان تبغى لطيب يافتى	فادم على الساعات لثم ثراها
وابشر ففى الخبر الصحيح تقررا	ان الاله بطيبة سماها
واختصها بالطيبين لطيبها	واختارها ودعا الى سكناها
لا كالمدينة منزل وكفى بها	شرفا حلول محمد بفناها
خصت بهجرة خير من وطئ الثرى	واجلهم قدرا واعظمهم جاها
كل البلاد اذا ذكرن كاحرف	فى اسم المدينة لا خلا معناها
حاشا مسمى القدس فهى قريبة	منها ومكة انها اياها
لا فرق الا ان ثم لطيفة	مهما بدت يجلو الظلام سناها
جزم الجميع بان خير الارض ما	قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت	كالنفس حين زكت زكا مأواها
وبهذه ظهرت مزية طيبة	فغدت وكل الفضل فى معناها
حتى لقد خصت بهجرة حبه	الله شرفها به وحباها

ما بين قبر للنبي ومنبر | حيا الاله رسوله وسقاها
هذي محاسنها فهل من عاشق | كلف شجي ناحل بنواها
اني لارهب من توقع بينها | فيظل قلبي موجعا اوّاها
ولقلما ابصرت حال مودع | الا رثت نفسي له وشجاها
فلكم اراكم قائلين جماعة | في اثر اخرى طالبين سواها
قسما لقد كسي فؤادي بينكم | جزعا وفجر مقلتي مياها
ان كان يزعجكم طلاب فضيلة | فالخير اجمعه لدى مثواها
او خفتم ضررا بها فتأملوا | بركات بلدتها فما ازكاها
اف لمن يبغي الكثير لشهوة | ورفاهة لم يدر ما عقباها
فالعيش ما يكفي وليس هو الذي | يطغي النفوس الى خسيس مناها
يا رب اسأل منك فضل قناعة | بيسيرها وتحصنا بحماها
ورضاك عني دائما ولزومها | حتى توافي مهجتي اخراها
فانا الذي اعطيت نفسي سؤلها | فقبلت دعواها فيا بشراها
بجوار اوفى العالمين بذمة | واعز من بالقرب منه يباها
من جاء بالآيات والنور الذي | داوى القلوب من العمى فشفاها
اولى الانام بخطة الشرف التي | تدعى الوسيلة خير من يعطاها
انسان عين الكون سر وجوده | يس اكسير المحامد طاها
حسبي فلست اني ببعض صفاته | لو ان لي عدد الورى افواها
كثرت محاسنه فاعجز حصرها | فغدت وما تلفى لها اشباها
اني اهتديت من الكتاب بآية | فعلمت ان علاه ليس يضاهى
ورأيت فضل العالمين محددا | وفضائل المختار لا تتناهى
كيف السبيل الى تقصي مدح من | قال الاله وحسبك جاها
ان الذين يبايعونك انما | هم من يقال يبايعون الله

هذا الفخار فهل سمعت بمثله ... واها النشأ أنها الكريمة واها
صلوا عليه وسلموا فبذا لكم ... تهدي النفوس لرشدها وغناها
صلى عليه الله غير مقيد ... وعليه من كاتبه انماها
وعلى الاكابر آله سرج الهدى ... اكرم بعترته ومن والاها
وكذا السلام عليه ثم عليهم ... وعلى صحابته التي زكاها
اعني الكرام اولي النهى اصحابه ... فئة التقى ومن اهتدى بهداها
والحمد لله الكريم وهذه ... نجزت وظني انه يرضاها

(وهذا آخرها والحمد لله وحده ولبعضهم شعرا)

لله في ملكه خاتم ... يجري مقادير على نقشه
لا تنبش الشر تبلى به ... واحذر على نفسك من نبشه
مصارع الدهر لها سطوة ... تنزل السلطان عن عرشه
اذا طغى الكبش بلحم الكلا ... ادرج رأس الكبش في كرشه
اذا بغى المرء على جنسه ... لا بد ان ينكب في فرشه

قوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك ذكر العلامة الشمس العلقمي في حاشيته على الجامع الصغير عن جابر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابي اخذ مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل اذهب فأتني بابيك فنزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اذا جاء الشيخ فاسأله عن شئ قاله في نفسه ما سمعته اذناه فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك اتريد ان تأخذ ماله فقال يا رسول الله هل انفقه الا على احدى عماته او خالاته او على نفسي فقال عليه الصلوة والسلام ايها الشيخ دعنا من هذا اخبرني عن شئ تلته في نفسك ما سمعته اذناك فقال الشيخ والله يا رسول الله ما يزال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيئا ما سمعته اذناي فقال له قل فانا اسمع فقال

غذيتك مولودا وعلتك يافعا ... اعل بما يجني عليك وانهل

اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت ... لسقمك الا ساهرا اتململ

كاني انا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني وعيناي تهمل

تخاف الردى نفسي عليك وانها ... لتعلم ان الموت شيء مؤجل

فلما بلغت السن والغاية التي ... لها مدة قد كنت فيك اؤمل

جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كانك انت المنعم المتفضل

فليتك اذ لم ترع حق ابوتي ... جعلتني كالجار المجاور يفعل

قال فحينئذ اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال له انت ومالك لابيك انتهى وحكى الاصمعي قال خرجت في طلب الاعاجيب من الاحاديث فلاحت لي بلدة بيضاء كانها الحمامة فدخلتها فاذا هي خراب وليس بها ديار ولا انيس فبينما انا ادور في نواحيها اذ سمعت كلاما فطار قلبي فانصت فاذا به كلام موحش فسللت سيفي ودخلت ذلك المكان فاذا انا برجل جالس وبين يديه صنم وفي يده قضيب وهو يبكي وينكت به الارض ويقول

اما وصليب الله لو كنت عاشقا ... لمت كما ماتت وما ضنى لحبه

وكم اتسلى بالحديث وبالمنى ... وبالعبرات السائلات على خدي

واني وان لم ياتني الموت سرعة ... لامسي على جهد واضحي على جهد

قال فلما سمعت ذلك منه هجمت عليه فلم يشعر بي الا ان قلت له السلام عليك فرفع راسه وقال وعليك السلام من اين انت ومن جاء بك الى هذا المكان فقلت الله جاء بي قال صدقت وهو الذي افردني في هذا المكان فقلت له ما بالك تشير الى هذا الصنم الذي بين يديك فقال لي ان حديثي عجيب وامري غريب فقلت له حدثني به ولا تخف منه شيئا فقال لي اعلم انا كنا قوما من بني تميم وكنا على دين المسيح وكان دعاؤنا مستجابا وكانت هذه الصنم ابنة عمي وكنت انا واياها فلما كبرت حجبها عمي عني فكنت احبها سرا فبينما انا ذات ليلة وانا عندها اذ سمعت عمي يدق الباب

فادخلتني سردابا وقامت هي ففتحت الباب ودخل عمي فقال لها ابن عبد المسيح فقالت اني لم اره فقال لها اني سمعت كلامه عندك فقالت لم تسمع شيئا وانما خيل لك فقال لها والله ان لم تصدقيني والا دعوت عليك ان كنت كاذبة فيمسخك الله حجرا فقالت له اذا كنت كاذبة فرفع طرفه الى السماء وقال اللهم يا رب الاولين والآخرين ان كنت تعلم ان ابنتي هذه كاذبة في قولها فامسخها حجرا فمسخها الله حجرا ولي اربعون سنة في هذا المكان وانا اتقوت من نبات الارض واشرب من هذه الانهار واتسلى بالنظر الى هذه الصنمة الى ان يحكم الله بالموت ثم بكى وانشد يقول

وحق الذي ابكى واضحك والذي ... اماتت واحيى والذي خلق الخلقا

لئن قلت ان الحب قد يقتل الفتى ... وان الفتى بعد التفرق لا يبقى

لقد قلت حقا واسال العبرة التي ... تسيل وسيل الدمع مني لا يرقى

قال الاصمعي ثم قام ذلك الشاب وتوارى عني بجدار من تلك الجدر ونزع المسح الذي كان عليه ولم يبق عليه الا ما يواري سواته فتاملته فاذا عيناه تدوران في ام رأسه فقلت في نفسي هذا اراد ان يطلعني على نحول جسده ثم اقبل علي وهو عريان وقال لي يا فتى اني قائل ثلاثة ابيات وكان مني ما كان فاذا انا مت فكفني انا واياها في هذه الجبة وادفنا في هذا الجوف وضمنا بالتراب واكتب على قبرنا هذه الابيات

من لم يكن يحسب ان الهوى ... قاتل فلينظر الى مضجعي

لم يبق لي حيل ولا قوة ... الا خيال الشمس في موضعي

اشكو الى الرحمن جهد البلا ... اشارة بالطرف والاصبع

قال الاصمعي هذا وانا انظر اليه واسمع شعره واتعجب منه ومن امر الصنمة واذا به وقع على الارض مستلقيا على قفاه وشهق شهقة فارقت روحه جسده قال الاصمعي فكفنتهما ودفنتهما في ذلك الجوف وكتبت على قبرهما تلك الابيات وتركتهما وانصرفت وانا متعجب غاية العجب انتهى ولما عزم احمد بن طيلون على بناء الجامع المعروف به في

مصر

الصدقة في كل يوم

القاهرة انفق عليه مائة الف دينار ورتب فيه للعلماء والفقراء وارباب الشعائر
والبيوت في كل شهر عشرة الآف دينار وللصدقة في كل يوم مائة دينار وكان
مشتملا على خصال حميدة منها ان فقيرا كان بجواره وله امراة وبنت وكانا يغزلان
الصوف للسوق لتجهيز البنت وان البنت لم تفارق البيت وما نظرت الى السوق
قط ولا خرجت فسألت امها واباها ان تخرج معهما الى السوق فواعداها بذلك فلما
قصدا بيع الغزل خرجت معهما الى السوق فمروا بباب الامير المسمى بالفيل وتمادا الاب
والام وتركاها ولم يشعر ابوها فبقيت البنت حائرة لا تدري اين تذهب وكانت
ذات جمال عظيم فخرج الامير المسمى بالفيل فلما رآها افتتن بها فامسكها ودخل بها ثم
امر الجواري ان يغسلوها وينظفوها ويلبسوها احسن الملبوس ويطيبوها
بانواع الطيب ويجلوها له ففعلن ذلك فدخل عليها وازال بكارتها هذا و
ابواها قد حزنا عليها ولم يزالا يطوفان عليها جميع الاماكن فلم يقعا لها على خبر فلم
يزالا يبكيان عليها فلما جن الليل واذا بشخص يطرق الباب فخرج ابوها وفتح الباب
فقال الرجل لابيها ان الامير المسمى بالفيل اخذ ابنتك وازال بكارتها فلما سمع ذلك
كاد يجن وكان لاحمد بن طيلون مؤذن وكان قد عاهده على انه اذا احدثت فاحشة
من الفواحش يؤذن في غير الوقت ليحضره ويستفهم منه الواقعة وكان المؤذن بينه
وبين ابي البنت صداقة فجاء اليه واخبره بخبره فصعد واذن فسمعه احمد بن طيلون
فارسل خلفه فاخبره بالقضية فاستدعى بابوي البنت وخباهما في خزانة وكان
وقت مجيء الفيل للخدمة فلما دخل على عادته قال له هنيئا بالعروس الجديدة
فقال ومن اين لي عروس جديدة قال اتنكر مني وهذا ابو الجارية وامها واخرجهما
اليه فلما راهما نكس رأسه خجلا من الامراء الحاضرين فقال له احمد بن طيلون ارفع راسك
ثم قال لابيها تزوج ابنتك مملوكي هذا على صداق قدره الف دينار مقدمة وخمسمائة
دينار مؤجلة فقال نعم فامر باحضار الشهود وعقد العقد بينهما ووضعوا خطوطهم
ثم بعد انصراف الشهود امر السياف بضرب عنق الفيل فرماه بين يديه وقطع رأسه

وقال احمد بن طيلون لابی الجاریة ابنتك ورثت زوجها وقد مكنتها مما بقی من
تركته فامضوا مع السلامة فانصرفوا شاكرين لانعامه داعين له علی افعاله

فانظر الی هذا الفضل والمعنی العظیم

والله یهدی من یشاء الی صراط مستقیم ومما نقل عن بعضهم

توق رعاك الله تسعا من البشر ... فصحبتهم تفضی الی البؤس والضرر
وهم احول مع اعوج ثم احدب ... كذا كوسج یتلو نشاطا مع الكدر
وایاك والانف الطویل واصفرا ... فانهما بیت الخیانة والخطر
كذا اغائر الصدغین خارج جبهة ... كذا الازرق العینین فالحذر الحذر
توقاهمو تحیا سلیما من الردا ... وباعدهمو یا ذا الفراسة والنظر

الخاتمة الطبع

قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب * فی المطبع اسلامیه
وقد وقع الفراغ فی یوم الخامس والعاشر من شهر
ربیع الاولی فی سنة ١٢٨٩ تسع وثمانین بعد الالف
من الهجرة النبویة علی صاحبها افضل
الصلاة واذكی التحیة
والتسلیم
٥٥٥
٥